

4-301

مجلس شورای اسلامی

فصل في التسميات التي كان في وقت من اوقات من اهل البيت ورواها في بعض النسخ الوصفية  
بصفاته واما ما في النسخ من انما هو من اقسامه بعض النسخ كانت دليل على ان من عظم  
كانه قال التسمية على حاله خيرية وهو الثاني كقولنا تسمي في نور رب العالمين والارض والسموات  
واما على وجه ما في كونه اداة الى نور رب العالمين فيجب ان يكون التسمي مع ان هذا التسمي  
شديد انما هو تحقيق التسمي بانه يكون من غير التسمي وهو من غير التسمي والتسمي بانه  
يراد بالتسمي كوكبه وانما في الاصل ان يكون ما يحسن فيه ذلك في الامور الغالية والافنية  
انما التسمي على انواعها في الامور الغالية والافنية كالتسمي في الامور الغالية والافنية

[illegible]

١١٥ فصل واسم الحانة والابط  
١١٥ فصل ومن مل حكمة الرب تعالى

اختلاف الكفين الى

١١٧ فصل ونحن نذكر في هذا الفصل

محل الانسان الخ

١١٨ فصل ثم لا اراد الله ان يخلق

١١٩ فصل فان في هذا الفصل

ان يراد الخ

١٢٠ فصل ومن ثم ليس الاطباء

١٢٣ فصل واما اذا مله الخ

١٢٤ فصل فان في هذا الفصل

١٢٥ فصل وان في هذا الفصل

ما بين

١٢٧ فصل وفي هذا الفصل

١٢٨ فصل فان في هذا الفصل

١٢٩ فصل وان في هذا الفصل

١٣٠ فصل وان في هذا الفصل

١٣١ فصل وان في هذا الفصل

١٣٢ فصل وان في هذا الفصل

١٣٣ فصل وان في هذا الفصل

١٣٤ فصل وان في هذا الفصل

١٣٥ فصل وان في هذا الفصل

١٣٦ فصل وان في هذا الفصل

١٣٧ فصل وان في هذا الفصل

١٣٨ فصل وان في هذا الفصل

١٣٩ فصل وان في هذا الفصل

١٤٠ فصل وان في هذا الفصل

١٤١ فصل وان في هذا الفصل

١٤٢ فصل وان في هذا الفصل

١٤٣ فصل وان في هذا الفصل

١٤٤ فصل وان في هذا الفصل

١٤٥ فصل وان في هذا الفصل

١٤٦ فصل وان في هذا الفصل

١٤٧ فصل وان في هذا الفصل

١٤٨ فصل وان في هذا الفصل

١٤٩ فصل وان في هذا الفصل

١٥٠ فصل وان في هذا الفصل

من قوله في هذا الفصل

من قوله في هذا الفصل

من قوله في هذا الفصل

من قوله في هذا الفصل

من قوله في هذا الفصل

من قوله في هذا الفصل

من قوله في هذا الفصل

من قوله في هذا الفصل

من قوله في هذا الفصل

من قوله في هذا الفصل

من قوله في هذا الفصل

من قوله في هذا الفصل

من قوله في هذا الفصل

فصل و اقدم بانه لا مور على

المعاد الخ

٩٩ فصل في بيان ارباب العلوم

١٠٠ فصل في بيان ارباب الفنون

١٠١ فصل في بيان ارباب الادب

١٠٢ فصل في بيان ارباب الفقه

١٠٣ فصل في بيان ارباب الطب

١٠٤ فصل في بيان ارباب الفلك

١٠٥ فصل في بيان ارباب الهندسة

١٠٦ فصل في بيان ارباب الزراعة

١٠٧ فصل في بيان ارباب التجارة

١٠٨ فصل في بيان ارباب الحرف

١٠٩ فصل في بيان ارباب الفنون

١١٠ فصل في بيان ارباب الادب

١١١ فصل في بيان ارباب الفقه

١١٢ فصل في بيان ارباب الطب

١١٣ فصل في بيان ارباب الفلك

١١٤ فصل في بيان ارباب الهندسة

١١٥ فصل في بيان ارباب الزراعة

١١٦ فصل في بيان ارباب التجارة

١١٧ فصل في بيان ارباب الحرف

١١٨ فصل في بيان ارباب الفنون

١١٩ فصل في بيان ارباب الادب

١٢٠ فصل في بيان ارباب الفقه

من الملوك

من الملوك

٩٨ فصل في بيان ارباب الفقه

٩٩ فصل في بيان ارباب الطب

١٠٠ فصل في بيان ارباب الفلك

١٠١ فصل في بيان ارباب الهندسة

١٠٢ فصل في بيان ارباب الزراعة

١٠٣ فصل في بيان ارباب التجارة

١٠٤ فصل في بيان ارباب الحرف

١٠٥ فصل في بيان ارباب الفنون

١٠٦ فصل في بيان ارباب الادب

١٠٧ فصل في بيان ارباب الفقه

١٠٨ فصل في بيان ارباب الطب

١٠٩ فصل في بيان ارباب الفلك

١١٠ فصل في بيان ارباب الهندسة

١١١ فصل في بيان ارباب الزراعة

١١٢ فصل في بيان ارباب التجارة

١١٣ فصل في بيان ارباب الحرف

١١٤ فصل في بيان ارباب الفنون

١١٥ فصل في بيان ارباب الادب

١١٦ فصل في بيان ارباب الفقه

١١٧ فصل في بيان ارباب الطب

١١٨ فصل في بيان ارباب الفلك

١١٩ فصل في بيان ارباب الهندسة

١٢٠ فصل في بيان ارباب الزراعة

و كتاب مسطور الخ





في الدنيا اذ يرون العذاب في الآخرة والجواب محذوف ثم قال ان القوة لله جميع كما قال تعالى  
ولو ترى اذ هم هواء فلافوت ولو ترى اذ يتوهى الدين كفروا الملائكة اي لو ترى ذلك الوقت  
وما فيه واما القسم فان الملائكة قد يحلف على الشيء ثم يكرر انقسم ولا يبعد انقسم عليه لانه قد  
حرف ما يحلف عليه فيقول والله ان لي عليه الف درهم ثم يقول ورب السموات  
والارض والذي نفسي بيده وح- في القرآن العظيم ولا يبعد انقسم عليه لانه قد حرف  
المعاد والقسم لما كان يكثر في الكلام اختصر مصار فعل القسم بحذف ويكنى بالبهاء  
ثم هو ض من البهاء الواو وفي الاسماء الظاهرة وباء في اسماء الله كقوله وتالله لا كيدن  
اصنامكم وقد نقل توب الكعبة واما الواو فكثيرة

والله اعلم اذ حرف هذا فهو سبحانه يقسم على اصول الايمان التي يجب على الخلق  
معرفتها فارة يقسم على التوحيد وتارة يقسم على ان القرآن حق وتارة على ان الرسول  
حق وتارة على الجزاء والوعد والوعيد وتارة على حال الانسان فالاول كقوله والصفات  
صفها الى قوله ان الحكم لواحد والثاني كقوله فلا أقسم بمواقع الخيوم الى قوله كرم  
وقوله حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة وانا جعلناه قرآنا عربيا اذا جعل  
ذلك جواب القسم كما هو الظاهر وان قيل بل الجواب محذوف كان كقوله ص والقرآن ذي  
الذكر فانه هنا حذف الجواب ومن قال ان الجواب هو قوله ان ذلك لخلق نخصم اهل الدار  
وقد ابعد النجعة والقسم على الرسول كقوله بس والقرآن الحكيم انك لم المرءين على صراط  
مستقيم اذا قيل هو الجواب وار قيل الجواب محذوف كان كما ذكر ومنه ن والقلم وما يسطرون  
ما انت بنعمة ربك بمجنون وار لك لاجرا غير ممنون ومنه وانجم اذا هوى ماضل صاحبكم  
وما غوى وما ينطق عن الهوى الى آخر القصة ومنه قوله فلا أقسم بما تبصرون  
وما لا تبصرون انه لقول رسول كرم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون الى قوله ذي قوة  
عند ذي العرش مكين واما القسم على الجزاء والوعد والوعيد في مثل قوله والذريات ذروا  
الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين اواقع ثم ذكر تفصيل الجراء وذكر الجسمة والمار  
وذكر ارفي السماء رزقهم وما يوعدون ثم قال فو رب السماء والارض انه لخلق مثل ما انكم  
تتقون ومثل قوله والمرسلات عرفا الى قوله نعم توعدون اوقع ومثل والطور وكتاب  
مسطور الى قوله ماله من داعم وقد امر نبيه ان يقسم على الجزاء والمعاد في ثلاث آيات  
وقال تعالى زعم الذين كفروا الى قوله اتبعن وقال تعالى وقال الذين كفروا لانا ندين الساعة  
قل بل يربى لنا ندينكم وقال تعالى ويستنبئونك احق هو قل اي وربى انه لخلق وما انتم بمعجزين  
وهذا لان المعاد انما يعلمه طامة الناس بأخبار الانبياء وان كان من الناس من قد يعلمه بالنظر  
وقد تنازع النظام في ذلك فقالت طائفة انه لا يمكن علمه الا بالسمع وهو الخبر وهو قول من لا يرى  
تعديل الاعمال ويقولون لا ندري ما يفعل الله الابدانة ارسخبر كما بهوله جهه ومن اتبعه ولا شعري  
واتباعه ولا غير من اهل الكلام في العقول والحديث من اتباع لائمة الاربعة بخلاف اهل ما نصافع فان  
الناس متفقون على انه لا يعلم ما لم يقل ران كان ذلك مما نبهت لرسول عليه وصفه فانه قد علم ما لم يقل  
وقد علم بالسمع ايضا كما قد بسط في موضع آخر واما لقسم على احوال الانسان وكقوله

والبل اذ بغشى والنهار اذ تجلى الى قوله ان سعيكم لشتى الآية ولفظ السعي هو العمل  
 لكن يراد به العمل الذي بهم به صاحبه ويجهده فيه بحسب الامكان فان كان يفتقر  
 الى عدو بدنه عدوا وان كان يفتقر الى جمع اعدائه جمع وان كان يفتقر الى تفرغ له وترك  
 غيره فعل ذلك فلفظ السعي في القرآن جاء بهذا الاعتبار ليس هو مرادا فاللفظ طائفة  
 بل هو عمل مخصوص بهم به صاحبه ويجهده فيه ولهذا قال في الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وهذه  
 احسن من قراءة من قرأ فامضوا الى ذكر الله وقد ثبت في الصحيح من النبي صلى الله عليه  
 وسلم انه قال اذا اقيمت الصلاة فلاناثوها تسعون واناثوها عشرون وعليكم بالسكينة فما أدركتم  
 فصلوا وما فاتكم فأنموا فلم ينه عن السعي الى الصلاة فان الله امر بالسعي اليها بل نهاهم أن  
 يأنثوا اليها يسعون فنهاهم عن الانبان المنصف بسعي صاحبه والانبان فعل البدن وسعيه عدو  
 البدن وهو منهى عنه وأما السعي المأمور به في الآية فهو الذهاب اليها على وجه الاهتمام  
 بها والمتفرغ لها من الاعمال الشاغلة من بيع وغيره والاقبال بالقلب على السعي اليها وكذلك  
 قوله في قصة فرعون لما قال له موسى هل لك لي أن زكي الى قوله ثم أدبر سعي فحشر فنادى  
 هذا اهتمام واجتهاد في حشر رعيته ومناداه فيهم وكذلك قوله واذنولي سعي في الارض  
 ليفسد فيها هو عمل بهمة واجتهاد ومنه سعى الساعي على الصدقة والساعي على الاربعة  
 واليتيم ومنه قوله ان سعيكم لشتى وهو العمل الذي يقصده صاحبه ويعتني به ليرتب عليه  
 ثواب أو عقاب بخلاف المباحات المعتادة فانها لم تدخل في هذا السعي قال تعالى فاما من أعطى  
 واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره  
 لليسرى ومنه قوله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله انما جزاء  
 الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا

وهو يصلح في القسم على صفة الانسان بقوله والساديات ضحا الى قوله ان الانسان  
 لرهك كنود وأقسم على طائفة وهو قسم على الجزاء في قوله والعصر الى قوله ونواصوا  
 بالصبر وفي قوله والتين والزيتون وطور سينين الى قوله لقد خالفنا الانسان في احسن تقويم  
 ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وحذف جواب القسم لانه قد علم  
 بأنه يقسم على هذه الامور وهي من لازمة فتي ثبت أن الرسول حق ثبت القرآن والمعاد  
 ومتى ثبت أن القرآن حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت أن الوعد والوعيد  
 حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت أن الوعد والوعيد حق ثبت صدقه وصدق  
 الكتاب الذي جاء به والجواب يحذف نارة ولا يراد ذكره بل يراد تعظيم المقسم به وانه مما  
 يخاف به كقول النبي صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فلجلف بالله أو ليصمت ولكن هذا  
 يذكر معه الفعل دون مجرد حرف القسم كقولك فلان يحلف بالله وحده وأنا أحلف  
 بالخالق لا بالخلق ونحو ذلك والنصراني يحلف بالصليب والمسيح ولان أكذب ما يكون  
 اذا حلف بالله وقد يكون هذا النوع بحرف القسم مجردا كما في الحديث كانت أكثر عبيد رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم لا وقلب القلوب وكان بعض السلف اذا اجتهد في عيذه قال والله  
 الذي لا اله الا هو ونارة يحذف الجواب وهو مراد اما لكونه قد ظهر وعرف اما بدلالة الحال



كن قيل له كل فعل لا والله الذي لا اله الا هو او بدلالة السباق واكثر ما يكون هذا اذا كان  
 في نفس المقسم به ما يدل على المقسم عليه وهي طريقة القرآن فان المقصود يحصل بذلك المقسم  
 به فيكون حذف المقسم عليه ابلغ وأوجز كن اراد أن يقسم على أن الرسول حق وقال  
 والذي ارسل محمد بالهدى ودين الحق وأبدى بالآيات البينات وأظهر دعوته وأعلى كلمته  
 ونحو ذلك فلا يحتاج الى ذكر الجواب استغناء عنه بما في القسم من الدلالة عليه كن  
 اراد أن يقسم على التوحيد وصفات الرب ونعوت جلاله فقال والله الذي لا اله  
 الا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الاول الآخر الظاهر الباطن وكن اراد أن يقسم على  
 علوه فوق عرشه فقال والذي استوى على عرشه فوق سمواته يصعد اليه الكلم الطيب وترفع اليه  
 الابدى وتخرج الملائكة والروح اليه ونحو ذلك وكذلك من حلف لشخص انه يحبه ويعظمه  
 فقال والذي ملا قلبي من محبتك واجلالك وهمايتك ونظائر ذلك لم يخرج الى جواب القسم  
 وكان في المقسم به ما يدل على المقسم عليه فن هذا قوله تعالى ص والقرآن ذى الذكر فان  
 في المقسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذى الذكر المتضمن لذكر العباد ما يحتاجون  
 اليه وللشرف والقدرة ما يدل على المقسم عليه وكونه حقا من عند الله غير مفترى كما بقوله الكافرون  
 وهذا معنى قول كثير من المفسرين متقدميهم ومتأخريهم ان الجواب محذوف تقديره ان القرآن  
 لحق وهذا مطرد في كل ما شأه ذلك واما قول بعضهم ان الجواب قوله تعالى كم اهلكنا  
 من قبلهم من قرن فاعترض بين القسم وجوابه بقوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق فبعد  
 لان كم لا يتلقى بها القسم لان قول والله كم انفتت مالا وبالله كم اعتقت عبدا وهؤلاء الملام يخف  
 عليهم ذلك احتاجوا ان بقدر واما يتلقى بها الجواب اى لكم اهلكنا وابعدهم من هذا قول  
 من قال الجواب في قوله ان كل الاكذب لرسول وابعدهم منه قول من قال الجواب ان هذا رزقنا  
 ماله من نفاد وابعدهم منه قول من قال الجواب قوله ان ذلك لحق نخم اهل النار واقرب  
 ما قبل في الجواب لفظا وان كان بعيدا معنى ما ذكر من فتادة وغيره ان في قوله بل الذين كفروا  
 كما قال ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم وشرح صاحب الظم هذا القول  
 فقال معنى بل تأكيد الخبر الذى بعد فصار كان الشديدة في تثبيت ما بعدها قبل ههنا بمنزلة  
 ان لانه يؤكد ما بعده من الخبر وان كان له معنى سواء في نفي خبر متقدم فكأنه عز وجل قال  
 ص والقرآن ذى الذكر ان الذين كفروا في عزة وشقاق كما تقول والله ان زيدا لقاسم قال واحتج  
 صاحب هذا القول بأن هذا الظم وان لم يكن للعربية فيه أصل ولا لها فيه رسم فيجوز أن  
 يكون نظما أحدثه الله عز وجل لما يذنب من احتمال بل بمعنى ان انتهى وقال أبو القاسم الزجاجي  
 قال الصوابون ان بل تقع في جواب القسم كما تقع ان لان المراد بها تأكيد الخبر وهذا القول  
 اختيار أبي حاتم وحكامه الاخذش عن الكوفيين وقرره بعضهم بأن أصل الكلام بل الذين  
 كفروا في عزة وشقاق والقرآن ذى الذكر فلما قدم القسم ترك على حاله قال الاخفش وهذا  
 بقوله الكوفيون وايسر بجيد في العربية لو قلت والله فام وانت تريد قام والله لم يحسن وقال  
 النحاس هذا خطأ على مذهب الصوابين لانه اذا ابتدا بالقسم وكان الكلام معقدا عليه  
 لم يكن بد من الجواب وأجمعوا انه لا يجوز والله قام عمرو بمعنى قام عمرو والله لان الكلام

يعتمد على القسم وذكر الاخفش وجهها آخر في جواب القسم فقال يجوز ان يكون الصاد  
معنى يقع عليه القسم لا ندري نحن ما هو كأنه يقول الحق والله قال أبو الحسن الواحدى وهذا  
الذى قاله الاخفش صحيح المعنى على قول من يقول ص الصادق الله أو صدق محمد وذكر  
الفراء هذا الوجه أيضا فقال ص جواب القسم وقال هو كقولك وجب والله وترك والله  
فهى جواب لقوله والقرآن وذكر المحاس وغيره وجهها آخر في الجواب وهو انه محذوف  
تقديره والقرآن ذى الذ كر فالامر كما بقوله هؤلاء الكفار ودل على المحذوف قوله تعالى  
بل الذين كفروا وهذا اختيار بن جرير وهو مخرج من قول قتادة وشرحه الجرجاني فقال  
بل رافع خبر قبله ومثبت خبر بعده فقد ظهر ما بعده وظهر ما قبله وما بعده دليل على ما قبله  
فاظهر يدل على الباطر فاذا كان كذلك وجب أن يكون قوله بل الذين كفروا في عزة وشفاق  
مخالفا لهذا المضمير فكأنه قبل والقرآن ذى الذ كر ان الذين كفروا بزعمهم أنهم على الحق أو  
كل ما في هذا المعنى فهذه ستة أوجه سوى ما بدت بانه في جواب القسم والله أعلم ونظير هذا قوله  
تعالى ق والقرآن المجيد بل يحبوا وقيل جواب القسم قد علمنا وقال الفراء محذوف دل عليه  
قوله اذ امتنا أى لتبعن وقبل هو بل محبوا كما تقدم به

**فصل** ومن ذلك قوله لا أقسم يوم القيمة ولا قسم بالنفس الواوامة فقد تضمن هذا الاقسام  
ثبوت الجزاء ومستحق الجزاء وذلك يتضمن اثبات الرسالة والقرآن والمعاد وهو سبحانه يقسم  
على هذه الامور الثلاثة ويقررها ابان تقرير لحاجة النفوس الى معرفتهما والايان بها  
وامر رسوله ان يقسم عليها كما قال تعالى ويستبينونك احق هو قل اى وربى انه لحق وقال تعالى  
وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لئن اتيكم وقال تعالى زعم الذين كفروا ان لن  
بعثوا قلا بلى وربى لتبعن ثم اتبعن بما علمن وذلك على الله بسير فهذه ثلاثة مواضع لاربع لها  
بأمر نبيه ان يقسم على ما أقسم عليه هو سبحانه من النبوة والقرآن والمعاد فاقسم سبحانه  
لعباده وامر اصدق خلفه ان يقسم لهم واقام البراهين القطعية على ثبوت ما أقسم عليه فابى  
الظالمون الا جمودا وتكذيبا واختلاف في النفس المقسم بها ههنا هل هى خاصة أو عامة  
على قولين بناء على الاقوال الثلاثة في الواوامة قال ابن عباس كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة  
يلوم المحسن نفسه ان لا يكون ازداد احسانا ويلوم المسى نفسه ان لا يكون رجع عن اسائه  
واختاره الفراء قال ايس من نفس برة ولا فاجرة الا وهى تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا  
قات هلا زددت خيرا وان كانت عملت سوء قالت يا ليتنى لم أفعل والقول الثانى انها  
خاصة قال الحسن هى النفس المؤمنة وان المؤمن والله لا تراها الا يلوم نفسه على كل حالة لانه  
يستقصرها في كل ما فعل فيندم ويلوم نفسه وابن الفاجر يحضى قدما لا يعاتب نفسه والقول  
الثالث انها النفس الكافرة وحدها قاله قتادة ومقاتل وهى النفس الكافرة تلوم نفسها  
في الآخرة على ما فرطت في امر الله قال شيخنا والاظهر ان المراد تقيس الانسان مطلقا فان نفس  
كل انسان الواوامة كما أقسم بجنس النفس في قوله ونفس وما سواها فاللهما فجورها ونقواها  
فانه لا بد لكل انسان ان يلوم نفسه أو غيره على امر ثم هذا اللوم قد يكون محمودا وقد يكون  
مذموما كما قال تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتلومون قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين قال تعالى

يحاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فهذا اللوم غير محمود وفي الصحيحين في قصة احتجاج آدم وموسى انلومني على امر قد رما الله علي قبل ان اخلق فخرج آدم موسى فهو سبحانه يقسم على صفة النفس اللوامة كقوله ان الانسان لربه لبيك. كنود وعلى جزائها كقوله فوربك لنستأنهم اجمعين وعلى نبيان علمها كقوله ان معكم اشنى وكل نفس لوامة فالنفس السعيدة تلوم على فعل الشر وترك الخير فتبادر الى التوبة والنفس الشقية بالصد من ذلك وجع سبحانه في القسم بين محل الجزاء وهو يوم القيامة ومحل الكسب وهو النفس اللوامة ونبه سبحانه بكونها لوامة على شدة حاجتها وفاقتها وضرورتها الى من يعرفها الخير والشر ويدلها عليه ويرشدها اليه وبلغها اياه فيجعلها مربدة للخير مرشدة له كارهة للشر مجانبة له تخلص من اللوم ومن شر ما تلوم عليه ولا نها متلومة متزدة لان ثبت على حال واحدة فهي محتاجة الى من يعرفها ما هو أنفع لها في معاشها ومعادها يؤثره وتلوم نفسها عليه اذا فاتها فتتوب منه ان كانت سعيدة وتقوم عليها حجة عدله فيكون لومها في القيامة انفسها عليه لوما بحق قد أعذر الله خالفها واطرها اليها فيه في صفة اللوم تنبيه على ضرورتها الى التصديق بالرسالة والقرآن وانها لا تخفى لها من ذلك ولا صلاح ولا فلاح بدونه أئنة ولما كان يوم معادها هو محل ظهور هذا اللوم وترتب أثره عليه قرن بينهما في الذكر

**فصل في** ومن ذلك قوله تعالى والشمس وضحاها والقمر اذا تلاحا والنهار اذا جلاها الى قوله فاطمها فجورها وتقواها قال الزجاج وغيره جواب القسم قد أفلح من زكاها ولما طال الكلام حسن حذف اللام من الجواب وقد تضمن هذا القسم الاقسام بالخلق والمخلوق فاقسم بالسماء وبانيها والارض وطاحيها والنفس ومسويها وقد قيل ان ما مصدرية فيكون الاقسام بنفس فعله تعالى فيكون قد اقسام بالمصنوع الدال عليه وبصنعيته الدالة على كمال علمه وقدرته وحكمته وتوحيده ولما كانت حركة الشمس والقمر والليل والنهار امرا يشهد الناس حدوثه شيئا مشيئا ويعلمون ان الحوادث لا بدله من محدث كان العلم بذلك منزلا منزلة ذكر المحدث له اعطاهم بذكر الفاعل في الاقسام الاربعة ولهذا سلك طائفة من النظار الاستدلال بالزمان على الصانع وهو استدلال صحيح قد نبه عليه القرآن في غير موضع كقوله ان في خلق السموات والارض لايات لاولى الالباب ولما كانت السماء والارض ثابتين حتى ظن من ظن انهما قديمتان ذكر مع الاقسام بهما بانيهما ومبدعهما وكذلك النفس فان حدوثها غير مشهور حتى ظن بعضهم قدمها فذكر مع الاقسام بهما مسويها واطرها هنا مع ما في ذكر بناء السماء وطحو الارض وتسوية النفس من الدلالة على الرحمة والحكمة والعناية بالخلق فان بناء السماء يدل أنها كاقبة العالية على الارض وجعلها سقفا لهذا العالم والطحو هو مد الارض وبسطها وتوسيعها ليستقر عليها الا نام والحيوان ويمكن فيها البناء والفراس والزرع وهو متضمن لنضوب الماء عنها وهو مما حير عقول الطبائعين حيث كان مقتضى الطبيعة ان يغمرها كثرة الماء فبروز جانب منها على الماء على خلاف مقتضى الطبيعة وكونه هذا الجانب المعين دون غيره مع استواء الجوانب في الشكل الكروي يقتضي تخصيصا فلم يجدوا بدا بان يقولوا عناية الصانع اقتضت ذلك قلنا نعم اذا ولكن عناية من لا مشيئة له

ولا ارادة ولا اختيار ولا علم بممن أصلا كما نقولونه في محال معانيه تقتضي ثبوت صفات كماله ونعوت جلاله وأنه الفاعل بفعل باختياره ما يريد كذا النفس اقسم بها وبين سواها والهمها فجبورها وتقواها فان من الناس من يقول قديمة لا مبدع لها ومنهم من يقول بل هي التي تبتدع فجبورها وتقواها فذكر سبحانه أنه هو الذي سواها وابتدعها وأنه هو الذي الهمها العجور والتقوى فاعلمنا أنه خالق نفوسنا واعمالها وذاكرنا لفظ التسوية كما ذكره في قوله ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسـ والى فعدلك وفي قوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي ايذانا بدخول البدن في لفظ النفس كقوله وهو الذي خلقكم من نفس واحدة وقوله فسلوا على أنفسكم ولا تقتلوا أنفسكم ولولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ونظائر وباجتماع الروح مع البدن تصبح النفس فاجرة أو تقيّة والأفلاوح بدون البدن لا فجبورها وقوله قد أفلح من زكاه الضمير مرفوع في زكاهها مأثما على من وكذلك هو في دساها والمعنى قد أفلح من زكى نفسه وقد خاب من دساها هذا هو القول الصحيح وهو نظير قوله قد أفلح من زكى وهو سبحانه اذ ذكر الفلاح حلقه بفعل الملمح كقوله قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى آخر الآيات وقوله الذين يؤمنون بالغيب وبقیمون الصلاة وعمارزقناهم ينفقون الى قوله أولئك هم المفلحون وقوله انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا وأولئك هم المفلحون ونظائره قال الحسن قد أفلح من زكى نفسه وحملها على طاعة الله وقد خاب من أهلكتها وحملها على معصية الله وقوله قتادة وقال ابن قتادة يريد أفلح من زكى نفسه أي انماها وأهلها بالطاعة والبر والصدقة واصطناع المعروف وقد خاب من دساها أي نقصها وأخفاها بترك عمل البر وركوب المعاصي والفاجر ابدأ في المكان من المروءة فاض الشخص نا كس الرأس فكأن المتصف بارتكاب الفواحش دس نفسه وقهها ومصطنع المعروف شهر نفسه ورفعها وكانت أجواب القريب تنزل الربى وبضاع الارض تشهرا نفسها للمعتفين وتوقد النيران في الليل للطارقين وكانت اللثام تنزل الاولاج والاطراف والاهضام تخفى اما كنهها على الطالبين وأولئك أهلوا أنفسهم وزكوها وأولئك أخفوا أنفسهم ودسوها وأنسد

وبوئت بيتك في معـ لم \* رحيب المباحات والمرح

كفيت العفاة طلاب القرا \* ونج الكلاب المستنج

وقال أبو العباس سألت ابن الأعرابي عن قوله وقد خاب من دساها فقال دس معناه دس نفسه مع الصالحين وليس منهم وعلى هذا فاعنى اخفى نفسه في الصالحين يرى الناس أنه منهم وهو منطو على غير ما ينطوى عليه الصالحون وقال طائفة أخرى الضمير يرجع الى الله سبحانه قال ابن عباس في رواية عطاء قد أفلحت نفس زكاه الله وأصلحها وهذا قول مجاهد وعكرمة والكوفي وسعيد ابن جبيرة ومقاتل قالوا سمعت نفس وأفلحت نفس أصلحها الله وطهرها ووفقها للطاعة حتى عمات بها وخابت وخسرت نفس أصلحها الله واغواها وابطلها وأهلكتها قال أرباب هذا القول قد أقسم الله به هذه الاشياء التي ذكرها لانهاتدل على وحدانيته وعلى فلاح من طهره وخساره من خذله حتى لا يظن أحدا أنه هو الذي يتول تطهير نفسه

واهلا كلها بالمعصية من غير قدر سابق وقضاء متقدم قالوا وهذا أبغ في التوحيد الذي سبقت  
له هذه السورة قالوا ويدل عليه قوله فآلهما فجورها وتقواها قالوا ويشهد له حديث نافع  
عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة عن عائشة أنها قالت اتبعت نفسي ليلة فوجدت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهو يقول رب أعط نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها  
ومولاها قالوا فهذا الدماء هو تأويل الآية بدليل الحديث الآخر أن النبي صلى الله عليه وسلم  
كان إذا قرأ فألح من زكاها وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وزكها  
أنت خير من زكاها قالوا وفي هذا ما يبين أن الأمر كله سبحانه فانه هو خالق النفس وملهمها  
الفجور والنقوى وهو من كياها ومدسيها فليس للعبد في الأمر شيء ولا هو مالك من أمر  
نفسه شيئا قال أرباب القول الأول هذا القول وإن كان جائزا في العربية حاملا للضمير المنصوب  
على معنى من وإن كان لفظها مذكرا كما في قوله ومنهم من يستمعون اليك جمع الضمير وإن كان  
لفظ من مفردا جلا على نظمها فهذا أغما يحسن حيث لا يقع لبس في مفسر الضمائر وههنا قد تقدم  
لفظ من والضمير المرفوع في زكها يستحقه لفظا ومعنى فهو أولى به ثم يعود الضمير  
المنصوب على النفس التي هي أولى به لفظا ومعنى فهذا هو النظم الطبيعي الذي يقتضيه سياق  
الكلام ووضعها وأما עוד الضمير الذي يلي من على الموصول السابق وهو قوله وما واهوا واخلى  
جاره الملاصق له وهو من ثم هو الضمير المنصوب وهو مؤنث على من ولفظه مذكرون  
النفس المؤنثة فهذا يجوز لو لم يكن للكلام محمل غيره أحسن منه فلما إذا كان سياق الكلام  
ونظمه يقتضي خلافه ولم تدع الضرورة إليه فالجمل عليه ممتنع قالوا والقول الذي ذكرناه أرجح  
من جهة المعنى لوجوه أحدها أن فيه إشارة إلى ما تقدم من تعاليق الفلاح على فعل العبد  
واختياره كما هي طريقة القرآن الثاني أن فيه زيادة فائدة وهي إثبات فعل العبد وكسبه وما يثاب  
وعليه في قوله فآلهما فجورها وتقواها أثبات القضاء والقدر السابق فتضمنت  
الآيتان هذين الأصلين العظيمين وهما كثير أما في القرآن كقوله إن هذه تذكرة  
فمن شاء ذكره وما يذكرون الآن يشاء الله وقوله لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤون الآن يشاء الله  
رب العالمين فتضمنت الآيتان الرد على القدرية والجبرية الثالث أن قولنا يستلزم قولكم  
دون العكس فإن العبد إذا زكى نفسه ودساها فآلهما يزيها بعد تزكية الله لها بتوفيقه  
وأمانته وإنما يدسيها بعد تدسية الله لها بخذلانه والنخلة بينه وبين نفسه بخلاف ما إذا كان  
المعنى على القدر السابق المحض لم يبق لكسب وفعل العبد ههنا ذكر البتة

فصل في ذكر في هذه السورة ثمود دون غيرهم من الأمم المكذبة فقال سبحانه هذا والله  
أعلم من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى فإنه لم يكن في الأمم المكذبة أخف ذنبا وعذابا منهم  
اذلم يذكر عنهم من الذنوب ما ذكر عن عاد ومدين وقوم لوط وغيرهم ولهذا لما ذكرهم وماذا  
قال فاما ما ذكروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد مناقرة أولم يروا أن الله الذي خلقهم  
هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يمجدون واما ما ذكروا من أنهم فاستغفروا العصى على الهدى وكذلك  
إذا ذكرهم مع الأمم المكذبة لم يذكر عنهم ما ذكر عن أولئك من التجر والتكبر والأعمال  
السئية كالأوط وبخس المكيال والميزان والفساد في الأرض كما في سورة هود والشمراء

اوغيرهما فكان في قوم لوط مع الشرك ايمان الفاحشة التي لم يسبقوا اليها وفي قوم عاد مع الشرك التكبر والتوسع في الدنيا وشدة البطش وقولهم من أشدنا قوة وفي أصحاب مدين مع الشرك الظلم في الأموال وفي قوم فرعون مع الشرك الفساد في الأرض والعلو وكان عذاب كل أمة بحسب ذنوبهم وجرائمهم فعذب قوم عاد بالريح الشديدة العاتية التي لا يقوم لها شيء وعذب قوم لوط بأنواع العذاب لم يعذب بها أمة غيرهم فجمع لهم بين الهلاك والرجم بالجسارة من السماء وطمس الأبصار وقلب ديارهم عليهم بأن جعل عاليها سافلها والخسف بهم إلى اسفل سافلين وعذب قوم شعيب بالنار التي أحرقتهم واحترقت تلك الأمم وال التي اكتسبوها بالظلم والعدوان وأما ثمود فاعلموا بالصحة فأنوافي الحال فإذا كان عذاب هؤلاء وذنوبهم مع الشرك عقرا لناقصة التي جعلها الله آية لهم فمن انتهك محارم الله واستخف بأوامره ونواهيه وعقر عباده وسفك دماءهم كان أشد عذابا ومن اعتبر أحوال العالم قديما وحديثا وما يعاقب به من سعى في الأرض الفساد وسفك الدماء بغير حق وإقام الفتن واستهتان بحرمات الله علم أن الجحمة في الدنيا والآخرة للذين آمنوا وكانوا يتقون قلت وقد يظهر في تخصيص ثمود ههنا بالذكر دون غيرهم معنى آخر وهو أنهم ردوا الهدى بعدما نيقنوه وكانوا مستبصرين به قد تلجأت له صدورهم واستيقظت له أنفسهم فاختاروا عليه العمى والضلالة كما قال تعالى في وصفهم وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وقال وآتينا ثمود الناقة مبصرة أية موجهة لهم التبصرة واليقين وإن كان جميع الأمم المهلكة هذا شأنهم فإن الله لم يهلك أمة إلا بعد قيام الحجة عليها لكن خصت ثمود من ذلك الهدى والبصيرة بمزيد ولهذا لما قرنهم بقوم عاد قال فاما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ثم قال فاما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ولهذا أمكن عاد المكابرة وإن يقولوا لتبهم ما جئتنا ببينة ولم يمكن ذلك ثمود وقدرأوا البينة عيانا وصارت لهم بمنزلة رؤية الشمس والقمر فردوا الهدى بعد تيقنه والبصيرة التامة فكان في تخصيصهم بالذكر تحذير لكل من عرف الحق في ولم يقبله وهذا داء أكثر الهالكين وهو اعم الادواء واغلبها على أهل الأرض والله أعلم

فصل في ومن ذلك قوله تعالى والتجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا سر هل في ذلك قسم لذي جر قبل جوابه ان ربك لبالمرصاد وهذا ضعيف لوجهين أحدهما طول الكلام والفصل بين القسم وجوابه يحمل كثيرة والثاني قوله ان ربك لبالمرصاد ذكر تقرير عقوبة الله الامم المذكورة وهي عاد و ثمود وفرعون فذكر عقوبتهم ثم قال مقرر او محذرا ان ربك لبالمرصاد فلا ترى تعلقه بذلك دون القسم واحسن من هذا أن يقال ان العجر في الليالى العشر زمن يتضمن أملا معظمة من المناسك وأمكنة معظمة وهي محلها وذلك من شعائر الله المتضمنة خضوع العبد لربه فان الحج والنسك عبودية محضة لله وذلل وخضوع لعظمته وذلك ضد ما وصف به عاد و ثمود وفرعون من العتو والتكبر والتجبر فان النسك يتضمن غاية الخضوع لله وهؤلاء الأمم عتوا وتكبروا عن أمر ربهم وفي صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من

هذه الايام العشر قبل يارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا رجل  
خرج بنفسه وماله لم يرجع من ذلك بشيء فالزمان المتضمن لمثل هذه الاعمال اهل ان يقسم  
الرب عز وجل به والفجر ان اريد به جنس الفجر كما هو ظاهرا للفظ فانه يتضمن وقت صلاة الصبح  
التي هي اول الصلوات فافتتح القسم بما يتضمن اول الصلوات وختمه بقوله والليل اذا يسر  
المتضمن لآخر الصلوات وان اريد بالفجر فجر مخصوص فهو فجر يوم النحر وليلته التي  
هي ليلة عرفة فتلك الليلة من افضل ايام الى العام وما روى الشيطان في ليلة احر ولا احقر  
ولا اغيظ منه فيها وذلك الفجر فجر يوم النحر الذي هو افضل الايام عند الله كما ثبت عن النبي  
صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الايام عند الله يوم النحر رواه ابو داود باسناد صحيح وهو  
آخر ايام العشر وهو يوم الحج الاكبر كما ثبت في صحيح البخاري وغيره وهو اليوم الذي اذن  
فيه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرى من المشركين ورسوله وان لا يحج بعد  
العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا خلاف ان المؤذن اذن بذلك في يوم النحر لا يوم  
عرفة وذلك بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا وتأويلا للقرآن وعلى هذا فقد  
تضمن القسم المناسك والصلوات وهما المختصان بعبادة الله والخضوع له والتواضع لعظمته  
ولهذا قال الخليل ان صلاتي ونسبي ومحباي ومماتي لله رب العالمين وقبل خاتم الرسل فصل ربك  
وانحر بخلاف حال المشركين المتكبرين الذين لا يعبدون الله وحده بل يشركون به ويستكبرون  
عن عبادته كحال من ذكر في هذه السورة من قوم عاد وثمود وفرعون وذكر سبحانه من  
جمله هذه الاقسام الشفع والوتر اذهبه الشعائر المعظمة منها شفع ومنها وتر في الامكنة  
والازمنة والاعمال فالصفا والمروة شفع والبيت وتر والجمرات وترومى ومن دلفة شفع  
وعرفة وتر وأما الاعمال فالطواف وتر وركعتاه شفع والطواف بين الصفا والمروة وتر  
ورمى الجمار وتر كل ذلك سبع سبع وهو الاصل فان الله وتر يحب الوتر والصلاة منها شفع  
ومنها وتر والوتر يوتر الشفع فتكون كلها وتر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الليل  
مثنى مثنى فاذا خشيت الصبح فاوتر بواحدة توتر لك ما قد صليت وأما الزمان فان يوم  
عرفة وتروى يوم النحر شفع وهذا قول أكثر المفسرين وروى مجاهد عن ابن عباس الوتر آدم  
وشفع بزوجه حواء وقال في رواية أخرى الشفع آدم وحواء والوتر الله وحده وعنه رواية  
ثالثة الشفع يوم النحر والوتر اليوم الثالث وقال عمران بن حصين وقتادة الشفع والوتر  
هي الصلاة وروى فيه حديثا مرفوعا وقال عطية العوفي الشفع الخلق قال الله تعالى  
ونخلقناكم أزواجا والوتر هو الله وهذا قول الحكم قال كل شيء شفع والله وتر وقال ابو  
صالح خلق الله من كل شيء زوجين اثنين والله وتر واحد وهذا قول مجاهد ومسروق  
وقال الحسن الشفع والوتر العدد كله من شفع وتر وقال ابن زيد الشفع والوتر الخلق  
كله من شفع وتر قال مقاتل الشفع الايام والايالي والوتر اليوم الذي ليلية بعده وهو يوم  
القيامة وذكرت أقوال أخر هذه أصولها ومدارها كلها على قولين أحدهما أن الشفع  
والوتر نوعان للمخلوقات والمأمورات والثاني أن الوتر الخالق والشفع المخلوق وعلى هذا  
القول فيكون قد جمع في القسم بين الخالق والمخلوق فهو نظير ما تقدم في قوله والشمس



وضحاها ونظير ما ذكر في قوله وشاهد وشهود وما ذكر في قوله والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلّى وما خلق الذكور والانثى وقال ههنا والليل اذا يسر وفي سورة المدثر أقسم بالليل اذا أدبر وفي سورة التكويد أقسم بالليل اذا عسعس وقد فسر بأقبل وفسر بأدبر فان كان المراد اقباله فقد أقسم بأحوال الليل الثلاثة وهي حالة اقباله وحالة امتداده وسريانه وحالة ادباره وهي من آياته الدالة عليه سبحانه وعرف العجبر باللام اذ كل أحد يعرفه ونكر الهيا إلى العشر لأنها انما تعرف بالعلم وأبضا فان التنكير تعظيم لها فان التنكير يكون للتعظيم وفي تعريف العجبر ما يدل على شهرته وأنه العجبر الذي يعرفه كل أحد ولا يجهله فلما تضمن هذا القسم ما جاء به ابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم كان في ذلك ما دل على القسم عليه ولهذا اعتبر القسم بقوله تعالى هل في ذلك قسم لذي جبر فان عظمت هذا المقسم به يعرف بالنبوة وذلك يحتاج الى جبر يحجز صاحبه عن الغفلة واتباع الهوى ويحمّله على اتباع الرسل لئلا يصيبه ما اصاب من كذب الرسل كعاد وفرعون وثمود ولما تضمن ذلك مدح الخاضعين والمتواضعين ذكر حال المستكبرين المنجبرين الطاغين ثم أخبر انه صب عليهم عذاب ونكره امالته عظيم واما لان يسير امن عذابه استأصلهم وأهلكهم ولم يكن معه بقاء ولا ثبات ثم ذكر حال الموسع عليهم في الدنيا والمقتدر عليهم وأخبر ان توسعته على من وسع عليه وان كان اكرامه في الدنيا فليس ذلك اكراما على الحقيقة ولا يدل على أنه كريم عنده من أهل كرامته ومحبه وأن تقديره على من قدر عليه لا يدل على اهانت له وسقوط منزلته عنده بل يوسع ابتلاء وامتحانا ويقترب ابتلاء وامتحانا فيبتلى بالنعم كما يبتلى بالمصائب وسبحانه هو يبتلى عبده بنعمة تجلب له نعمة وبنعمة تجلب له نعمة وبنعمة تجلب له نعمة أخرى وبنعمة تجلب له نعمة أخرى فهذا شأن نعمه ونعمه سبحانه وتضمنت هذه السورة ذم من اغتر بقوته وسلطانه وماله وهم هؤلاء الامم الثلاثة قوم ماد اغتروا بقوتهم وثمود اغتروا بجناتهم وعبوتهم وزرورهم وبسائتهم وقوم اغتروا بالمال والرياسة فصارت طافتهم الى ما فقص الله علينا وهذا شأنه دائما مع ~~كل~~ من اغتر بشئ من ذلك لا بد أن يفسده عليه ويسلبه اياه ثم ذكر سبحانه حال الانسان في معاملة من هو اضعف منه كاليتيم والمساكين فلا يكرم هذا ولا يحض على اطعام هذا ثم ذكر حرصه على جمع المال واكله وحبسه وذلك هو الذي اوجب له عدم رحمة اليتيم والمساكين ثم ختم السورة بمدح النفس المطمئنة وهي الخاشعة المتواضعة لربها وما تؤول اليه من كرامته ورحمته كما ذكر قبلها حال النفس الامارة وما تؤول اليه من شدة هذابه ووثاقه

**فصل** وأما سورة لا أقسم بهذا البلد فذكر فيها جواب القسم وهو قوله لقد خلقنا الانسان في كبد وفسر الكبد بالكبد المستوى وانتصاب القامة قال ابن عباس في رواية مقسم من نصبا على قدميه وهذا قول ابي صالح والضحاك وابراهيم وعكرمة وعبد الله ابن شداد قال المنذر سمعت ابا طالب يقول الكبد المستوى والاستقامة وفسر بالنصب هذا قول مجاهد وسعيد بن جبيرة والحسن ورواية عن علي بن ابن عباس قال الحسن لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وقال سعيد بن ابوالحسن يكابد مصائب الدنيا وشدة اثارها وقال قتادة



يكابد امر الدنيا والآخرة فلا تلقاه الا في مشقة وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال يعني حمله وولادته ورضاعه وفصاله ونبت اسنانه وحياته ومعاشه ومماته كل ذلك شدة قال مجاهد جلته امه كرها ووضعته كرها ومعيشته في شدة فهو يكابد ذلك وعلى هذا الكبد من مكابدة الامروهي معاناة شدته ومشقته والرجل يكابد الليل اذا قاسى هوله وصعوبته والكبد شدة الامرو منه تكبد الابن اذا غلظ واشتد ومنه الكبد لانها دم يغلظ ويشد واتصاب القامة والاستوى من ذلك لانه انما يكون من قوة وشدة فان الانسان مخلوق في شدة يكونه في الرحم ثم في القمبات والرباط ثم هو على خطر عظيم عند بلوغه حال التكليف ومكابدة المعيشة والامروالتهى ثم مكابدة الموت وما بعده في البرزخ وموقف القيامة ثم مكابدة العذاب في النار ولا راحة له الا في الجنة وفسر الكبد بشدة الخلق واحكامه وقوته ومنه قول لبيد

عين هلا بكيت أريد \* اذ قنا وطم الخصوص في كبد

اي في شدة وعناء وهذا يشبه قوله تعالى نحن خلقناهم وشددنا أسرهم قال ابن عباس اي خلفهم وقال ابو عبيدة الاسر شدة الخلق يقال فرس شديد الاسر قال وكل شيء شدته من قتب او غيره فهو مأسور وقال المبرد الاسر القوي كلها وقال الليث الاسر قوة المفاصل والواصل وشدة الله أسرفلان اي قوى خلقه وكل شيء جمع طرفاهما فشد احدهما بالآخر فقد اسروا قال الحسن شدتنا واصلناهم بعضهم الى بعض بالعروق والعصب وقال مجاهد هو الشرج يعني موضع البول والغائط اذا خرج الاذى تقبضا والمقصود انه سبحانه اقسم في سورة البلد على حال الانسان واقسم سبحانه بالبلد الامين وهو مكة ام القرى ثم اقسم بالوالد وما واد وهو آدم وذريته في قول جمهور المفسرين وعلى هذا فقد تضمن القسم اصل المكان واصل السكان فرجع البلاد الى مكة ومرجع العباد الى آدم وقوله وانت حل بهذا البلد فيه قولان احدهما انه من الاحلال وهو ضد الاحرام والثاني انه من الحلول وهو ضد الظمن فان اريد به المعنى الاول فهو وحال ساكن البلد بخلاف المحرم الذي يحج ويعتمر ويرجع ولان امنه انما يظهر به النعمة عند الحل من الاحرام والا ففي حال الاحرام هو في امان والحرمة هناك لا فعل لانه كان والمقصود هو ذكر حرمة المكان وهي انما تظهر بحال الحل الذي لم يتلبس بما يقتضي امنه وان كان على هذا فانه اذا اقسم به وفيه الحل فاذ كان فيه الحرام فهو أولى بالتعظيم والامن وكذلك اذا اريد المعنى الثاني وهو الحلول فهو متضمن لهذا التعظيم مع تضمنه بامر آخر وهو اقسام بلده المشتمل على رسوله وعبدته فهو خير البقاع وقد اشتمل على خير العباد فجعل بيته هدى للناس ونبيه اماما وهاديا لهم وذلك من اعظم نعمه واحسانه الى خلقه كما هو اعظم آياته ودلائل وحدانيته وربوبيته فمن اعتبر حال بيته وحال نبيه وجد ذلك من اظهر أدلة التوحيد والربوبية وفي الآية قول ثالث وهو ان المعنى وانت مسخّل قتلك واخراجك من هذا البلد الامين الذي يأمن فيه الطير والوحش والجاني وقد اسخّل قومك فيه حرمتك وهم لا يعضدون به شجرة ولا ينفرون به صيدا وهذا مروي عن شرحبيل بن سعد وعلى كل حال فهي جملة اعتراض في اثناء القسم موقعها من احسن موقع والطفه فهذا القسم متضمن لتعظيم بيته ورسوله ثم انكر سبحانه على الانسان ظنه وحسابه ان لن يقدر عليه من خلقه في هذا الكبد والشدة والقوة

التي يكابدها الامور فان الذي خلقه كذلك أولى بالقدرة منه وأحق فكيف يدركه من لم يكن قادرا في نفسه فهذا برهان مستقل بنفسه مع انه متضمن للجزء الذي مناطه القدرة والعلم فنبه على ذلك بقوله أحسب أن ان بقدر عليه احد وبقوله أحسب أن لم يره أحد فيحصى عليه ما عمل من خير وشر ولا يقدر عليه فيجازه بما يستحقه ثم انكر سبحانه على الانسان قوله أهلك ما لا بداء وهو الكثير الذي يلبد بعضه فوق بعض فافخر هذا الانسان باهلاكه وانفاقه في غير وجهه اذ لو أنفقه في وجوهه التي أمر بانفاقه فيها ومنعه - واضعه لم يكن ذلك اهلا كاله بل تقربا به الى الله وتوصلا به الى رضاه وثوابه وذلك ليس باهلا كاله فانكر سبحانه اقتضاره وتبعده بانفاق المال في شهوانه واغراضه التي انفاقه فيها اهلا كاله ثم وبخه سبحانه بقوله أحسب أن لم يره أحد وأنا ههنا بلم الدالة على المضي في مدة ابله قوله أهلك ما لا بداء فان ذلك في الماضي فبحسب أن لم يره أحد فيما أنفقه وفيما أهلكه ثم ذكر برهاما مقدرا انه سبحانه أحق بالرزبة وأولى من هذا العبد الذي له هينان يصبر بهما فكيف يعطيه البصر من لم يره وكيف يعطيه آلة البيان من الشفتين واللسان فينطق ويبين عما في نفسه ويأمر وينهى من لا يتكلم ولا يكلم ولا يخاطب ولا يأمر ولا ينهى وهل كمال المخلوق مستفاد الا من كمال خالقه ومن جعل غيره طالما بنجدي الخير والشر وهما طريقاهما أولى وأحق بالعلم منه ومن هداه الى هذين الطريقين وكيف يليق به ان يتركه سدى لا يعرفه ما بضره وما ينفعه في معاشه ومعاذه وهل النبوة والرسالة الا تكميل هداية التجددين فدل هذا كله على اثبات الخالق وصفات كماله وصدق رساله ووعدده ووعدده وهذه اصول الايمان التي اتفقت عليها جميع الرسل من اولهم الى آخرهم اذ تأمل الانسان حاله وخلقه وجده من اعظم الادلة على صحته وثبوتها فتكفي في الانسان فكرته في نفسه وخلقه والرسول بعثوا منذ كرسن بما في الفطر والعقول مكملين له لتقوم على العبد حجة الله بفطرته ورسالاته ومع هذا فقسمت عليه حجة ولم يقسم العقبة التي بينه وبين ربه التي لا يصل اليها حتى يقسمها بالاحسان الى خلقه بفك الرقة وه- وتخليصها من الرق لخلصه الله من رق نفسه ورق عدوه والطعام البقيم والسكين في يوم المجاعة وبالاخلاص له سبحانه بالايمان الذي هو خالص حقه عليه وهو تصديق خبره وطاعة امره وابتغاء وجهه ونصيحة غيره ان يوصيه بالبر والرحمة ويقبل وصية من اوصاه بها فيكون صابرا رحيما في نفسه معينا غيره على الصبر والرحمة فلم يقسم هذه العقبة وهلك دونها هلك منقطع عن ربه غير واصل اليه بل محجوب عنه والناس قسمان ناج وهم من قطع العقبة وصار وراءها وهالك وهو من دون العقبة وهم اكثر الخلق ولا يقسم هذه العقبة الا المضمر ونفاتها عقبة كثود شاقة لا يقطعها الا خفيف الظهر وهم اصحاب المينة والهالك دون العقبة الذين لم يصرفوا الخبر ولم يطيعوا الامر فهم اصحاب المشامة عليهم نار مؤصدة قد اطبقت عليهم فلا يستطيعون الخروج منها كما طبقت عليهم اعمال الغي والاعتقادات الباطلة المنافية لما اخبرت به رساله فلم تخرج قلوبهم منها كذلك اطبقت عليهم هذه النار فلم تستطع اجسامهم الخروج فتأمل هذه السورة على اختصارها وما اشتملت عليه من مطالب العلم والايمان وبالله التوفيق وايضا فان طريقة القرآن بذكر العلم والقدرة تهديدا وتخويفا

لترتب الجزاء عليهما كما قال تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا وقوله تعالى أرايت  
الذي ينهى عبدا إذا صلى إلى قوله ألم يعلم بأن الله يرى وقوله تعالى وقل اعلموا فسيرى الله  
عملكم ورسوله والمؤمنون وقال ام يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم  
يكتبون وهذا كثر جد في القرآن وليس المراد به مجرد الاخبار بالقدرة والعلم لكن الاخبار  
مع ذلك بما يترتب عليهما من الجزاء بالعدل فانه اذا كان قادرا امكن مجازاته واذا كان طالما امكن  
ذلك بالقسط والعدل ومن لم يكن قادرا لم يمكن مجازاته واذا كان قادرا لم يكن غير عالم بتفاصيل  
الاعمال ومقادير جزاء عالم يحجز بالعدل والرب تعالى موصوف بكمال القدرة وكمال  
العلم فالجزاء منه موقوف على مجرد مشيئته وارادته فحيثما يجب على العاقل ان يطلب النجاة  
منه بالاخلاص والاحسان فهو اقتحام العقبة المتضمن للتوبة إلى الله تعالى والاحسان إلى خلقه  
وقال فلا اقنم العقبة وهو فعل ماض ولم يكرر معه لا اما استعمالا لاداة لا كما استعمال ما واما  
اجراء لهذا الفعل مجرى الدعاء نحو فلا - لم ولا تاش ونحو ذلك واما لان العقبة قد فسرت  
بمجموع امور فاقحامها فعل كل واحد منها فأغنى ذلك عن تكريرها فكأنه قال ولا لك رقبة  
ولا أطم ولا كان من الذين آمنوا وقراءة من قرأ فك رقبة بالفعل كأنها أرجح من قراءة من  
قرأها بالمصدر لان قوله وما أدراك ما العقبة على حد قوله وما أدراك ما الخافه وما أدراك  
ما يوم الدين وما أدراك ما هيه نار حامية ونظائره تعطيا لشأن العقبة وتخيلا لامرها وهي  
جولة اعتراض بين المفسر والمفسر فان قوله فك رقبة أو اطعام إلى قوله ثم كان من الذين آمنوا  
تفسير لاقتحام العقبة وليس هو تفسير النفس العقبة فان العقبة مكان شاق كؤد يقنم الناس  
حتى يصلوا إلى الجنة واقتحامه بفعل هذه الامور فمن فعلها فقد اقتحم العقبة ويبدل على ذلك قوله  
تعالى ثم كان من الذين آمنوا وهذا عطف على قوله فك رقبة والاحسن تناسب هذه الجملة المعطوفة  
التي هي تفسير لما ذكر أولا وايضا فان من قرأها بالمصدر المضاف والابدله من تقدير وهو ما أدراك  
ما اقتحام العقبة واقتحامها فك رقبة وايضا فان قرأها بالفعل فقد طابق بين المفسر وما فسره  
ومن قرأها بالمصدر فقد طابق بين المفسر وبعض ما فسره فان التفسير ان كان لقوله اقنم  
طابقه بقوله ثم كان من الذين آمنوا وما بعده دون فك رقبة وما يليه وان كان لقوله العقبة طابقه  
فك رقبة واطعام دون قوله ثم كان من الذين آمنوا وما بعده وان كانت المطابقة حاصلة معنى  
فحصوها لفظا ومعنى أنم واحسن واختلف في هذه العقبة هل هي في الدنيا أو في الآخرة  
فقال طائفة العقبة ههنا مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والشیطان في أعمال البر وحكوا  
ذلك من الحسن ومقاتل قال الحسن عقبة والله شديدة بمجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه  
والشیطان وقال مقاتل هذا مثل ضربه الله يريد ان المعتق رقبة والمطعم اليتيم والمسكين يقاوم  
نفسه وشیطانه مثل أن يتكلف صعود العقبة فشبه المعتق رقبة في شدته عليه بالمكلف صعود  
العقبة وهذا قول أبي عبيدة وقالت طائفة بل هي عقبة حقيقة يصعد بها الناس قال عطاء هي  
عقبة جهنم وقال الكلبي هي عقبة بين الجنة والنار وهذا قول مقاتل انها عقبة جهنم وقال مجاهد  
والضحاك هي الصراط يضرب على جهنم وهذا كله قول الكلبي وقول هؤلاء أصح نظرا  
وأرواغة قال قتادة فانها عقبة شديدة فاقنموها بطاعة الله وفي اثر معروف ان بين ايديكم

عقبة كؤود لا يقصدها الا الخفون أو نحو هذا وان الله سمي الايمان به وفعل ما أمر وترك ما نهى  
عقبة فكثيرا ما يقع في كلام السلف الوصية بالتضمن لا قنحام العقبة وقال بعض الصحابة  
وقد حضره الموت فجعل يبكي ويقول مالي لأبكي وبين يدي عقبة كؤود أهبط منها مالي  
جنة وأما الى نار فهذا القول أقرب الى الحقيقة والآثار السلفية والمآلوف من عادة القرآن  
في استعماله وما أدراك في الامور الغائبة العظيمة كما تقدم والله أعلم

**فصل** ومن ذلك اقسامه بالتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين فاقسم  
سبحانه بهذه الامكنة الثلاثة العظيمة التي هي مظاهر انبيائه ورسله أصحاب الشرائع  
العظام والامم الكثيرة فالتين والزيتون المراد به نفس الشجرتين المعروفتين ومنبتهما  
وهو ارض بيت المقدس فانها أكثر البقاع زيتونا وتينا وقد قال جماعة من المفسرين انه  
سبحانه اقسم بهذين النوعين من الثمار لما كان العزة فيهما فان التين فاكهة مخلصه من شوائب  
التنقيص لا عجم له وهو على مقدار القيمة وهو فاكهة وقوت وغذاء وأدم ويدخل في الادوية  
ومن اجده من اعدل الا من جف وطبعه طبع الحياة الحرارة والرطوبة وشكله من أحسن الاشكال  
ويدخل أكله والنظر اليه في باب المفرحات وله اذنة يمتاز بها عن سائر الفواكه ويزيد في القوة  
وبوافق الباءة وينفع من البواسير والقرس وبؤ كل رطباً ويابساً وأما الزيتون ففيه  
من الآيات ما هو ظاهر لمن اعتبر فان عوده يخرج ثمرا يعصر منه هذا الدهن الذي هو مادة النور  
وصبغ الاكلين وطيب ودواء وفيه من مصالح الخلق ما لا ينحى وشجره باق على عمر السنين  
المنطاوله وورقه لا يسقط وهذا الذي قالوه حق ولا ينافي أن يكون منبته مراداً فان منبت  
هاتين الشجرتين حقيق بأن يكون من جملة البقاع الفاضلة الشريفة فيكون الاقسام قد  
تناول الشجرتين ومنبتهما وهو مظهر عبد الله ورسوله وكنهه وروحه عيسى ابن مريم كما ان  
طور سينين مظهر عبده ورسوله وكليمه موسى فان الجبل الذي كلمه عليه ونجاه وأرسله الى  
فرعون وقومه ثم اقسم بالبلد الامين وهو مكة مظهر خاتم انبيائه ورسله سيد ولد آدم وترقى  
في هذا القسم من الفاضل الى الافضل فبدأ بوضع مظهر المسيح ثم ثنى بوضع مظهر الكليم  
ثم ختمه بوضع مظهر عبده ورسوله واكرم الخلق عليه ونظير هذا بعينه في التوراة التي ازلها  
الله على كليمه موسى جاء الله من طور سيناء واشرق من ساعير واستعلن من فاران فبعثه من  
طور سيناء بعثته لموسى بن عمران وبدأ به على حكم الترتيب الواقع ثم ثنى بنبوة المسيح ثم ختمه  
بنبوة محمد وجعل نبوة موسى بمنزلة مجيئ الصبح ونبوة المسيح بعده بمنزلة طلوع الشمس  
واشراقها ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم بعدهما بمنزلة استعلاء وظهورهما للعالم ولما  
كان الغالب على بني اسرائيل حكم الحسن ذكر ذلك مطابقا للواقع ولما كان على الامة الكاملة  
حكم العقل ذكرها على الترتيب العقلي واقسم بها على بداية الانسان ونهايته فقال لقد خلقنا  
الانسان في أحسن تقويم أى في أحسن صورة وشكل واعتدال معتدل القامة مستوي الخلق  
كامل الصورة أحسن من كل حيوان سواه والتقويم بصير الشيء على ما ينبغي ان يكون في التأليف  
والتعديل وذلك صنعته تبارك وتعالى في قبضته من تراب وضعه بالمشاهدة في نقطة من ماء وذلك  
من أعظم الآيات الدالة على وجوده وقدرته وحكمته وعلوه صفات كماله ولهذا يكررها كثيرا في

القرآن لما كان العبرة بها والاستدلال باقرب الطرق على وحدانيته وعلى المبدأ والمعاد وتضمن  
 اقسام تلك الاثمنة الثلاثة الدالة عليه وعلى علمه وحكمته وعنايته بخلقه بأن أرسل منها  
 رسلا أنزل عليهم كتبه يعرفون العباد بربهم وحقوقه عليهم وينذرونهم بالله وتقمينه  
 ويدعونهم الى كرامته وثوابه ثم لما كان الناس في اجابة هذه الدعوة فريقين منهم من اجاب  
 ومنهم من أبى ذكر حال الفريقين فذكر حال الاكثرين وهم المرد ودون الى اسفل سافلين  
 والصحيح انه النار قاله مجاهد والحسن وابو العالية قال على ابن أبي طالب رضى الله عنه  
 هي النار بعضها اسفل من بعض وقوات طائفة منهم قتادة وعكرمة وعطاء والكلي  
 وابراهيم انه ارذل العمر وهو مروي عن ابن عباس والصواب القول الاول لوجوه احدها  
 ان ارذل العمر لا يسمى اسفلا سافلين لافى لغة ولا عرف وانما اسفل سافلين هو سجين الذي هو  
 مكان القبر كما ان عليين مكان الارباب الثاني أن المردودين الى اسفل العمر بالنسبة الى نوع  
 الا انسان قليل جدا فكثرهم يموت ولا يرد الى ارذل العمر الثالث ان الذين آمنوا وعملوا  
 الصالحات يستوونهم وغيرهم في ردم طال عمره منهم الى ارذل العمر فليس ذلك مختصا  
 بالكفار حتى يستثنى منهم المؤمنين الرابع ان الله سبحانه لما اراد ذلك لم يخصه بالكفار بل جمعه  
 جنس بنى آدم فقال ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم  
 شيئا فجعلهم قسمين قسم يتوفى قبل الكبر وقسم يردودا الى ارذل العمر ولم يسمه اسفل  
 سافلين الخامس انه لا يحسن المقابلة بين ارذل العمر وبين اجزاء المؤمنين وهو سبحانه قابل  
 بين جزاء هؤلاء وجزاء اهل الايمان فجعل جزاء الكفار اسفل سافلين وجزاء المؤمنين  
 اجرا خيرا منون السادس ان قول من فسره بارذل العمر يتلزم خلوا الآية عن جزاء الكفار  
 وما قبله امرهم وتفسيرها بامر محسوس فيكون فترك الاخبار عن المقصود الاثم واخبر  
 عن امر يعرف بالحس والمشاهدة وفي ذلك هضم لمعنى الآية وتقصر يربها عن المعنى  
 اللائق بها السابع انه سبحانه ذكر حال الانسان في مبداء ومعاده فبدأ خلقه في احسن  
 تقويم ومعاده رده الى اسفل سافلين او الى اجر غير ممنون وهذا موافق لطريقة القرآن  
 ومادته في ذكر مبداء العبد ومعاده فالأرذل العمر وهذا المعنى المطلوب المقصود اثباته  
 والاستدلال عليه التبان ان ارباب القول الاول مضطرون الى مخالفة الحس واخراج  
 الكلام عن ظاهره والتكلف البعيدة فانهم ان قالوا ان الذي يرد الى ارذل العمر هم الكفار  
 دون المؤمنين كابروا الحس وان قالوا ان من الذنوب من يرد الى ارذل العمر احتاجوا  
 الى التكلف لصحة الاستثناء فانهم من قدر ذلك بان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا تبطل  
 اعمالهم اذ اردوا الى ارذل العمر بل تجري عليهم اعمالهم التي كانوا يعملونها في الصحة فهذا  
 وان كان حقا فان الاستثناء انما وقع من ردلا من الأجر والعمل ولما علم ارباب هذا القول  
 ما فيه من التكلف خص بعضهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات بقراءة القرآن خاصة فقالوا  
 من قرأ القرآن لا يرد الى ارذل العمر وهذا ضعيف من وجهين احدهما ان الاستثناء عام  
 في المؤمنين قارئهم واميمهم انه لا دليل على ما ادعوه وهذا لا يعلم بالحس ولا خبر يجب التسليم  
 له بقضيه والله اعلم التاسع انه سبحانه ذكر نعمته على الانسان بخلقه في احسن تقويم وهذه

النعمة توجب عليهم أن يشكروها بالآيمان وعبادته وحده لا شريك له فينقله حيث يشاء من هذه الدار إلى أعلى حلين فإذا لم يؤمن به وأشرك به وعصى رسوله نقله منها إلى أسفل سافلين وبذلك بعد هذه الصورة التي هي في أحسن تقويم صورة من أقبح الصور في أسفل سافلين فذلك نعمته عليه وهذا عدله فيه وعقوبته على كفران نعمته العاشر أن نظير هذه الآية قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون فالعذاب الأليم هو أسفل سافلين والمستثنون هنا هم المستثنون هناك والاجر غير ممنون هناك هو المذكور هنا والله أعلم وقوله غير ممنون أي غير مقطوع ولا منقوص ولا مكدر عليهم وهذا هو اصواب وقالت طائفة غير ممنون به عليهم بل هو جزاء أعمالهم ويذكر هذا عن عكرمة ومقاتل وهو قول كثير من القدرية قال هؤلاء إن المنة تكدر النعمة فتمام النعمة أن يكون غير ممنون بها على المنم عليه وهذا القول خطأ قطعاً أنى أربابه من تشبيه نعمة الله على عبده بأنعام المخلوق على المخلوق وهذا من أبطل الباطل فإن المنة التي تكدر النعمة هي منة المخلوق على المخلوق وأمانة الخالق على المخلوق فبتمام النعمة وانتهاء طيبها فأنها منة حقيقة قال تعالى يمينون عليكم أن أسلموا قل لا تمنوا على أسلامكم بل الله يمين عليكم أن هذا كم الآيمان أن كنتم صادقين وقال تعالى ولقد منّا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم فتكون منة عليهما بنعمة الدنيا دون نعمة الآخرة وقال موسى ولقد منّا عليك مرة أخرى وقال أهل الجنة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية وقالونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض الآية وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا أنصار ألم أجدكم ضالالا فهذا كم الله بي ألم أجدكم ماله فأغناكم الله بي جعلوا يقولون له الله ورسله آمن فهذا جواب العارفين بالله ورسله وهل المنة كل المنة إلا الله المان بفضله الذي جمع الخلق في منته وإنما قبحت منة المخلوق لأنهم آمنوا بما ليس منه وهي منة يتأذى بها الممنون عليه وأمانة المنان بفضله التي ما طاب العيش إلا بجمته وكل نعمة منه في الدنيا والآخرة فهي منة يمين بها على من أنعم عليه فذلك لا يجوز تفهيمها وكيف يجوز أن يقال أنه لا منة لله على الذين آمنوا وعملوا الصالحات في دخول الجنة وهل هذا إلا من أبطل الباطل فإنه قيل هذا القدر لا ينبغي على من قال هذا القول من العلماء وليس مرادهم ما ذكرنا مرادهم أنه لا يمين عليهم به وإن كانت لله فيه المنة عليهم فإنه لا يمين عليهم به بل يقال هذا جزاء أعمالكم التي عملتموها في الدنيا وهذا أجركم فأنتم تستوفون أجور أعمالكم لا نمن بها عليكم بما أعطيناكم قيل وهذا أيضا هو الباطل بعينه فإن ذلك الاجر ليست الأعمال ثمنا له ولا معاوضة عنه وقد قال أهل الخلق بالله لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل فآخبر أن دخول الجنة برحمة الله وفضله وذلك محض منته عليه وعلى سائر عبادته وكما أنه سبحانه المان بارسال رسوله وبالتوفيق لطاعته وبالأمانة عليها فهو المان باعطاء الجزاء وذلك كله محض منته وفضله وجوده لاحق لا تحده عليه بحيث إذا وقاه إياه لم يكن له عليه منة فإن كان في الدنيا باطل فهذا منته فإن قيل كيف تقولون هذا وقد أخبر رسول الله عنه بأن حق العباد عليه إذا وحدوه أن لا يعذبهم وقد أخبر عن نفسه أن حقا عليه

نصر المؤمنين قبل عمر والله وهذا من أعظم منته على عباده أن جعل على نفسه حقا بحكم وعده الصادق أن يثيبهم ولا يعذبهم إذا عبدوه ووحده فهذا من تمام منته فانه لو عذب أهل سمواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولكن منته اقتضت أن أحق على نفسه ثواب مآبده واجابة سائله

مالا عباد عليه حق واجب \* كلا ولا يسعى لربه ضائع

ان عذبوا فبعضه أو نعموا \* فبفضله فهو الكريم الواسع

وقوله سبحانه فابكذب بعد بالدين أصح القوالين انه هذا خطاب للانسان أى فابكذبك بالجزاء والمعاد بعد هذا البيان وهذا البرهان فتقول لك لا تبعث ولا تحاسب ولو تفكرت في مبدأ خلقك وصورتك لعلمت ان الذى خلقك أقدر على أن يعيدك بعده - وتك وبشيتك خلقا جديدا وان ذلك لو أعجزه لا عجزه وأعياء خلقك الاول وأبضا فان الذى كل خلقك في أحسن تقويم بعد أن كنت نقطة من ماء مهين كيف يليق به أن يتركك مدى لا يكمل ذلك بالامر والنهي وبيان ما ينفعك وبضرك ولا تنقل اذار هي أكل من هذه ويجعل هذه الدار طريقا لك اليها فحكمة أحكم الحاكمين تأبى ذلك وتقتضى خلاصه قال منصور قلت لمجاهد فابكذبك بعد بالدين عنى به محمدا فقال معاد الله انما عنى به الانسان وقال قتادة الضمير لاني صلى الله عليه وسلم واختاره الفراء وهذا موضع يحتاج الى شرح وبيان يقال كذب الرجل اذا قال الكذب وكذبه أنا اذا نسبته الى الكذب ولو اعتقدت صدقته وكذبه اذا اعتقدت كذبه وان كان صادقا قال تعالى وان بكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وقال فانهم لا يكذبونك فالاول بمعنى وان ينسبوك الى الكذب والثاني بمعنى لا يعتقدون لك كاذب ولكنهم يعاندون ويدفعون الحق بعدم معرفته جسم - ودا وهذا اصل هذه اللفظة ويتعدى الفعل الى الخبر بنفسه والى خبره بالباء او بنى فيقال كذبه بكذا وكذبه فيه والاول أكثر استعمالا ومنه قوله بل كذبوا بالحق لما جاءهم وقوله وكذبوا بآياتنا اذا صرف هذا مقوله فابكذبك اختلاف في ما هل هي بمعنى أى شئ بكذبك أو بمعنى من الذى بكذبك فمن جعلها بمعنى أى شئ تعين على قوله أن يكون الخطاب للانسان أى فابكذبك فبمعنى من الذى بكذبك جعل الخطاب لاني صلى الله عليه وسلم قال الفراء كانه يقول من يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما تبين له من خلق الانسان ما وصفناه وقال قتادة فن بكذبك أيها الرسول بعد هذا بالدين وعلى قول قتادة والفراء اشكال من وجهين احدهما اقامة ما تقدم من أوامره سهل والثاني ان الجار والمحرور يستدعى متعلقا وهو لكذبك أى فن بكذبك بالدين فلا يخلو اما أن يكون المعنى فن يجعلك كاذبا بالدين أو مكذبا به ولا يصح واحد منهما أما الثاني والثالث فظاهر فان كذبه ليس معناه جعلته مكذبا أو مكذبا وانما معناه نسبته الى الكذب فالمعنى على هذا فن يجعلك بعد كاذبا بالدين وهذا انما يتعدى اليه بالباء الفعل المضارع لا الثلاثي فلا يقال كذب بكذا وانما يقال كذب به وجواب هذا الاشكال ان قوله كذب بكذا معناه كذب المخبر به ثم حذف المفعول به لظهور العلة به حتى كأنه نسي منى وعدوا الفعل الى الخبر به فاذا قبل من يكذب بكذا فهو بمعنى كذبوك بكذا سواء أى نسبوك الى الكذب في الاخبار به بل الاشكال



في قول مجاهد والجمهور فان الخطأ اذا كان لانسان وهو المكذب اي فاعل التكذيب فكيف يقال له ما يكذبك اي يجهلك مكذبا والمعروف كذبه اذا جعله كاذبا مكذبا ومثل فسقه اذا جعله فاسقا لا مفسقا لغيره وجواب هذا الاشكال ان صدق وكذب بالتشديد يراد به معنيان أحدهما النسبة وهي انما تكون للفعل كما ذكرتم والثاني الداعي والحامل على ذلك وهو يكون للفاعل قال الكسائي يقال ما صدقت بكذا او ما كذبت بكذا اي ما جعلك على التصديق والتكذيب قلت وهو نظير ما أجازك على هذا اي ما جعلك على الاجترار عليه وما قد مك وما اخرك اي ماداك وجعلك على التقدير والتأخير وهذا استعمال سائغ موافق للعربية وبالله التوفيق ثم ختم السورة بقوله أليس الله بأحكم الحاكمين وهذا تقرير لمضمون السورة من اثبات النبوة والتوحيد والمعاد وحكمه يتضمن نصرته لرسوله على من كذبه وجحد ما جاء به بالجنة والقدرة والظهور عليه وحكمه بين عباده في الدنيا وبشرعه وأمره وحكمه بينهم في الآخرة بثوابه وعقابه وان احكم الحاكمين لا يليق به تعطيل هذه الاحكام بعد ما ظهرت حكمته في خلق الانسان في احسن تقويم ونقله في اطوار الخلق حاله بعد حال الى اكل الاحوال فكيف يليق بأحكم الحاكمين ان لا يجازي المحسن باحسانه والمسيء بامائه وهل ذلك الا قدح في حكمه وحكمته فله ما اخصر لفظ هذه السورة واعظم شأنها واتم معناها والله اعلم

**فصل** ومن ذلك قسم سبحانه وتعالى بالليل اذا بغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكور والانثى وقد تقدم ذكر القسم عليه وانه سعى الانسان في الدنيا وجزاءه في العقبى فهو سبحانه بقسم بالليل في جميع احواله اذ هو من آياته الدالة عليه فأقسم به وقت غشائه وانى بصيغة المضارع لانه بغشى شيئا بعد شيء واما النهار فانه اذا طلعت الشمس ظهر ونجلى وهلة واحدة ولهذا قال في سورة الشمس وضحاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها واقسم به وقت سرهانه كما تقدم واقسم به وقت ادباره واقسم به اذا عسعس فقيل معناه ادبر فيكون مطبعا لقوله والليل اذا ادبر والصبح اذا اسفر وقيل معناه اقبل فيكون كقوله والليل اذا بغشى والنهار اذا تجلى فيكون قد اقسام باقبال الليل والنهار وعلى الاول يكون القسم واقعا على انصرام الليل ومجيئ النهار حقيقه وكلاهما من آيات ربوبيته ثم اقسام بخلق الذكور والانثى وذلك يتضمن الاقسام بالحيوان كله على اختلاف اصنافه ذكره وانثاءه وقابل بين الذكر والانثى كما قابل بين الليل والنهار وكل ذلك من آيات ربوبيته فان اخراج الليل والنهار بواسطة الاجرام العلوية كاخراج الذكور والانثى بواسطة الاجرام السفلية فأخرج من الارض ذكور الحيوان وانثاه على اختلاف انواعه كما اخرج من السماء الليل والنهار بواسطة الشمس فيها واقسم سبحانه بزمان السعي وهو الليل والنهار وبالساعي وهو الذكور والانثى على اختلاف السعي كما اختلف الليل والنهار والذكور والانثى وسعيه وزمانه مختلف وذلك دليل على اختلاف جزائه وثوابه وانه سبحانه لا يسوي بين من اختلف سعيه في الجزاء كما يسوي بين الليل والنهار والذكور والانثى ثم اخبر عن طريقه بين ما قبله سعي المحسن وما قبله سعي المسيء فقال فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فتضمنت الاثبات ذكر شرعه وقدره وذكر الاعمال وجزائها وحكمة القدر في تيسير هذا



ليسرى وهذا ليسرى وان العبد ليسر بأعماله لغاياتها ولا يظلم ربك أحدا و ذكر لتيسير  
 ليسرى ثلاثة أسباب أحدها إعطاء العبد وحذف مفعول الفعل ارادة الاطلاق والتعظيم  
 اى اعطى ما أمر به وسحبت به طبيعته وطاوعته نفسه وذلك بتناول اعطائه من نفسه الايمان  
 والطاعة والاخلاص والتوبة والشكر واعطائه الاحسان والنفع بحاله ولسانه وبدنه  
 ونبته وقصده فتكون نفسه نفسا مطيعة بادلة لا نتيجة مانعة فالنفس المطيعة هي النافعة  
 المحسنة التي طبعها الاحسان واعطاء الخير اللازم والمتعدى فتعطى خيرا لنفسها ولغيرها  
 فهي بمنزلة العين التي ينفع الناس بشربهم منها وسقى دوابهم وانعامهم وزرعهم فهم ينفعون  
 بها كنف شاؤا فهي ميسرة لذلك وهكذا الرجل المبارك ليسر للنفع حيث حل فجزاء هذا أن  
 يسره الله ليسرى كما كانت نفسه ميسرة للعطاء السبب الثانى التقوى وهي اجتناب ما نهى الله  
 عنه وهذا من أعظم أسباب التيسير وضده من أسباب التعسير فالنقى ليسر عليه أمور دينه  
 وآخرته وتارك التقوى وان يسرت عليه بعض أمور دينه تعمى عليه من أمور آخرته  
 بحسب ما تركه من التقوى وأما تيسير ما ييسر عليه من أمور الدنيا فلواتقى الله لكان  
 تيسرها عليه أتم ولو قدر انها لم تيسر له فقد يسر الله له من الدنيا ما هو انفع له مما ناله بغير  
 النقى فان طبيب العيش ونعيم القلب ولذة الروح وفرحها وابتهاجها من أعظم نعيم الدنيا وهو  
 أحل من نعيم أرباب الدنيا بالشهوات واللذات وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا  
 فآخبر أنه يسر على المتقى ما لا يسره على غيره وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه  
 من حيث لا يحتسب وهذا ايضا يسر عليه بتقواه وقال تعالى ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته  
 ويعظم له أجرا وهذا تيسر عليه بازالة ما ينجشاه واعطائه ما يحب ويرضاه وقال بأيتها الذين  
 آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم وهذا يتيسر بالفرقان  
 المتضمن النجاة والنصر والعلم والنور الفارق بين الحق والباطل وتكفير السيئات ومغفرة  
 الذنوب وذلك غاية التيسير وقال تعالى واتقوا الله لعلكم تفلحون والفلاح غاية اليسر كما أن  
 الشقاء غاية العسر وقال تعالى بأيتها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من  
 رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم فضمن لهم سبحانه بالتقوى ثلاثة أمور أعطاهم  
 نصيبين من رحمته نصيبا فى الدنيا ونصيبا فى الآخرة وقد يضاهف لهم نصيب الآخرة  
 فيصير نصيبين الثانى أعطاهم نورا يمشون به فى الظلمات الثالث مغفرة ذنوبهم وهذا غاية  
 التيسير فقد جعل سبحانه التقوى سبيلا لكل يسر وترك التقوى سبيلا لكل عسر السبب  
 الثالث التصديق بالحسنى وفسرت بلاله الا الله وفسرت بالجنتى وفسرت بالخلف وهي  
 أقوال السلف واليسرى صفة لموصوف محذوف اى الحسالة والخلقة اليسرى وهي فعلى  
 من اليسر والاقوال الثلاثة ترجع الى أفضل الاعمال وأفضل الجزاء فنفسها بلاله  
 الا الله فقد فسرها بفرد بآنى بكل جمع فان التصديق الحقيقى بلاله الا الله يستلزم  
 التصديق بشعبها وفروعها كلها وجميع أصول الدين وفروعه من شعب هذه الكلمة  
 فلا يكون العبد مصداقها حقيقة التصديق حتى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه  
 ولا يكون مؤمنا بالله العالمين حتى يؤمن بصفات جلاله ونعوت كماله ولا يكون مؤمنا

في قول مجاهد والجمهور فان الخطأ اذا كان لانسان وهو المكذب اى قاعل التكذيب فكيف يقال له ما يكذبك اى بجملك مكذبا والمعروف كذبه اذا جعله كاذبا مكذبا ومثل فسقه اذا جعله فاسقا لافسقا غيره وجواب هذا الاشكال ان صدق وكذب بتشديد رادبه معنيان أحدهما النسبة وهى انما تكون للفعول كما ذكرتم والثاني الداعى والحامل على ذلك وهو يكون للفاعل قال النكس في يقال ما صدقت بكذا او ما كذبت بكذا اى ما جعلك على التصديق والكذب قلت وهو نظير ما أجرك على هذا اى ما جعلك على الاجترار عليه وما قدمك وما اخرك اى مادماك وجعلك على التقديم والتأخير وهذا استعمال سائغ موافق للعربية وبالله التوفيق ثم ختم السورة بقوله أليس الله بأحكم الحاكمين وهذا تقرير لمضمون السورة من اثبات النبوة والتوحيد والمعاد وحكمه يتضمن نصره لرسوله على من كذبه وجحد ما جاء به بالجنة والقدرة والظهور عليه وحكمه بين عباده في الدنيا وبشرعه وأمره وحكمه بينهم في الآخرة بثوابه وعقابه وان احكم الحاكمين لا يليق به تعطيل هذه الاحكام بعد ما ظهرت حكمته في خلق الانسان في احسن تقويم ونقله في اطوار الخلق حالا بعد حال الى اكل الاحوال فكيف يليق بأحكم الحاكمين ان لا يجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته وهل ذلك الا قدح في حكمه وحكمته فله ما اخصر لفظ هذه السورة واعظم شأنها وانم معناها والله أعلم

**فصل** ومن ذلك قسم سبجانه وتعالى بالليل اذا بغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكور والانثى وقد تقدم ذكر القسم عليه وانه سعى الانسان في الدنيا وجزاءه في العقبى فهو سبجانه بقسم بالليل في جميع احواله اذهو من آياته الدالة عليه فأقسم به وقت غشيانها وانى بصيغة المضارع لانه بغشى شيئا بعد شيء واما النهار فانه اذا طلعت الشمس ظهر وتجلى وهالة واحدة ولهذا قال في سورة الشمس وضحاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها واقسم به وقت سريانه كما تقدم واقسم به وقت ادباره واقسم به اذا عسعس فقبل معناه ادبر فيكون مطابقا لقوله والليل اذا ادبر والصبح اذا اسفر وقبل معناه اقبل فيكون كقوله والليل اذا بغشى والنهار اذا تجلى فيكون قد اقسام بالليل والنهار وعلى الاول يكون القسم واقعا على انصرام الليل وجمي النهار عقبه وكلاهما من آيات ربوبيته ثم اقسام بخلق الذكور والانثى وذلك يتضمن الاقسام بالحيوان كله على اختلاف اصنافه ذكره وانثاه وقابل بين الذكر والانثى كما قابل بين الليل والنهار وكل ذلك من آيات ربوبيته فان اخراج الليل والنهار بواسطة الاجرام العلوية كاخراج الذكور والانثى بواسطة الاجرام السفلية فأخرج من الارض ذكور الحيوان وانثاه على اختلاف انواعه كما اخرج من السماء الليل والنهار بواسطة الشمس فيها واقسم سبجانه بزمان السعي وهو الليل والنهار وبالساعي وهو الذكور والانثى على اختلاف السعي كما اختلف الليل والنهار والذكور والانثى وسعيه وزمانه مختلف وذلك دليل على اختلاف جزائه وثوابه وانه سبجانه لا يسوي بين من اختلف سعيه في الجزاء كما لم يسو بين الليل والنهار والذكور والانثى ثم اخبر عن تفرقه بين ما قبله سعى المحسن وما قبله سعى المسيء فقال فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنممه للبسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنممه للعسرى فتضمنت الايتان ذكر شرعه وقدره وذكر الاعمال وجزائها وحكمة القدر في تيسير هذا

ليسرى وهذا ليسرى وان العبد يسر بأعماله لغاياتها ولا يظلم ربك أحدا و ذكر لتيسير  
 ليسرى ثلاثة أسباب أحدها إعطاء العبد وحذف مفعول الفعل ارادة الاطلاق والتعظيم  
 اى اعطى ما أمر به وسحقت به طبيعته وطاوعته نفسه وذلك بتناول اعطائه من نفسه الايمان  
 والطاعة والاخلاص والتوبة والشكر واعطائه الاحسان والنفع بحاله ولسانه وبدنه  
 ونبته وقصده فتكون نفسه نفسا مطيعة بادلة لاثيمة مانعة فالنفس المطيعة هي النافعة  
 المحسنة التي طبعها الاحسان واعطاء الخير اللازم والمنعدي فتعطى خيرها لنفسها ولغيرها  
 فهي بمنزلة العين التي ينفع الناس بشربهم منها وسقى دوابهم وانعامهم وزرعهم فهم ينتفعون  
 بها كيف شاؤوا فهي ميسرة لذلك وهكذا الرجل المبارك يسر للنفع حيث حل فجزاء هذا أن  
 يسره الله ليسرى كما كانت نفسه ميسرة للعطاء السبب الثانى التقوى وهي اجتناب ما نهى الله  
 عنه وهذا من أعظم أسباب التيسير وضده من أسباب التعسير فالتقى يسر عليه أمور دينه  
 وآخرته ونارك التقوى وان يسرت عليه بعض أمور دينه تسر عليه من أمور آخرته  
 بحسب ما تركه من التقوى وأما تيسير ما يسر عليه من أمور الدنيا فلواتقى الله لكان  
 تيسر ما عليه أتم واوفا درانها لم تيسر له فقد يسر الله له من الدنيا ما هو انفع له مما ناله بغير  
 التقى فان طبيب العيش ونعيم القلب ولذة الروح وفرحها وابتهاجها من أعظم نعيم الدنيا وهو  
 أحل من نعيم أرباب الدنيا بالشهوات واللذات وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا  
 فأخبر أنه يسر على المتقى ما لا يسر على غيره وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه  
 من حيث لا يحتسب وهذا ايضا يسر عليه بتقواه وقال تعالى ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته  
 ويعظم له أجرا وهذا يتيسر عليه بازالة ما يخشاه واعطائه ما يحب وبرضاه وقال يا أيها الذين  
 آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم وهذا يتيسر بالفرقان  
 المتضمن النجاة والنصر والعلم والنور الفارق بين الحق والباطل وتكفير السيئات ومغفرة  
 الذنوب وذلك غاية التيسير وقال تعالى واتقوا الله لعلكم تفلحون والفلاح غاية اليسر كما أن  
 الشقاء غاية العسر وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من  
 رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم فضيل لهم سبحانه بالتقوى ثلاثة أمور أعطاهم  
 نصيبين من رحمته نصيبا في الدنيا ونصيبا في الآخرة وقد يضاهف لهم نصيب الآخرة  
 فيصير نصيبين الثانى أعطاهم نورا يمشون به في الظلمات الثالث مغفرة ذنوبهم وهذا غاية  
 التيسير فقد جعل سبحانه التقوى سببا لكل يسر وترك التقوى سببا لكل عسر السبب  
 الثالث التصديق بالحسنى وفسرت بلاله الا الله وفسرت بالجنة وفسرت بالخلف وهي  
 أقوال السلف واليسرى صفة لموصوف محذوف اى الحسالة والخلقة اليسرى وهي فعلى  
 من اليسر والاقوال الثلاثة ترجع الى أفضل الاعمال وأفضل الجزاء فمن فسرهما بلاله  
 الا الله فقد فسرهما بفرد بآنى بكل جمع فان التصديق الحقيقى بلاله الا الله يستلزم  
 التصديق بشعبها وفروعها كلها وجمع أصول الدين وفروعه من شعب هذه الكلمة  
 فلا يكون العبد مصدقا بها حقيقة التصديق حتى يؤمن بالله وما لا شك فيه وكتبه ورسله ولفظه  
 ولا يكون مؤمنا بالله الا العالمين حتى يؤمن بصفات جلاله ونعوت كماله ولا يكون مؤمنا

بأن الله لا اله الا هو حتى بسلب خصائص الالهية عن كل موجود سواه وسلبها عن اعتقاده  
وارادته كما هي منفية في الحقيقة والخارج ولا يكون مصداقاً بها من نفي الصفات العليا ولا  
من نفي كلامه وتكليمه ولا من نفي استواءه على مرشده وانه برفع اليه الحكم الطيب والعمل الصالح  
وانه رفع المسيح اليه وأسرى برسوله صلى الله عليه وسلم اليه وانه بدبر الأمر من السماء الى  
الارض ثم يعرج اليه الى سائر ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ولا  
يكون مؤمناً بهذه الكلمة مصداقاً بها على الحقيقة من نفي عموم خلقه لكل شيء وقدرته على  
كل شيء وعلمه بكل شيء وبعثه الاجساد من القبور ليوم النشور ولا يكون مصداقاً بها من  
زعم أنه بترك خلقه سدى لم يأمرهم ولم ينههم على السنة رسوله وكذلك التصديق بهابقضي  
الاذمان والافرار بحقوقها وهي شرائع الاسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة بالتصديق  
بجميع أخباره وامتنال أوامره واجتناب نواهيه هو تفصيل لا اله الا الله فالصدق بها على  
الحقيقة الذي يأتي بذلك كله وكذلك لم تحصل عصمة المسال والدم على الاطلاق الا بها  
وبالقيام بحقوقها وكذلك لا تحصل النجاة من العذاب على الاطلاق الا بها وبحقوقها فالعقوبة في الدنيا  
والآخرة على تركها أو ترك حقها ومن فسر الحسنى بالجنة فمرها بأعلى أنواع الجزاء وكأله  
ومن فسرهما بالخلف ذكر نوطاً من الجزاء فهذا جزاء ذنوبى والجنة الجزاء في الآخرة فرجع  
التصديق بالحسنى الى التصديق بالايمان وجزائه والتحقيق أنها تنسأل الامرين وتأمل ما  
اشتملت عليه هذه الكلمات الثلاث وهي الاعطاء والتقوى والتصديق بالحسنى من العلم  
والعمل وتضمنته من الهدى ودين الحق فان النفس لها ثلاث قوى - قوة البذل والاعطاء  
وقوة الكف والامتناع وقوة الادراك والفهم ففيها قوة العلم والشعور ويتبعها قوة الحب  
والارادة وقوة البغض والنفرة فهذه القوى الثلاثة عليها مدار صلاحها وسعادتها وفسادها  
يكون فسادها وشقاؤها ففساد قوة العلم والشعور يوجب له التكذيب بالحسنى وفساد  
قوة الحب والارادة يوجب له ترك الاعطاء وفساد قوة البغض والنفرة يوجب له ترك الاتقاء  
فاذا كملت قوة حبسه وارادته باعطائه ما أمر به وقوة بغضه ونفرته بانقائه ما نهى عنه  
وقوة علمه وشعوره بتصديقه بكلمة الاسلام وحقوقها وجزائها فقدزكى نفسه وأعدّها  
لكل حالة يسرى فصارت النفس بذلك ميسرة ليسرى ولما كان الدين بدور على ثلاث  
قواعد فعل المأمور وترك المحذور وتصديق الخبر وان شئت قلت الدين طلب وخبر  
والطلب نوطان طلب فعل وطلب ترك تضمنت هذه الكلمات الثلاث مراتب الدين أجمعها  
فالاعطاء فعل المأمور والتقوى ترك المحذور والتصديق بالحسنى تصديق الخبر فانتظم ذلك  
الدين كله وأكل الناس من كملت له هذه القوى الثلاث ودخول النقص بحسب نقصانها  
أو بعضها فمن الناس من يكون قوة اعطائه وبذله أتم من قوة انكفائه وتركه فقوة الترك  
فيه أضعف من قوة الاعطاء ومن الناس من يكون قوة الترك والانكشاف فيه أتم  
من قوة الاعطاء والمنع ومن الناس من يكون فيه قوة التصديق أتم من قوة الاعطاء والمنع  
فقوته العلمية والشعورية أتم من قوته الارادية وبالعكس فيدخل النقص بحسب ما نقص من  
قوة هذه القوى الثلاث وبفوته من التيسير ليسرى بحسب ما فاته منها ومن كملت له هذه القوى

يسر لكل يسرى قال ابن عباس فسييسره ليسرى أن نهيهؤه لعمل الخير تيسر عليه أعمال الخير وقال مقاتل والكلبي والفراء ييسره للعود إلى العمل الصالح وحقيقة اليسرى أنها الخلقة والحالة السهلة النافعة الواقعة له وهي ضد العسرى وذلك يتضمن تيسره للخير وأسبابه فيجسرى الخير وييسر على قلبه وبدنه وأسانه وجوارحه فتصير خصال الخير ييسره عليه وذلك له منقادة لا تستعصى عليه ولا تستصعب لانه مهيا لها ييسر لفعلها يسلك سبلها ذللا وتقادة له عملها ولا فاذا حالته قلت هو الذي قيل فيه

مبارك الطلعة ميمونها \* يصلح للدنيا ولدين

وأما من يخل فعطل قوة الإرادة والاعطاء عن فعل ما أمر به واستغنى بترك التقوى عن ربه فعطل قوة الانكشاف والترك عن فعل ما نهى عنه وكذب بالحسنى فعطل قوة العلم والشعور عن التصديق بالآيمان وجزائه فسييسره للعسرى قال عطاء سوف أحول بين قلبه وبين الآيمان في ورسولى وقال مقاتل ييسر عليه أن يعطى خيرا وقال مكرمة عن ابن عباس ييسره للشر قال الواحدى وهذا هو القول لأن الشر يؤدي إلى العذاب فهو الخلقة العسرى والخير يؤدي إلى اليسر والراحة في الجنة فهو الخلقة اليسرى يقول نهيهؤه للشر بأن يجريه على يديه قال الفراء العرب تقول قديمى غنم فلان اذا نهيأت لولادة وكذلك اذا ولدت وغزرت ألبانها أى ييسرت ذلك على أصحابها انتهى والتيسر للعسرى يكون بأمرين أحدهما أن يحول بينه وبين أسباب الخير فيجسرى الشر على قلبه ونيتة وأسانه وجوارحه والثانى أن يحول بينه وبين الجزاء الأيسر كما حال بينه وبين أسبابه فان قيل كيف قابل اتقى ما استغنى وهل يمكن العبد أن يستغنى عن ربه طرفة عين قيل هذا من أحسن المقابلة فان المتقى لما استشعر فقره وفاقته وشدة حاجته إلى ربه انقاد ولم يتعرض لسخطه وغضبه ومقتته بارتكاب ما نهاه عنه فان من كان شديد الحاجة والضرورة إلى شخص فانه يتقى غضبه وسخطه عليه غاية الانقاء ويجانب ما يكرهه غاية المجانبية ويعتمد فعل ما يحبه ويؤثره مقابل التقوى بالاستغناء بتشيء الحال تارك التقوى ومبالغة في ذمه بأن فعل المستغنى عن ربه لا فعل الفقير المضطر إليه الذى لا ملجأ له إلا إليه ولا غنى له من فضله وجوده وبره طرفة عين فله ما أحلاه هذه المقابلة وما أجمع هاتين الآيتين للخيرات كلها وأسبابها والشعور كلها وأسبابها فسبحان من تعرف إلى خصائص عبادته بكلامه وتجلي لهم فيه فهم لا يطلبون أثر بعد عين ولا يستبدلون الحق بالباطل والصدق بالمين وقد تضمنت هاتان الآيتان فصل الخطاب في مسألة القدر وإزالة كل لبس واشكال فيها وذلك بين بحمد الله عز وجل وفق لفهمه ولهذا أجاب بها النبي صلى الله عليه وسلم لمن أورد عليه السؤال الذى لا يزال الناس يلهمجون به في القدر فأجاب بفصل الخطاب وأزال الاشكال في المحججين من حديث علي بن أبي طالب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما منكم من أحد الا وقد علم مقعده من الجنة والنار قيل يا رسول الله أملا ندع العمل ونترك كل على الكتاب قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ وأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسييسره ليسرى فقد تضمن هذا الحديث الرد على القدرية والجبرية وإثبات القدر والشرع وإثبات الكتاب الاول المتضمن لعلم الله سبحانه الاشياء قبل كونها وإثبات خلق الفعل الجزائى وهو يطل أصول القدرية الذين يمنعون خلق الفعل

مطلقا ومن أفر منهم بخلق الفعل الجزاء دون الابتداء هدم أصله ونقض قاعدته والنبي صلى الله عليه وسلم أخبر بمثل ما أخبر به الرب تعالى أن العبد ميسر لما خلق له لا يجبور فالجبر لفظ بدعي والتيسير لفظ القرآن والسنة وفي الحديث دلالة على أن الصحابة كانوا أهل الناس بأصول الدين فأنهم تلقوها من أهل الخلق بالله على الإطلاق وكانوا إذا احتشكوا شيئا سألوه عنه وكان يجيبهم بإزيل الأشكال وبين الصواب فهم العارفون بأصول الدين حقا لأهل البدع والاهواء من المتكلمين ومن ذلك سبيلهم وفي الحديث استدلال النبي صلى الله عليه وسلم على مسائل أصول الدين بالقرآن وارشاده الصحابة لاستنباطها منه خلافا لمن زعم أن كلام الله ورسوله لا يفيد العلم بشيء من أصول الدين ولا يجوز أن تسفاد معرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله منه وعبر من ذلك بقوله الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين وفي الحديث بيان أن من الناس من خلق للسعادة ومنهم من خلق للشقاوة خلافا لمن زعم أنهم كلهم خلقوا للسعادة ولكن اخناروا الشقاوة ولم يخلقوا لها وفيه اثبات الأسباب وأن العبد ميسر للأسباب الموصلة له إلى ما خلق له وفيه دليل على اشتقاق السنة من الكتاب ومطابقتها له فتأمل قوله أعملوا فكل ميسر لما خلق له ومطابقته لقوله تعالى فأما من أعطى واتقى إلى آخر الآية يبين كيف انتظم الشرع والقدر والسبب والمسبب وهذا الذي أرشده إليه النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي فطر الله عليه عباده بالحيوان البهيم بل مصالح الدنيا وعمارتها بذلك فلو قال كل أحد إن قدر لي كذا وكذا فلا بد أن أناه وإن لم يقدر فلا سبيل إلى نيله فلا معنى ولا تحرك لعدم السفهاء الجاهل ولم يمكنه طرد ذلك أبدا وإن أتى به في أمر معين فهل يمكنه أن يطرد ذلك في مصالحه جميعها من طعامه وشرابه وأبائه ومسكنه وهروبه مما يضاد بقاءه وينافي مصالحه أم يجد نفسه غير منفكة ألبتة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم أعملوا فكل ميسر لما خلق له فإذا كان هذا في مصالح الدنيا وأسباب منافعها فما الموجب لتعطيله في مصالح الآخرة وأسباب السعادة والفلاح ورب الدنيا والآخرة واحد فكيف يعطل ذلك في شرع الرب وأمره ونهيه ويستعمل في إرادة العبد وأمره وشهوته وهل هذا إلا محض الظلم والجهل والإنسان ظلم جهول ظلم نفسه جهول بربه فهذا الذي أرشده إليه النبي صلى الله عليه وسلم وتلى عنده هاتين الآيتين موافقا لما جعله الله في عقول العقلاء وركب عليه فطر الخلائق حتى الحيوان البهيم وأرسل به جميع رسله وأنزل به جميع كتبه ولوائكل العبد على القدر ولم يعمل لتعطيل الشرائع وتعطلت مصالح العالم وفسد أمر الدنيا والدين وانما يستروح إلى ذلك معطلوا الشرائع ومن خلغ ربة الأوامر والنواهي من عنقه وذلك ميراث من أخوانهم المشركين الذين دفعوا أمر الله ونهيه وطارضوا شرهه بقضائه وقدره كما حكى الله سبحانه ذلك عنهم في غير موضع من كتابه كقوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى أذقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين وقال تعالى وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين وقال تعالى وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم

ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وقال تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا الذين آمنوا انظمو من اوبشاء الله اطعمه ان انتم الا في ضلال مبين فان قيل فالاعطاء والتقوى والتصديق بالحسنى هي من اليسرى بل هي اصل اليسرى من يسرها لا بدأ ولا وكذلك اضدادها قبل الله سبحانه هو الذي يسر له بعد اسباب الخير والشر وخلق خلقه قسمين اهل سعادة فيسرهم لليسرى واهل شقاوة فيسرهم لليسرى واستعمل هؤلاء في الاسباب التي خلقوا اغاياتها لا يصلحون لسواها وهؤلاء في الاسباب التي خلقوا اغاياتها لا يصلحون لسواها وحكمته الباهرة تأتي ان يضع عقوبته في موضع لا يصلح له كما يأتي ان يضع كرامته وثوابه في محل لا يصلح له ولا يليق به بل حكمته آحاد خلقه تأتي ذلك ومن جعل محل المسك والرجيع واحدا فهو من أسفه السفهاء فان قيل فلم جعل هذا لا يليق به الا الكرامة وهذا لا يليق به الا الالهانة قبل هذا سؤال جاهل لا يستحق الجواب كأنه يقول لم خلق الله كذا وكذا فان قيل وعلى هذا فهل لهذا الجاهل من جواب لعله يشفي من جهله قيل نعم شأن الربوبية خلق الاشياء واضدادها وخلق المازومات ولوازمها وذلك هو محض الكمال فالعالم لازم ومازوم للسفل والليل لازم ومازوم للنهار وكال هذا الوجود بالحر والبرد والصبر والنعيم ومن لوازم الطبيعة الحيوانية الصحة والمرض واختلاف الارادات والمرادات ووجود اللازم بدون مازومه ممتنع واولا خلق المتضادات لما عرف كمال القدرة والمشئنة والحكمة ولما ظهرت احكام الاسماء والصفات وظهور احكامها وآثارها لا بد منه اذ هو مقتضى الكمال المقدس والملك التام واذا اعطيت اسم الملك حقه وان تستطيع علمت ان الخلق والامر والثواب والعقاب والاعطاء والحرمان امر لازم لصفة الملك وان صفة الملك تقتضي ذلك ولا بد وان تعطل هذه الصفة أمر ممتنع فالملك الحق يقتضي ازال الرسل وانزال الكتب وامر العباد وذهابهم وثوابهم وعقابهم واكرام من يستحق الاكرام واهانة من يستحق الالهانة كما تستلزم حياة الملك وعلمه وارادته وقدرته وسمعه وبصره وكلامه ورجته ورضاه وغضبه واستوائه على سريره ملكه يدبر امر عباده وهذه الاشارة تكفي للبيب في مثل هذا الموضع ويطلع منها على ارض موقنة وكنوز من المعرفة وبالله التوفيق

**فصل** ثم قال تعالى ان علينا الهدي وان لنا الآخرة والاولى قيل معناه ان علينا ان نبين طريق الهدي من طريق الضلال قال قتادة على الله البيان بان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته اخباره ابواسحق وهو قول مقاتل وجاعة وهذا المعنى حق ولكن مراد الآية شئ آخر وقبل المعنى ان علينا الهدي والاضلال قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء يريد ارشاد اوليائي الى العمل بطاعتي واحول بين اعدائي وبين ان يعملوا بطاعتي قال الفراء فترك ذكر الاضلال كما قال سرايل تفكيكم الحرارى والبرد وهذا اضعف من القول الاول وان كان معناه صحيحا فليس هو معنى الآية قبل المعنى من سلك الهدي فعلى الله سبيله كقوله وعلى الله قصد السبيل وهذا قول مجاهد وهو اصح الاقوال في الآية قال الواحدى علينا الهدي اي ان الهدي يوصل صاحبه الى الله والى ثوابه وجنته وهذا المعنى في القرآن في ثلاث مواضع ههنا وفي النحل قوله وعلى الله قصد السبيل وفي الحجر في قوله هذا صراط على مستقيم وهو معنى شريف جليل يدل على ان سلك طريق الهدي يوصله طريقه الى الله ولا بد والهدى



هو الصراط المستقيم فمن سلكه اوصله الى الله فذكر الطريق والغاية فالطريق الهدى والغاية الوصول الى الله فهذه اشرف الوسائل وغايتها اعلی الغايات ولما كان مطلوب السالك الى الله تحصيل مصالح دنياء وآخريه لم يتم له هذا المطلوب الا بتوحيد طلبه والمطلوب منه فأعلم سبحانه ان سواه لا يملك من الدنيا والآخرة شيئا وأن الدنيا والآخرة جبره له وحده فاذا ثبت ان العبد ذلك اجتمع طلبه ومطلوبه على من يملك الدنيا والآخرة وحده فتضمنت الايتان اربعة امور هي المطالب العالية ذكر اعلی الغايات وهو الوصول الى الله سبحانه واقرب الطرق والوسائل اليه وهي طريقة الهدى وتوحيد الطريق فلا يبدل عنها الى غيرها وتوحيد المطلوب وهو الحق فلا يبدل عنه الى غيره فانقبس هذه الامور من مشكاة هذه الكلمات فان هذه غاية العلم والفهم وبالله التوفيق والهدى التام يتضمن توحيد المطلوب وتوحيد الطلب وتوحيد الطريق الموصلة والانقطاع ونحو الوصول يقع من الشراكة في هذه الامور او في بعضها فالشراكة في المطلوب تنافي التوحيد والاخلاص والشراكة في الطلب تنافي الصدق والعزيمة والشراكة في الطريق تنافي اتباع الامر قالا ول يوقع في الشرك والرياء والثاني يوقع في المعصية والبطالة والثالث يوقع في البدعة ومفارقة السنة تأمله فتوحيد المطلوب يعصم من الشرك وتوحيد الطلب يعصم من المعصية وتوحيد الطريق يعصم من البدعة والشيطان انما ينصب فخه بهذه الطرق الثلاثة ولما أقام سبحانه الدليل واناار السبيل وأوضح الجلية وبين المحجة انذر عباده عذابه الذي اعد له لمن كذب خبره وتولى عن طاعته وجعل هذا الصنف من الناس هم اشقاهم كما جعل اسعدهم اهل التقوى والاحسان والاخلاص فهذا الصنف هو الذي يجنب عذابه كما قال وسجنه بها الانبياء الذين يؤتى ماله بتركى فهذا المتقى المحسن لا يفعل ذلك الا ابتغاء وجهه فهو مخلص في نقواه واحسانه وفي الآية الارشاد الى ان صاحب التقوى لا ينبغي له ان يحصل من الخلق ونعمهم وان حصل منهم شيئا بادر الى جزائهم عليه لئلا يتقرب لاحد من الخلق عليه نعمة تجزى فيكون بعد ذلك عمله كله لله وحده ليس جزاء المخلوق على نعمته ونبيه بقوله تجزى على ان نعمة الاسلام التي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الاتى لا تجزى فان كل ذى نعمة يمكن جزاء نعمة الانعمة الاسلام فانها لا يمكن المنع بها عليه ان تجزى بها وهذا يدل على ان الصديق اول وأولى من ذكر في هذه الآية وانه احق الامنة بها فان عليا رضى الله عنه ربي في بيت النبي صلى الله عليه وسلم فلرسول الله صلى الله عليه وسلم عنده نعمة غير نعمة الاسلام يمكن ان تجزى ونبيه سبحانه بقوله الا ابتغاء وجهه وجهه به الاعلى على ان من ليس لمخلوق عليه نعمة تجزى لا يفعل ما يفعله الا ابتغاء وجهه الاعلى بخلاف من تطرق ذم المخلوقين ومنهم فانه مضطر الى ان يفعل لاجلهم ويترك لاجلهم ولهذا كان من كمال الاخلاص ان لا يجعل العبد عليه منة لاحد من الناس لتكون معاملته كلها لله ابتغاء وجهه وطلب مرضاه فكما ان هذه الغايات اعلی وهذا المطلوب اشرف المطالب فهذه الطريق اقصد الطرق اليه واقربها واقومها وبالله التوفيق

**فصل** ومن ذلك اقسام سبحانه بالضمي والبل اذا سجد على انعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم واكرامه له واعطائه ما يرزقه وذلك متضمن لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة فهو قسم على النبوة والمعاد واقسم باليتين عظيمتين من آياته



دالين على ربوبيته وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار فتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضهي الذي يوافي بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أمدأوه ودع محمدا ربه فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه وأيضاً فإن هاتين ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة فهذان القسم وهذان العقل وايضاً فإن الذي اقتضت رحمته ان لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمداً بل هداهم بضوء النهار الى مصالحهم ومعائشهم لا يلبق به ان يتركهم في ظلمة الجهل والغى بل بهداهم بنور الوحي والنبوة الى مصالح دينهم وآخرتهم فتأمل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه وتأمل هذه الجزالة والروفي الذي على هذه الالفاظ والجلالة التي على معانيها ونفي سبحانه ان يكون ودع نبيه او قلا فالتوديع الترك والقلى البغض فسا تركه من ذاعتني به واكرمه ولا ابغضه من ذأحبه واطلق سبحانه ان الآخرة خير له من الاولى وهذا يم كل احواله وان كل حالة برقيه اليه ساهى خير له مما قبلها كما ان الدار الآخرة خير له مما قبلها ثم وعده بانقر به عينه وتفرح به نفسه وينشرح به صدره وهو ان يعطيه فـ يرضى وهذا يم ما يعطيه من القرآن والهدى والنصر وكثرة الاتباع ورفع ذكره واعلاء كلمته وما يعطيه بعد ما يعطيه في مودة القيامة وما يعطيه في الجنة واماماً يفتخر به الجاهل من انه لا يرضى وواحد من امته في النار او لا يرضى ان يدخل احد من امته النار فهذا من غرور الشيطان لهم واعبه بهم فانه صلوات الله وسلامه عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يحذر رسوله حذايشفع فيهم ورسوله اعرف به وبحقه من ان يقول لا يرضى ان يدخل احداً من امته النار ان يدعه فيها بل ربه تبارك وتعالى بأذن له فيشفع فيمن شاء الله ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من اذن له ورضيه ثم ذكر سبحانه نعمه عليه من ابوائه بعد ديقه وهدايته بعد الضلالة واغناؤه بعد الفقر فكان محتاجاً الى من يؤويه ويهديه ويغنيه فأواه ربه وهداه واغناه فأمره سبحانه ان يقابل هذه النعم الثلاث بما يليق بها من الشكر فنهاه ان يقر بالبنيم وان ينهر السائل وان يكتم النعمة بل يحدث بها فأوصاه سبحانه بالتسامى والفقراء والمتعلمين قال مجاهد ومقاتل لا تحقر البنيمة فقد كنت يتيماً وقال الفقراء لا تحقره على ماله فتذهب بحقه لضعفه وكذلك كانت العرب تفعل في أمر البنيمة تأخذ أموالهم وتظلمهم فتعاطى الخطاب في أمر البنيمة وكذلك من لا ناصر له بغاظ في أمره وهو نهى لجميع المكلفين وأما السائل فلانهر قال أكثر المفسرين هو سائل المعروف والصدقة لا تنهره اذا سألك فقد كنت فقيراً فما أن تطعمه واما أن ترده رداً لينا قال الحسن اما أنه ليس بالسائل الذي يأتيك ولكن طالب العلم وهذا قول يحيى بن آدم قال اذا جاءك طالب العلم فلا تنهره والتحقيق ان الآية تنسأل النوعين وقوله وأما بنعمة ربك فحدث قال مجاهد بالقرآن وقال الكلبي بمعنى أظهرها والقرآن أعظم ما أنعم الله به عليه فأمره ان يقربه ويعلمه وروى أبو بشر عن مجاهد حدث بالنبوة التي أعطاك الله وقال الزجاج بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التي آتاك وهي أجل النعم وقال مقاتل اشكر هذه

النعمة التي ذكرت في هذه السورة والتحقيق في ان النعم تم هذا كله فامر ان لا ينهر سائل المعروف والعلم وان يحدث بنعم الله عليه في الدين والدنيا

فصل في ومن ذلك اقسامه سبحانه بالعاديات ضبها والموريات قدحا فالغيرات صبحا وقد اختلف الصحابة ومن بعدهم في ذلك فقال علي ابن ابي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما هي ابل الحاج تعدو من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى وهذا اختيار محمد بن كعب وابن صالح وجاعة من المفسرين وقال عبد الله بن عباس هي خيل الغزاة وهذا قول اصحاب ابن عباس والحسن وجاعة واختاروه الفراء والزجاج قال اصحاب الابل السورة مكية ولم يكن ثم جهاد ولا خيل تجاهد وانما اقسم بما يعرفونه وبألفونه وهي ابل الحاج اذا عدت من عرفة الى مزدلفة فهي عاديات والضبح والضبع مد الناقة ضبها في السير يقال ضبعت وضبعت بمعنى واحد وانشد ابو عبيدة وقد اختار هذا القول

فكان لكم اجري جمعها واضبعت \* في البازل الوجناء في الال تضبعت

قالوا فهي تعدو ضبها فتورى باخفافها النار من حرك الاجار بعضها بعض فتشير النقع وهو الغبار بعدوها فيتوسط جمعها وهو المزدلفة قال اصحاب الخيل المعروف في اللغة ان الضبح اصوات انفاس الخيل اذا عدون والمعنى والعاديات ضابحة فيكون ضبها مصدر اعلى الاول وحالا على الثاني قالوا والخيل هي التي تضبعت في عدوها ضبها وهو صوت يسمع من اجوافها ايس بالصهيل والحممة ولكن صوت انفاسها في اجوافها من شدة العدو وقال الجرجاني كـ لا القولين قد جاء في التفسير الان السياق يدل على انها الخيل وهو قوله تعالى فالمريات قدحا والايراء لا يكون الا للحنافر اصلابته واما الخلف ففيه ابن واسترخاء انتهى قالوا والضبح في الخيل اظهر منه في الابل والايراء لسنا بك الخيل ايين منه لا خفاف الابل قالوا والنقع هو الغبار واثارة الخيل بعدوها له اظهر من اثاره اخفاف الابل والضمير في به عائد على المكان الذي تعدو فيه قالوا واعظم ما يشير الغبار عند الاثارة اذا توسطت الخيل جمع العدو لكثرة حركتها واضطرابها في ذلك المكان واما محل الآية في اثاره الغبار في وادي محسر عند الاثارة فليس بالبين ولا يشور هناك غبار في الغالب اصلابة المكان قالوا واما قولكم انه لم يكن بمكة حين نزول الآية جهاد ولا خيل تجاهد فهذا لا يلزم لانه سبحانه اقسم بما يعرفونه من شأن الخيل اذا كانت في غزو فاذا رت فاثارت النقع وتوسط جمع العدو وهذا امر معروف وذ كر خيل المجاهدين احق ما دخل في هذا الوصف فذكره على وجه التمثيل لا الاختصاص فان هذا شأن خيل المقاتلة واشرف انواع الخيل خيل المجاهدين والقسم انما وقع بما تضمنه شأن هذه العاديات من الآيات البينات من خلق هذا الحيوان الذي هو من اكرم البهيم واشرفه وهو الذي يحصل به اعز والظفر والنصر على الاعداء فيعدو طالبا للعدو وهاربة منه فيشير عدوها الغبار لشدة وتورى حوافرها ونايكها النار من الاجار لشدة عدوها فتدرك الغارة التي طلبتها حتى بتوسط جمع الاعداء فهذا من اعظم آيات الرب تعالى وادلة قدرته وحكمته فذكرهم بنعمه عليهم في خلق هذا الحيوان الذي ينتصرون به على اعدائهم ويدركون به نارههم كما ذكرهم سبحانه بنعمه عليهم في خلق الابل التي تحمل اثقالهم من بلد الى بلد فالابل اخص بحمل الاثقال والخيل اخص

بنصرة الرجال فذكرهم بنعمه بهذا وهذا وخص الاشارة بالضحج لان العدولم ينتشروا اذذاك  
 ولم يفارقوا محملهم واصحاب الاشارة حامون مستريحون بصرون واقع الغارة والعدولم يأخذوا  
 اهبتهم بل هم في غرتهم وغفلتهم واهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الغارة صبر حتى  
 يطلع الفجر فان سمع مؤذنا امسك والاأغار ولمسأهل اصحاب الابل ان اخفافها ابعثشي من  
 وري النار تأولوا الآية على وجوه بعيدة فقال محمد بن كعب هم الحجاج اذا أوقدوا نيرانهم  
 ليلة المزدلفة وعلى هذا فيكون التقدير فالجملات الموريات وهذا خلاف الظاهر وانما  
 الموريات هي العاديات وهي المغيرات وروى محمد بن جبير عن ابن عباس هم الذي يغفرون  
 فيورون بالابل نيرانهم لطعامهم وحاجتهم كأنهم اخذوه من قوله تعالى افرأيت النار التي تورون  
 وهذا ان اريد به التثيل وان الآية تدل عليه فصحيح وان اريد به اختصاص الموريات فليس  
 كذلك لان الموريات هي العاديات بعينها ولهذا عطفها عليه بالقاء التي للتسبب فانها عدت فأورث  
 وقال قتادة الموريات هي الخيل توري نار العداوة بين المقتتلين وهذا ليس بشي وهو بعيد من  
 معنى الآية وسياقها واضعف منه قول عكرمة هي الاسنة توري نار العداوة بعظم ما تكلم به  
 واضعف منه ما ذكر عنه مجاهد هي افكار الرجال توري نار المكروا الخديعة في الحرب وهذه الاقوال  
 ان اريد ان اللفظ دل عليها وانها هي المراد فغلط وان اريد انها اخذت من طريق الاشارة والقياس  
 فامرأ قريب وتفسير الناس بدور على ثلاثة اصول تفسير على اللفظ وهو الذي يحو اليه المتأخرون  
 وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف وتفسير على الاشارة والقياس وهو الذي يحو اليه  
 كثير من الصوفية وغيرهم وهذا لا بأس به بأربعة شرائط ان لا يناقض معنى الآية او ان يكون  
 معنى صحيحا في نفسه وان يكون في اللفظ اشعار به وان يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم فاذا  
 اجتمعت هذه الامور الاربعة كان استنباطا حسنا واضعف من ذلك كله قول ابن جريج قدحاي معنى  
 فالمنجحات أمر اريد البالغين بنحجهم فيما طلبوه وعطف قوله فائرن فوسطن وهما فعلا على  
 العاديات والموريات لما فيه من معنى الفعل وكان ذكر الفعل في أثرن ووسطن احسن من ذكر  
 الاسم لانه سبحانه قسم افعالنا الى قسمين وسيلة و غاية فالوسيلة هي العدو وما يتبعه من الابراء  
 والافارة والعاية هي توسط الجمع وما يتبعه من اثاره النقع فهن عاديات موريات مغيرات حتى  
 يتوسطن الجمع ويثرن النقع فالاول شأنه الذي اعدن له والثاني فعله الذي اتهم به اليه والله اعلم  
 بفصل في هذا شأن القسم وأما شأن القسم عليه فهو حال الانسان وهو كون الانسان  
 كنودا بشهادته على نفسه أو شهادة ربه عليه وكونه بخيلا حبه المال والكنود للنعمة وفعله كنود  
 يكند كنودا مثل كفر يكفر كفرة وراوا الارض الكنود التي لا تثبت شيأ وامرأة كنودى اى  
 كفور للمعاشرة واصل اللفظ منع الحق والخير ورجل كنود اذا كان مانعا لمسا عليه من الحق  
 وعبارات المفسرين تدور على هذا المعنى قال ابن عباس رضى الله عنهما واصحابه رحمهم الله تعالى  
 هو الكفور وقبل هو الخيل الذي يمنع رفته ويجمع عبده ولا يعطى في النأبة وقال الحسن هو  
 هو اللوام له بعد المصائب وينسى النعم وأما قوله وانه على ذلك لشهيد فقال ابن عباس يريد ان  
 ربه على ذلك شهيد وقيل ان الانسان شهيد على ذلك ان أنكر بلسانه شهد ربه عليه  
 حاله ويؤيد هذا القول سياق الضمائر فان قوله وانه لحب الخير شديد للانسان

فاتضح الخبر عن الانسان بكونه كذا دائم ثناء بكونه شهيداً على ذلك ثم ختمه بكونه بخيلاً بالله  
 لحبه اياه وبؤيد قول ابن عباس رضي الله عنهما انه انى بعلى فقال وانه على ذلك لشهيداً على  
 مطلع عالم به كقوله ثم الله شهيد على ما يفعلون ولو اريد شهادة الانسان لاني بالباء فقبل  
 وانه بذلك شهيد كما قال تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مع الله شاعدين على انفسهم  
 بالكفر فلو اراد شهادة الانسان لقال وانه على نفسه لشهيد فان كنوده المشهود به ونفسه  
 هي المشهود عليها ثم قال تعالى وانه لحب الخير لشديد والخير ههنا المال باتفاق المفسرين والشديد  
 البخل من أجل حب المال فحب المال هو الذي حله على البخل هذا قول الاكثرين وقال ابن قتيبة بل  
 المعنى انه شديد الحب للخير فتكون اللام في قوله لحب الخير متعلقة بقوله شديد على حد اتفاق  
 قولك انه لزيد لضارب ومنعت طائفة من النهاء ان يعمل ما بعد اللام فيما قبلها وهذه الآيات حجة على  
 الجواز فان قوله لربه معمول لكونه وقوله على ذلك معمول لشهيد ولا وجه لتكلف البارد  
 في تقدير عامل مقدم محذوف يفسره هذا المذكور فالحق جواز ان لزيد لضارب فوصف  
 سبحانه الانسان بكفر ان لم يره وبخله بما آناه من الخير فلا هو شكور لانعم ولا محسن الى خلقه  
 بل ببخله بشكره ببخله به وهذا ضد المؤمن الكريم فانه مخلص لربه محسن الى خلقه  
 فالؤمن له الاخلاص والاحسان والفاجر له الكفر والبخل وقد ذم الله سبحانه هذين الخلقين  
 المهلكين في غير موضع من كتابه كقوله فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون  
 الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون فالاخلاص والاحسان وكذلك قوله تعالى والله لا يحب  
 كل مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آناههم الله من فضله  
 فاختره وفخره من كفره وكنوده وهذا ضد قوله الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة  
 وعمارزقناهم ينفقون وقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احساناً الآية وكذلك  
 ذكر الخلقين الذميين في قوله الذين ينفقون اموالهم راء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم  
 الآخر ونظيره وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا عمارزقهم الله ونظيره ما تقدم  
 في سورة البقرة من ذم المستغنى البخل ومدح المعطى المصدق بالحسنى وبل لكل همزة لمزة  
 الذي جمع مالا وعدده فان الهمزة واللمزة من الفخر والكبر وجمع المال وتعدد من البخل  
 وذلك مناف لسر الصلاة والزكاة ومقصودهما ثم خوف سبحانه الانسان الذي هذا وصفه  
 حين يمشى في القبور ويحصل ما في الصدور اى ميز وجمع وبين واظهر ونحو ذلك وجمع  
 سبحانه بين القبور والصدور كما جمع بينهما النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ملائكة الله أجوافهم  
 وقبورهم ناراً فان الانسان يوارى صدره ما فيه من الخير والشر ويوارى قبره جسمه فيخرج  
 الرب جسمه من قبره وسره من صدره فيصير جسمه بارزاً على الارض وسره بادياً على وجهه  
 كما قال تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقال سبحانه على الخراطوم

فصل في مفعول العلم ان علمت فيه وكسرت لمكان اللام وقيد سبحانه كونه خبيراً بهم  
 ذلك اليوم وهو خبير بهم في كل وقت ابداً بالجزاء وانه يجازيهم في ذلك اليوم بما عملوه منهم  
 فذكر العلم والمراد لازمه والله سبحانه وتعالى اعلم  
 فصل في من ذلك انما هو بالعصر على حال الانسان في الآخرة وهذه السورة على غاية

اختصارها اهاشأن عظيم حتى قال الشافعي رحمه الله لو فكر الناس كلهم فيها الكفتهم والعصر المقسم به قبل هو اول الوقت الذي يلي المغرب من النهار وقبل هو آخر ساعة من ساعته وقبل المراد صلاة العصر واكثر المفسرين على انه الدهر وهذا هو الراجح وتسمية الدهر عصر امر معروف في لغتهم قال وان يلبث العصر ان يوم ويلة \* اذا طلبا ان يدركا ما تجمعا

ويوم ويلة بدل من العصر ان فاقسم سبحانه بالعصر لمكان العبرة والآية فيه فان مرور الليل والنهار على تقدير قدرة العزيز العليم منتظم لمصالح العالم على اكل ترتيب ونظام وتعاقبهما واعندالهما تارة واخذأحدهما من صاحبه تارة واختلافهما في الضوء والظلام والحر والبرد وانتشار الحيوان وسكونه وانقسام العصر الى القرون والسنين والاشهر والايام والساعات ومادونها آية من آيات الرب تعالى وبرهان من براهين قدرته وحكمته فاقسم بالعصر الذي هو زمان افعال الانسان ومجملها على عاقبة تلك الافعال وجزئها ونبه بالمبدأ وهو خلق الزمان والفاعلين وانهالهم على المعادوان قدرته كالم تقصر عن المبدأ لم تقصر عن المعادوان حكمته التي اقتضت خالق الزمان وخلق الفاعلين وانهالهم وجعلها قسمين خير او شر اتأبى ان يسوى بينهما وان لا يجازى المحسن باحسانه والمسيء بامائه وان يجعل النور بين راجحين او خاسرين بل الانسان من حيث هو انسان خاسر الا من رحمه الله فهداه ووفقه للايمان والعمل الصالح في نفسه وامر غيره به وهذا نظير رده الانسان الى اسفل سافلين واستثناء الذين آمنوا وعملوا الصالحات من هؤلاء المردودين وتأمل حكمة القرآن لما قال ان الانسان لفي خسر ضيق الاستثناء وخصصه فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالصبر ولما قال ثم رددناه اسفل سافلين ومع الاستثناء وعمه فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولم يتصل وتواصوا فان التواصي هو امر الفير بالايمان والعمل الصالح وهو قدر زائد على مجرد فعله فمن لم يكن كذلك فقد خسر هذا الربح نصار في خسر ولا يلزم ان يكون في اسفل سافلين فان الانسان فديقوم بما يجب عليه ولا يأمر غيره فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبة زائدة وقد تكون فرضا على الاعيان وقد تكون فرضا على الكفاية وقد يكون مستحبا والتواصي بالحق يدخل فيه الحق الذي يجب والحق الذي يستحب والصبر يدخل فيه الصبر الذي يجب والصبر الذي يستحب فهؤلاء اذا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر حصل لهم من الربح ما خسرهم اولئك الذين قاموا بما يجب عليهم في أنفسهم ولم يأمرؤا غيرهم به وان كان اولئك لم يكونوا من الذين خسروا أنفسهم وأهليهم فطلق الخسار شيء والخسار المطلق شيء وهو سبحانه انما قال ان الانسان لفي خسر ومن ربح في سلامة وخسر في غيرها فديطالقي عليه انه في خسروانه ذو خسر كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لقد فرطنا في قراريط كثيرة فهذا نوع تغريط وهو نوع خسرنا بالسنة الى من حصل ربح ذلك ولما قال في سورة التين ثم رددناه اسفل سافلين قال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاقسم الناس في هذين القسمين فقط ولما كان الانسان له قوتان قوة العلم وقوة العمل وله حالتان حالة يأمر فيها بأمر غيره وحالة يأمر فيها غيره استثنى سبحانه من كل قوته العلية بالايمان وقوته العملية بالعمل الصالح وانتقاد لامر غيره له بذلك وأمر غيره به من الانسان الذي هو في خسر فان العبد له حالتان حالة كمال في نفسه وحالة تكميل لغيره

وكما وتكميله موقوف على أمرين علم بالحق وصبر عليه فتضمنت الآية جميع مراتب الكمال الانساني من العلم النافع والعمل الصالح والاحسان الى نفسه بذلك والى أخيه به واتقياده وقوله لمن يأمره بذلك وقوله تعالى وتواصوا بالصبر ارشاد الى منصب الامامة في قوة الدين كقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون فبالصبر واليقين نال الامامة في الدين والصبر نوعان نوع بالمقدور كالمصائب ونوع بالمشروع وهذا النوع أيضا نوعان صبر على الاوامر وصبر عن النواهي فذلك صبر على الارادة والفعل وهذا صبر عن الارادة والفعل فاما النوع الاول من الصبر فمشتري بين المؤمن والكافر والبر والعاجز لا يثاب عليه لمجرد ان لم يقترن به ايمان واختيار قال النبي صلى الله عليه وسلم لم في حق ابنته مرها فالتصبر وتحنسب وقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير وقال تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا وقال وان تصبروا وتتقوا فالتصبر بدون الايمان والتقوى بمنزلة قوة البدن الخالي عن الايمان والتقوى وعلى حسب اليقين بالمشروع يكون الصبر على المقدور وقال تعالى فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون فأمره أن يصبر ولا يتشبّه بالذين لا يقين عندهم في عدم الصبر فانهم لعدم يقينهم عدم صبرهم وخفوا واستخفوا قومهم ولو حصل لهم اليقين والحق وخفوا واستخفوا فمن قل يقينه قل صبره ومن قل صبره خف واستخف فالوقف الصابر رزين لانه ذواب وعقل ومن لا يقين له ولا صبر خفيف طائش تلعب به الالهواء والشهوات كما تلعب الرياح بالشيء الخفيف والله المستعان

فصل في من ذلك اقسامه سبحانه بالسماء ذات البروج التي تنزلها الشمس والقمر وفسرت بالنجوم أنواع منها وفسرت بالقصور العظام وكل ذلك من آيات قدرته وشواهد وحدانيته فان السماء كرة متشابهة الاجزاء والشكل الكروي لا يغير منه جانب عن جانب بطول ولا قصر ولا وضع بل هو متساوي الجوانب فجعل هذه البروج في هذه الكرة على اختلاف صورها وأشكالها ومقاديرها يستحيل ان يوجد بغير فاعل ويستحيل ان يكون فاعله غير قادر ولا عالم ولا مرید ولا حي ولا حكيم ولا مبين للمفعول وهذا ونحوه مما هدم قواعد الطبائعية والملاحدة والفلاسفة الذين لا يثبتون للعالم رباً باثناً قادراً فاعلاً بالاختيار طالما بتفاصيله حكيماً مدبراً له فبروج السماء هي منازلها او منازل السيارة التي فيها من اعظم آياته سبحانه انه فلهذا قسم بها مع السماء ثم اقسامها اليوم الموعود وهو يوم القيامة وهو المقسم به وعليه كما ان القرآن يقسم به وعليه ودال على وقوع اليوم الموعود باتفاق جميع الرسل عليه وبما عرفه عباده من حكمته وعزته التي تأتي بان يتركهم سدى ويخلعهم عتياً وبغير ذلك من الآيات والبراهين التي يستدل بها سبحانه على امكانه تارة وعلى وقوعه تارة وعلى تنزيهه عما يقول اعداؤه من انه لا يأتي به نار فالاقسام به عند من آمن بالله كالاقسام بالسماء وغيرها من الموجودات المشاهدة بالعيان ثم اقسام سبحانه بالشاهد والمشهود مطلقين غير معينين واعلم المعاني فيه انه المدرك والمدرك والعالم والمعلوم والرائي والمرق وهذا يلي المعاني به وما عداها من الاقوال ذكرت على وجه التقبيل لا على وجه التخصيص فان قيل فاجبه الارتباط بين هذه الامور الثلاثة انقسم بها قيل هي بحمد الله في غاية الارتباط والاقسام بها متناول لكل موجود في الدنيا والآخرة وكل منها آية مستقلة دالة على ربوبيته وآلهيته

فأقسم بالعالم العلوي وهي السماء وما فيها من البروج التي هي أعظم الامكنة واوسعها ثم  
أقسم بأعظم الايام واجلها قدرا الذي هو مظهر ملكه وأمره ونهيه وثوابه وعقابه ومجده  
اوليائه واهدائه والحكم بينهم بعلمه وعدله ثم أقسم بما هو اعم من ذلك كله وهو الشاهد والمشهد  
وناسب هذا القسم ذكر اصحاب الاخدود الذين عذبوا اوليائه وهم شهود على ما يفعلون  
بهم والملائكة شهود عليهم بذلك والانبيا وجوارحهم تشهد به عليهم وايضا فالشاهد والمطلع  
والرقيب والخبر والمشهد وهو المطلع عليه الخبر به المشاهد فنوع الخليفة الى شاهد ومشهد  
وهو اقدر الفادرين كما نوعها الى مرتي لنا وغير مرتي كما قال فلا أقسم بما تبصرون  
وما لا تبصرون كما نوعها الى ارض وسماء وليل ونهار وذكروا نبي وهذا التنويع والاختلاف  
من آياته سبحانه كذلك نوعها الى شاهد ومشهد وفيه سر آخر وهو ان من المخلوقات  
ما هو مشهود عليه ولا يتم نظام العالم الا بذلك فكيف يكون المخلوق شاهدا رقيبا  
حفيظا على غيره ولا يكون الخالق تبارك وتعالى شاهدا على عباده مطلقا عليهم رقيبا  
وايضا فان ذلك يتضمن القسم بملائكته وانبيائه ورسله فانهم شاهدون على العباد فيكون  
من باب اتحاد القسم به والمقسم عليه كما أقسم باليوم الموعود وهو المقسم به وعليه وايضا  
فيوم القيامة مشهود كما قال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود يشهده  
الله وملائكته والانس والجن والوحش من آياته والمشهود من آياته وايضا فكلامه  
مشهود كما قال تعالى وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا نشهده ملائكة الليل وملائكة  
النهار فالشهود من أعظم آياته وكذلك الشاهد فكل ما وقع عليه اسم شاهد ومشهد  
فهو داخل في هذا القسم ولا وجه لتخصيصه ببعض الانواع او الالهيان الاعلى سيل  
التمثيل وايضا فكتاب الابرار في عليين يشهده المقربون فالكتاب مشهود والمقربون  
شاهدون والاحسن ان يكون هذا القسم مستغنيا عن الجواب لان القصد التنبيه على المقسم  
به وانه من آيات الرب العظيمة ويبعد ان يكون الجواب قتل اصحاب الاخدود الذين فتنوا  
اوليائه موعذ بهم بالنار ذات الوقود ثم وصف حالهم القبيحة بأنهم يعود على جانب  
الاخدود شاهدين ما يجري على عباد الله تعالى واوليائه عيانا ولان أخذهم بهم رافة  
ولارحة ولا يعيوا عليهم دينسا سوى ايمانهم بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات  
والارض وهذا الوصف يقتضي اكرامهم وتعظيمهم ومحبتهم فعاملوهم بضد ما يقتضي ان يعاملوا  
به وهذا شأن اعداء الله دائما ينقمون على اوليائه ما ينبغي ان يحبوا ويكرموه لاجله كما قال  
تعالى قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمننا بالله وما نزل اليانا وما نزل من قبل وان  
اكثركم فاسقون وكذلك اللوطية نعموا من عباد الله تنزيههم عن مثل فعلهم فمالوا اخرجوهم  
من قريبتكم انهم اناس يتطهرون وكذلك اهل الاشرار ينقمون من الموحدين تجريدهم  
التوحيد واخلاص الدعوة والعبودية لله وحده وكذلك اهل البدع ينقمون من اهل السنة  
تجريد متابعتها وترك ما خالفها وكذلك المعطلة ينقمون من اهل الاثبات اثباتهم لله صفات  
كماله ونعوت جلاله وكذلك الرافضة ينقمون على اهل السنة محبتهم للصحابة جميعهم وترضيهم  
عنهم وولايتهم اياهم وتقديم من قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وتنزيلهم منازلهم



التي أنزلهم الله ورسوله بها وكذلك أهل الرأي المحدث يتقنون على أهل الحديث وحزب  
الرسول أخذهم بحديثه وتركهم ما خالفه وكل هؤلاء لهم نصيب وفيهم شبهة من أصحاب الاختود  
وبينهم نسب قريب أو بعيد ثم أخبر سبحانه أنما أعد لهم عذاب جهنم وعذاب الحريق حيث  
لم يتوبوا وأنهم أوتوا بعد أن قتلوا أوليائه وعذبوهم بالنار لغفرانهم ولم يعذبهم وهذا غاية  
الكرم والجود قال الحسن انظروا إلى هذا الكرم والجود يقتلون أوليائه ويقتلونهم وهو  
يدعوهم إلى التوبة والمغفرة انظروا إلى كرم الرب تعالى يدعوهم إلى التوبة وقد قتلوا  
أوليائه فمحقوهم بالنار فلا يأس العبد من مغفرته وعفوه ولو كان منه ما كان فلا عداوة  
أعظم من هذه العداوة ولا أكفر من حرق بالنار من آمن بالله وحده وعبدته وحده ومع هذا  
فلو تابوا لم يعذبهم وألحقهم بأوليائه ثم ذكر سبحانه جزاء أوليائه المؤمنين ثم ذكر شدة بطشه  
وأنه لا يعجزه شيء فإنه هو المبدئ المعيد ومن كان كذلك فلا أشد من بطشه وهو مع ذلك  
الغفور الودود يغفر لمن تاب إليه وبوده ويحببه فهو سبحانه الموصوف بشدة البطش ومع  
ذلك الغفور الودود المتودد إلى عباده بنعمه الذي يود من تاب إليه وأقبل عليه وهو الودود  
أيضا أي الم محبوب قال البخاري في صحيحه الودود الحبيب والتهب في أن اللفظ يدل على  
الامرئ على كونه وإذا أوليائه مودودا لهم فأحدهما بالوضع والآخر بالزوم فهو  
الحبيب المحب لأوليائه يحبهم ويحبونه وقال شعيب بن ربيح ودود ما أطفأ قتر اسم الودود  
بالرحيم وبالغفور قال الرجل قد يغفر لمن أساء ولا يحببه وكذلك قد يرحم من لا يحب والرب تعالى  
يغفر لعبده إذا تاب إليه ويرحمه ويحببه مع ذلك فإنه يحب التوابين وإذا تاب إليه عبده أحبه  
ولو كان منه ما كان ثم قال ذو العرش فأضاف العرش إلى نفسه كما يضاف إليه الأشياء العظيمة  
الشريفة وهذا يدل على عظمة العرش وقربه منه سبحانه واختصاصه به بل يدل على غاية  
القرب والاختصاص كما يضيف إلى نفسه بدو صفاته القائمة به كقوله ذو القوة ذو الجلال  
والأكرام ويقال ذو العزة وذو الملك وذو الرحمة ونظائر ذلك فلو كان حظ العرش منه حظ  
الأرض السابعة لكان لافرق أن يقال ذو العرش وذو الأرض ثم وصف نفسه بالمجيد وهو  
المتضمن لكثرة صفات كماله وسعته وعدم احصاء الخلق لها وسعة أفعاله وكثرة خيريه  
ودوامه وأمانه ليس له صفات كمال ولا أفعال جيدة فليس له من المجد شيء والمخلوق إنما يصير  
مجيدا بأوصافه وأفعاله فكيف يكون الرب تبارك وتعالى مجيدا وهو عطل عن الأوصاف  
والأفعال تعالى الله عما يقول المعطلون علوا كبيرا بل هو المجيد الفعال لما يريد والمجد في لغة  
العرب كثرة أوصاف الكمال وكثرة أفعال الخير واحسن ما قرن اسم المجيد إلى الحميد كما قالت  
الملائكة لبيت الخليل رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه جيد مجيد وكما شرع لنا في آخر  
الصلاة أن نتن على الرب تعالى بأنه جيد مجيد وشرع في آخر الركعة عند الاعتدال أن نقول  
ربنا ولك الحمد أهل الشئ والمجد فالمجد والمجد على الإطلاق لله الحميد المجيد فالمجد الحبيب  
المستحق لجميع صفات الكمال والمجيد العظيم الواسع القادر الغني ذو الجلال والأكرام  
ومن قرأ المجيد بالكسر فهو صفة لعرشه سبحانه وإذا كان عرشه مجيدا فهو سبحانه  
أحق بالمجد وقد استشكل هذه القراءة بعض الناس وقال لم يسمع في صفات الخلق مجيد ثم



خرجها على أحد الوجهين إما على الجواز وإما أن يكون صفة لربك وهذا من قلة بضاعة  
 هذا القائل فإن الله سبحانه وصف مرشده بالكرم وهو نظير المجد ووصفه بالعظمة فهو صفة  
 سبحانه مطابق لوصفه بالعظمة والكرم بل هو أحق المخلوقات أن يوصف بذلك لسمته  
 وحسنه وبهاء منظره فإنه أوسع كل شيء في المخلوقات وأجله واجمه الصفات الحسن وبهاء  
 المنظر وعلو القدر والرتبة والذات ولا يقدر قدر عظمتة وحسنه وبهاء منظره إلا الله ومجده  
 مستفاد من مجد خالقه ومبدعه والسموات السبع والأرضون السبع في الكرسي الذي بين  
 يديه كحلقة ملقاة في أرض فلاة والكرسي فيه كتلك الحلقة في الفلاة قال ابن عباس السموات  
 السبع في العرش كسبعة دراهم جعلن في ترس فكيف لا يكون مجبدا وهذا شأنه فهو عظيم  
 كريم مجيد وأما تكلف هذا المتكلف جره إلى الجواز أو أنه صفة لربك فتكلف شديد وخروج  
 عن المأوف في اللغة من غير حاجة إلى ذلك وقوله فعال لما يريد دليل على أمور أحدها  
 أنه سبحانه يفعل بإرادته ومشيئته الثاني أنه لم يزل كذلك لأنه ما في ذلك في معرض المدح والثناء  
 على نفسه وأن ذلك من كماله سبحانه فلا يجوز أن يكون مادما لهذا الكمال في وقت من الاوقات  
 وقد قال تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وما كان من أوصاف كماله ونعوت جلاله لم  
 يكن حادثا بعد أن لم يكن الثالث أنه إذا أراد شيئا فعليه فان ما هو صولة عامة أي يفعل كلما يريد  
 أن يفعله وهذا في إرادته المتعلقة بفعله وإما إرادته المتعلقة بفعل العبد فتلك لها شأن آخر  
 فان أراد فعل العبد ولم يرد من نفسه أن يعينه ويجعله فاعلام بوجود الفعل وإن إرادته حتى يريد  
 من نفسه أن يجعله فاعلا وهذه هي النكتة التي خفيت على القديرة والجريئة وخطبوا في مسألة  
 القدر لغفلتهم عنها فان هنا إرادتين إرادة أن يفعل العبد وإرادة أن يجعله الرب فاعلا وليسا  
 متلازمين وإن لزم من الثانية الأولى من غير عكس فحتى أراد من نفسه أن يعين عبده وإن يخلق له  
 أسباب الفعل فقد أراد فعله وقد يريد فعله ولا يريد من نفسه أن يخلق له أسباب الفعل فلا  
 يوجد الفعل فان احتاص عليك فهم هذا الموضع وأشكل عليك فانظر إلى قول النبي صلى  
 الله عليه وسلم حاكبا عن ربه قوله للعبد يوم القيامة قد أردت منك أهون من هذا وأنت  
 في صلب أهلك أن لا تشرك بي شيئا ولم يقع هذا المراد لأنه لم يرد من نفسه إطاقة عليه وتوفيقه  
 له الرابع أن فعله سبحانه وإرادته متلازمان فمن أراد أن يفعله فعله وما فعله فقد أراد  
 بخلاف المخلوق فإنه يريد ما لا يفعل وقد يفعل ما لا يريد فإثم فعال لما يريد إلا الله وحده الخامس  
 اثبات إرادة متعددة بحسب الأفعال وإن كل فعل له إرادة تخصه وهذا هو المعقول في  
 الفطر وهو الذي يعقله الناس من الإرادة فشأنه تعالى أنه يريد على الدوام ويفعل ما يريد  
 السادس أن كلما صح أن يتعلق به إرادته جاز فعله فإذا أراد أن ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا  
 وأن يحيى يوم القيامة لفصل القضاء وإن يرى نفسه لعباده وأن ينجلي لهم كيف شاء وأن  
 يخاطبهم ويضحك بهم وغير ذلك مما يريد سبحانه لم يمنع عليه فعله فإنه فعال لما يريد وإنما  
 يتوقف صحة ذلك على اخبار الصادق به فإذا أخبر به وجب التصديق به وكان رده ردا  
 لكماله الذي أخبر به عن نفسه وهذا عين الباطل وكذلك إذا أمكن إرادته سبحانه محو  
 ما شاء وإثبات ما شاء أمكن فعله وكانت الإرادة والفعل من مقتضيات كماله المقدس وقد

اشتملت هذه السورة على اختصارها من التوحيد على وصفه سبحانه بالعزة المتضمنة لقدرة والقوة وعدم النظر والحمد المتضمن لصفات الكمال والالتزيم عن تضادها مع محبته والهيته وملكوته السماوات والارض المتضمن لكمال غناه وسعة ملكه وشهادته على كل شيء المتضمن لعموم اطلاعه على ظواهر الامور وبواطنها واحاطة بصره برئياتها وسمعه بمسوماتها وعلمه بمعلوماتها ووصفه شدة البطش المتضمن لكمال القوة والعزة والقدرة وتفرده بالابداء والامادة المتضمن لتوحيد ربوبيته وتصرفه في المخلوقات بالابداء والامادة وانقياده لقدرته فلا يستعصى عليه منها شيء ووصفه بالمغفرة المتضمن لكمال جوده واحسانه وغناه ورحمته ووصفه بالودود المتضمن لكونه حبيباً الى عبادته محبا لهم ووصفه بأنه ذو العرش الذي لا يقدر قدره سواء وأن عرشه المختص به الذي لا يليق بغيره أن يستوي عليه ووصفه بالمجد المتضمن لسعة العلم والقدرة والملك والغنى والجود والاحسان والكرم وكونه فعالاً لما يريد المتضمن لحبائه وعلمه وقدرته ومشيئته وحكمته وغير ذلك من أوصاف كماله فهذه السورة كتاب مستقل في أصول الدين تكفي من فهمها فالحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب وتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ثم ختمها بذكر فعله وعقوبته بمن أشرك به وكذب رساله تحذيراً لعباده من ملوك سيلهم وان من فعل فعلهم فعل به كما فعل بهم ثم أخبر عن أعدائه بأنهم مكذبون بتوحيده ورسالاته مع كونهم في قبضته وهو محيط بهم ولا أسوء حالاً من حادي من هو في قبضته ومن هو قادر عليه من كل وجه وبكل اعتبار فقال بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط فهذا أعجب ممن كفر بمن هو محيط به وأخذ بناصبته قادر عليه ثم وصف كلامه بأنه مجيد وهو أحق بالمجد من كل كلام كان المتكلم به له المجد كله فهو المجيد وكلامه مجيد وعرشه مجيد قال ابن عباس رضي الله عنهما قرآن مجيد كريم لأن كلام الرب ليس هو كما يقول الكافرون شعروا كهانة وسحر وقد تقدم أن المجد السعة وكثرة الخير وكثرة خير القرآن لا يعلمها الا من تكلم به وقوله في لوح محفوظ أكثر القراء على الجرح صفة للوح وفيه إشارة الى أن الشياطين لا يمكنهم التزمل به لأن محله محفوظ أن يصلوا اليه وهو في نفسه محفوظ أن يقدر الشيطان على الزيادة فيه والنقصان فوصفه سبحانه بأنه محفوظ في قوله اننا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون ووصف محله بالحفظ في هذه السورة قاله سبحانه حفظ محله وحفظه من الزيادة والنقصان والتبديل وحفظ معانيه من التحريف كما حفظ ألفاظه من التبديل وأقام له من يحفظ حروفه من الزيادة والنقصان ومعانيه من التحريف والتغيير

**فصل** ومن ذلك أقسامه سبحانه بالسماء والطارق وقد فسر بأنه النجم الثاقب الذي يثقب ضوءه والمراد به الجنس لأنجم معين ومن عينه بأنه الثريا أو زحل فان أراد النشيل فصح وان أراد التخصيص فلا دليل عليه والمقصود أنه سبحانه أقسم بالسماء ونجومها المضئية وكل منها آية من آياته الدالة على وحدانيته وسمى النجم طارقاً لأنه يظهر بالليل بعد اختفائه بضوء الشمس فشبه بالطارق الذي يطرق الناس أو أهله ليلاً قال القراء ما أذاك ليلاً فهو طارق وقال الزجاج والمبرد لا يكون الطارق نهارة ولهذا تستعمل العرب الطروق

في صفة الخيال كثيرا كما قال ذو الرمة

الاطرقت حتى هيو ما بذكرها \* وأيدى الثريا جنح بالمغرب

وقال جرير

طرقك صائدة القلوب وليس ذا \* وقت الزيارة فارجعي بسلام

ولهذا قيل أول من رد الطيف جرير فلم يزل الناس على قبوله واكرامه كالحبيب فالحبيب  
والضيف كلاهما لا يرد وقال الآخر

الاطرقت من آخر الليل زينب \* عليك سلام هل لما فات مطلب

**فصل في القسم عليه** ههنا حال النفس الانسانية والاعتناء بها واقامة الحفظه عليها  
وانها لم تترك سدى بل قد امدد عليها من يحفظ عليها اعمالها ويحصبها فأقسم سبحانه انه ما من نفس  
الا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها وقولها ويحصى ما تكسب من خير أو شر واختلف  
القراء في لما فشدها بعضهم وخففها بعضهم فنقرأها بالتشديد جعلها بمعنى الا وهي تكون  
بمعنى الا في موضعين احدهما بعد ان الخفة مثل هذا الموضع او المثقلة مثل قوله وان كلاما  
ليوفينهم ربك اعمالهم والثاني في باب القسم نحو سألتك بالله لما فعلت قال أبو علي الفارسي من خفف  
كانت عنده هي المخفة من الثقيلة واللام في خبرها هي الفارقة بين ان النافية والخفيفة  
وما زلت وان هي التي يتلقى بها القسم كما يتلقى بالمثقلة ومن قرأها مشددة كانت ان عنده نافية  
بمعنى ما وما في معنى الا قال سيبويه عن الخليل في قولهم نشدتك بالله لما فعلت قال المعنى  
الافعلت ثم نبه سبحانه الانسان على دليل المعاد بما يشاهده من حال مبدئه على طريقة القرآن  
في الاستدلال على المعاد بالمبدأ فقال فليظن الانسان ثم خلق اي فليظن نظر الفكر والاستدلال  
ليعلم ان الذي ابتداء أول خلقه من نقطة قادر على اطاعته ثم اخبر سبحانه أنه خلقه من ماء دافق  
والدفق صب الماء يقال دفقت الماء فهو مدفوق ودافق ومندفق فالمدفوق الذي وقع عليه  
فعلك كالمكسور والمضروب والمدفق المطاوع لفعل الفاعل بقول دفقته فاندفق كما تقول كسرته  
فانكسرو الدافق قيل انه فاعل بمعنى مفعول كقولهم سرعانم وعيشة راضية وقيل هو على  
النسب لا على الفعل أي ذى دفق وذات ولم يرد الجريان على الفعل وقيل وهو الصواب انه  
اسم فاعل على بابه ولا يلزم من ذلك أن يكون هو فاعل الدفق فان اسم الفاعل هو من قام  
به الفعل سواء فعله هو أو غيره كما يقال ماء جار ورجل ميت وان لم يفعل الموت بل لما قام به  
من الموت نسب اليه على جهة الفعل وهذا غير منكر في لغة أمة من الأمم فضلا عن أوسع  
اللغات وأفصحها وأما العيشة الراضية فالوصف بها أحسن من الوصف بالراضية فانها  
اللائقة بهم فشبه ذلك برضاها بهم كما رضوا بها كأنها رضيت بهم ورضوا بها وهذا أبلغ  
من مجرد كونها مرضية فقط فتأمله واذا كانوا يقولون الوقت الحاضر والساعة الراهنة  
وان لم يفعل ذلك فكيف يمنع ان يقولوا ماء دافق وعيشة راضية ونبيه سبحانه بكونه دافقا  
على انه ضعيف غير متماسك ثم ذكر محله الذي يخرج منه وهو بين الصلب والرائب قال  
ابن عباس صلب الرجل ورائب المرأة وهو موضع القلادة من صدرها والولد يخرج من  
المابين جيعة وقيل صلب الرجل ورائبه وهي صدره فيخرج من صلبه وصدره وهذه

الآية الدالة على قدرة الخالق سبحانه نظير اخراجه الين الخالص من بين الفرت والدم ثم ذكر الامر المستدل عليه والمعاد بقوله انه على رجعة لقادر اى على رجعه اليه يوم القيامة كما هو قادر على خلقه من ماء هذا شأنه هذا هو الصحيح في معنى الآية وفيها قولان ضعيفان أحدهما قول مجاهد على رد الماء في الاحليل لقادر والثاني قول حكيم والضم الك على رد الماء في الصلب وفيها قول ثالث قال مقاتل ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا الى النطفة والقول الصواب هو الاول لوجوه أحدها انه هو المعهود من طريقة القرآن من الاستدلال بالمبدأ على المعاد الثاني ان ذلك أدل على المطلوب من القدرة على رد الماء في الاحليل الثالث انه لم يأت لهذا المعنى في القرآن نظير في موضع واحد ولا انكره أحد حتى يقيم سبحانه الدليل عليه الرابع مع انه قد بالفعل بالظرف وهو قوله يوم تبلى السرائر وهو يوم القيامة اى ان الله قادر على رجعه اليه حيا في ذلك اليوم الخامس ان الضمير في رجعه هو الضمير في قوله قتاله من قوة ولاناصر وهذا لانسان قطعاً لالماء السادس انه لا ذكر الاحليل حتى يتبين كون المرجع اليه فلو قال قائل على رجعه الى الفرج الذى صب فيه لم يكن فرق بينه وبين هذا القول ولم يكن أولى منه السابع ان رد الماء الى الاحليل أو الصلب بعد خروجه منه غير معروف ولا هو أمر معتاد جرت به القدرة وان كان مقدوراً لله تعالى ولكن هو لم يجزه ولم تجربه العادة ولا هو مما تكلم الناس فيه من نفي أو إثبات ومثل هذا لا يقرره الرب ولا يستدل عليه ويبينه على منكره وهو سبحانه انما يستدل على أمر واقع ولا بد اما قد وقع ووجد أو سبق فاقبل فقد قال تعالى أحسب الانسان أن لن نجتمع عظامه بلى قادرين على ان ننسوي نساياه أن نجعله كخف البعير قيل هذه ايضا فيها قولان أحدهما هذا والثاني وهو الارجح أن تسوية بنائه امادتها كما كانت بعد ما فرقتها الى في التراب الثامن انه سبحانه دعى الانسان الى النظر فيما خلق منه ايرده نظره عن تكذيبه بما أخبر به وهو لم يجزه بقدره خالقه على رد الماء في احليله بعد ما فرقت له حتى يدعو الى النظر فيما خلق منه ليستفيع منه صحة امكان رد الماء التاسع انه لا ارتباط بين النظر في مبدأ خلقه ورد الماء في الاحليل بعد خروجه ولان لازم بينهما حتى يجعل احدهما دليلاً على امكان الآخر بخلاف الارتباط الذى بين المبدأ والمعاد والخلق الاول والخلق الثانى والنشأة الاولى والنشأة الثانية فانه ارتباط من وجوه عديدة ويلزم من امكان احدهما امكان الآخر ومن وقوعه صحة وقوع الآخر فحسن الاستدلال باحدهما على الآخر العاشر انه سبحانه به بقوله ان كل نفس لها عليها حافظ على انه قد وكل عليه من يحفظ عليه عمله ويحصى له فلا يضيع منه شيء ثم به بقوله انه على رجعه لقادر على بعثه جزائه على العمل الذى حفظ واجصى عليه مذكر شأن مبداء عمله ونهايته فبدؤه محفوظ عليه ونهايته الجزاء عليه ونبه على هذا بقوله يوم تبلى السرائر اى تختبر وقال مقاتل تظهر وتبدو وبلوت الشيء اذا تختبرته ليظهر لك باطنه وما خفى منه والسرائر جمع سريرة وهى سرائر الله التى بينه وبين عبده فى ظاهره وباطنه لله فالإيمان من السرائر وشرائعه من السرائر فتختبر ذلك اليوم حتى يظهر خيراها من شرها وموداها من مضيقها وما كان لله مما لم يكن له قال عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما يبدى الله يوم

القيامة كل سر فيكون زينا في الوجوه وشينا فيها والمعنى تختبر السرائر باظهارها واظهار  
مقتضياتها من الثواب والعقاب والحمد والذم وفي التعبير عن الاعمال بالسرائر لطيفة وهو ان الاعمال  
نتائج السرائر الباطنة فمن كانت سريره صالحة كان عمله صالحا فتبدو سريره على وجهه  
نورا واشراقا وحياء ومن كانت سريره فاسدة كان عمله فاسدا فابدا لسريره لا اعتبار بصورته  
فتبدو سريره على وجهه سوادا وظلمة وشينا وان كان الذي يبدو عليه في الدنيا انما هو عمله  
لا سريره فيوم القيامة تبدو عليه سريره ويكون الحكم والظهور لها قال الشاعر  
فان لها في مضمرة القلب والحشا \* سريرة حب يوم تبلى السرائر

ثم اخبر سبحانه عن حال الانسان في يوم القيامة انه غير ممتنع من عذاب الله لا بقوة منه ولا بقوة  
من خارج وهو الناصر فان العبد اذا وقع في شدة فاما ان يدفعها بقوته او قوة من ينصره  
وكلاهما معدوم في حقه ونظيره قوله سبحانه لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا لصحبون  
ثم اقسام سبحانه بالسماء ذات الرجوع والارض ذات الصدع فاقسم بالسماء ورجعها بالمطر  
والارض وصدعها بالنبات قال الفراء تبدى بالمطر ثم رجع به في كل عام وقال أبو اسحق الرجوع  
المطر لانه يحمى ويرجع ويكرر وكذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما تبدى بالمطر ثم رجع به  
في كل عام والتحقيق ان هذا على وجه التمثيل ورجع السماء هو اعطاء الخير الذي يكون من جهتها  
حالا بعد حال على مرور الأزمان رجع رجعها اي تعطيه مرة بعد مرة والخير كله من قبل السماء  
يحمى ولما كان اظهر الخير المشهود بالنبات ان المطر فسر الرجوع به ويحسن تفسيره به مقابلته بصدع  
الارض عن النبات وفسر الصدع بالنبات لانه بصدع الارض اي يشقها فاقسم سبحانه بالسماء  
ذات المطر والارض ذات النبات وكل من ذلك آية من آيات الله تعالى الدالة على ربوبيته  
واقسم على كون القرآن حقا وصدقا قال انه لقول فصل وحاهو بالهزل كما أقسم في اول السورة  
على حال الانسان في هيبته ومعاده والقول الفصل هو الذي يفصل بين الحق والباطل  
فيميز هذا من هذا ويفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه ومصعب الفصل الذي يتفصل عنده المراد  
ويتميز من غيره كما يقال اصاب الفصل واصاب المرء اذا اصاب بكلامه نفس المعنى المراد منه فصل  
الخطاب وايضا قال قول الفصل ببيان المعنى ضد الاجال فيكون القرآن هصلا يتضمن هذه  
المعاني كلها ويتضمن كونه حقا ليس بالباطل وجدا ليس بالهزل ولما كان الهزل هو الذي  
لا حقيقة له وهو الباطل والاهب قابل بين الفصل والهزل وانما يكيد المكذبون ويحبلون  
ويخادعون لردده ولا يردونه بحجة والله يكيدهم كما يكيدون دينه ورسوله وعباده وككيد  
سبحانه استدراجهم من حيث لا يعلمون والاملاءهم حتى يأخذهم على غرة كما قال تعالى  
وأمل لهم ان كيدى متبن فلا انسان اذا أراد أن يكيد غيره بظهره اكرامه واحسانه اليه  
حتى يطعم اليه فيأخذه كما يفعل الملوكة فاذا فعل ذلك أعداء الله بأوليائه ودينه وكان  
كيد الله لهم حسنا لا فجع فيه فيعطيههم ويعافيههم وهو يستدرجهم حتى اذا فرحوا بما آوونوا أخذهم  
بغتة ثم قال فهل الكافرين أمهلهم رويدا أي أنظرهم قليلا ولا تستجبل لهم والرب تعالى هو الذي  
يمهلهم وانما خرج الخطاب لرسول على جهة التهديد والوعيد لهم او على معنى انتظر بهم قليلا  
ورويد في كلامهم يكون اسم فعل فينصب بها الاسم نحو رويدا زيدا أي خله وأمهله وارفق به

الثاني ان يكون مصدرا مضافا الى المفعول نحو رويد زيد أى اهـ سال زيد نحو ضرب  
الرقاب الثالث ان يكون نعتا منصوبا نحو و قولك ساروا رويدا تقول العرب ضعه  
رويدا أى وضعه رويدا وفى حديث عائشة فى خروج النبي صلى الله عليه وسلم بالليل  
من عندها الى البقيع فخرج رويدا واجاف الباب رويدا ويجوز فى هذا الوجه وجهان  
احدهما ان يكون حالا والثانى ان يكون نعتا لمصدر محذوف فان اظهرت المنعوت تعين الوجه  
الثانى ورويدى هذه الآية هو من هذا النوع الثالث والله اعلم

**فصل** فى من ذلك اقسامه بالشفق والليل وماوسى والقمر اذا اتسقى فأقسم بثلاثة أشياء  
متعلقة بالليل أحدها الشفق وهو فى اللغة الحمرة بعد غروب الشمس الى وقت صلاة العشاء الآخرة  
وكذلك هو فى الشرع قال الفراء والليث والزجاج وغيرهم الشفق الحمرة فى السماء وأصل  
موضوع الحرف لرقدة الشئ ومنه شئ شفقى لاقسامك له لرقته ومنه الشفقة وهو الرقة  
وأشفق عليه اذا رقى له وأهل اللغة يقولون الشفق بقية ضوء الشمس وحجرتها ولهذا كان  
الصحيح أن الشفق الذى يدخل وقت العشاء الآخرة بغير بوبته هو الحمرة فان الحمرة لما كانت  
بقية ضوء الشمس جعل بقاؤها حـد الوقت المغرب فاذا ذهب الحمرة بعدت الشمس  
عن الافق فدخل وقت العشاء وأما البياض فانه يمتد وقته بطول ليله ويكون  
حاصلا مع بعد الشمس عن الافق وهذا صحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال الشفق  
الحمرة والعرب تقول نوب مصبـوغ كأنه الشفق اذا كان احمر حـكاه الفراء وكذلك قال  
الكوفي الشفقى الحمرة التى تكون فى المغرب وكذلك قال مقاتل هو الذى يكون  
بعد غروب الشمس فى الافق قبل الظلمة وقال حكرمة هو بقية النهار وهذا يحتمل  
ان يريد به ان تلك الحمرة بقية ضوء الشمس التى هى آية النهار وقال مجاهد هو النهار  
كله وهذا ضعيف جدا وكأنه لما رآه بالليل وماوسى ظن انه النهار وهذا ليس بلازم  
الثانى قسمه بالليل وماوسى أى وماضم وحوى وجمع والليل وماضمه وحـ وآية  
أخرى والقمر آية واتساقه آية أخرى والشفق يتضمن ادبار النهار وهو آية واقبال الليل  
وهو آية أخرى فان هذا اذا أدبر خلفه الآخر يتعاقبان لمصالح الخلق فادبار النهار آية  
واقبال الليل آية وتعقب أحدهما الآخر آية والشفق الذى هو متضمن الامرين آية والليل آية  
وما حواه آية والـلال آية وتزايد كل ليلة آية واتساقه وهو امتلاؤه نورا آية ثم اخذه  
فى النقص آية وهذه امثالها آيات دالة على ربوبيته مستلزمة للعلم بصفات كماله وهذا  
شرع عند اقبال الليل وادبار النهار إذ كرر الله تعالى بصلاة المغرب وفى الحديث اللهم هذا اقبال  
ليلك وادبار نهارك وأصوات دمايك وحضور صلواتك كما شرع ذكر الله بصلاة القمر  
عند ادبار الليل واقبال النهار ولهذا يقسم سبحانه بهذين الوقتين كقوله والليل اذا دبر والصبح  
اذا أفر وهو يقابل اقسامه بالشفق ونظير اقسامه بالليل اذا حسس والصبح اذا تنفس  
ولما كان الرب تبارك وتعالى يحدث عند كل واحد من طرفي اقبال الليل والنهار وادبارهما  
ما يحدثه ويبث من خلقه ما شاء فينشر الارواح الشيطانية عند اقبال الليل وينشر الارواح  
الإنسانية عند اقبال النهار فيحدث هذا الانتشار فى العالم اثره شرع سبحانه فى هذين الوقتين

هاتين الصلاتين العظيمتين مع ما في ذلك من ذكره عندهاتين الآيتين المتعاقبتين وعند اصرام احدهما واتصال الاخرى بها مع ما بينهما من التضاد والاختلاف وانتقال الحيوان عند ذلك من حال الى حال ومن حكم الى حكم وذلك مبدا ومعاد يوحى مشهود للخلق كل يوم وليلة فالحيوان والنبات في مبدا ومعاد وزمان العالم في مبدا ومعاد أولم يروا كيف بدأ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير

فصل في قوله لتر كبن طبقا عن طبق الظاهر انه جواب القسم ويجوز ان يكون من القسم المحذوف جوابه ولتر كبن وما بعده مستأنف وقرئ لتر كبن بضم الباء للجمع وبفتحها فمن قهها فالخطاب عنده للانسان اى لتر كبن أيها الانسان وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل ليست الباء للخطاب ولكنها للغبية اى لتر كبن السماء طبقا عن طبق ومن ضمها فالخطاب للجماعة ايس الا فمن جعل الكناية للسماء قال المعنى لتر كبن السماء حالا بعد حال من حالاتها التي وصفها الله تعالى من الانشاق والانقطاع والطى وكونها كالمهل مرة وكالدهان مرة ومورانها وتفحمها وغير ذلك من حالاتها وهذا قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ودل على السماء ذكر الشفق والتمر وعلى هذا فيكون قسما على المعاد وتغيير العالم ومن قال الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فله ثلاث معاني لتر كبن سماء بعد سماء حتى تنتهى الى حيث يصعدك الله هذا قول ابن عباس في رواية مجاهد وقول مسروق والشعبي قالوا والسماء طبق ولهذا يقال للسموات السبع الطباق والمعنى الثاني لتصعدن درجة بعد درجة ومنزلة بعد منزلة ورتبة بعد رتبة حتى تنتهى الى محل القرب والراقي من الله والمعنى الثالث لتر كبن حالا بعد حال من الاحوال المختلفة التي نقل الله فيها رسوله صلى الله عليه وسلم من الهجرة والجهاد ونصره على عدوه وادلة العدو عليه نارة وغناه وفقره وغير ذلك من حالاتها التي تنقل فيها الى أن بلغ ما بلغه اياه ومن قال الخطاب للانسان أو لجملة الناس فالمعنى واحد وهو تنقل الانسان حالا بعد حال من حين كونه نطفة الى مستقره من الجنة او النار فكم بين هذين من الاطباق والاحوال للانسان واقوال المفسرين كلها تدور على هذا قال ابن عباس رضى الله عنهما لتصيرن الامور حالا بعد حال وقيل لتر كبن أيها الانسان حالا بعد حال من النطفة الى العلقة الى المضغة الى كونه حيا الى خروجه الى هذه الدار ثم ركوبه طبق التمييز بين ما ينفعه وبضره ثم ركوبه بعد ذلك طبقا آخر وهو طبق البلوغ ثم ركوبه طبق الاشد ثم طبق الشيخوخة ثم طبق الهرم ثم ركوبه طبق ما بعد في البرزخ وركوبه في اثناء هذه الاحوال طباقا عديدة لا يزال ينتقل فيها حالا بعد حال الى دار القرار فذلك آخر اطباقه التي يعلمها العباد ثم يفعل الله سبحانه بعد ذلك ما يشاء واختار ابو عبيدة قراءة الضم وقال المعنى بالناس اشبه منه بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه ذكر قبل الآية من يؤتى كتابه بيمينه وشماله ثم ذكر بعدها قوله فالهم لا يؤمنون فذكر كونهم طبقا بعد طبق قال الواحدى وهذا قول اكثر المفسرين قالوا لتر كبن حالا بعد حال ومنزلا بعد منزل وامر ابعدا قال سعيد بن جبير وابن زيد لتكون في الآخرة بعد الاولى وتصيرن اغنياء بعد الفقراء وفقراء بعد الغناء وقال عطاة شدة بعد شدة وقال ابو عبيدة لتر كبن سنة من كان قبلكم في التكذيب والاختلاف على الرسل وانت اذا تأملت هذا القسم به



والمقسم عليه وجدته من اعظم الآيات الدالة على الربوبية وتغيير الله سبحانه العالم وتصريفه له كيف اراد ونقله اياه من حال الى حال وهذا محال ان يكون بنفسه من غير فاعل مدبر له ومحال ان يكون فاعله غير قادر ولاحي ولامريد ولا حكيم ولاعليم وكلاهما في الامتناع سواء فالمقسم به وعليه من اعظم الادلة على ربوبيته وتوحيده وصفاته كماله وصدقه وصدق رساله وعلى المعاد ولهذا عقب ذلك بقوله فإلهم لا يؤمنون انكارا على من لم يؤمن بعد ظهور هذه الآيات المستلزمة لمدلولها انهم استلزام وانكر عليهم عدم خضوعهم وسجودهم للقرآن المشتمل على ذلك بأفصح عبارة وأبينها واجزلها وأوجزها فالعنى اشرف معنى والعبارة أشرف عبارة غاية الحق بغاية البيان والفصاحة بل الذين كفرا يكذبون ولا يصدقون بالحق جمودا وهنادا والله أعلم بما يضمرون في صدورهم ويكتمونه وما يسرونه من أعمالهم وما يجمعونه فيجازيهم عليه بعلمه وعدله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون

**فصل** ومن ذلك قوله سبحانه فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا جسس والصبح اذا تنفس أقسم سبحانه بالنجوم في احوالها الثلاثة من طلوعها وجريانها وغروبها هذا قول على وابن عباس وطاعة المفسرين وهو الصواب والخنس جمع خانس الانقباض والاختفاء ومنه سمي الشيطان خناسا لانقباضه وانكماشه حين يذكر العبد ربه ومنه قول ابي هريرة فانخنست والكنس جمع كنس وهو الداخل في كناسه اي في بيته ومنه تكنست المرأة اذا دخلت في هودجها ومنه كنست الظباء اذا أوت الى اكناسها والجواري جمع جارية كغاشية وخواش قال على ابن ابي طالب رضى الله عنه النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وهذا قول مقاتل وعطاء وقتادة وغيرهم قالوا الكواكب تخنس بالنهار فتختفي ولا ترى وتكنس في وقت غروبها ومعنى تخنس على هذا القول تأخر عن البصر وتتوارى عنه باختفاء النهار لها وفيه قول آخر وهو ان خنوسها رجوعها وهي حركتها الشرقية فان لها حركتين حركة بفعلها وحركة بنفسها فخنوسها حركتها بنفسها راجعة وعلى هذا فهو قسم بنوع من الكواكب وهي السيارة وهذا قول القرام وفيه قول ثالث وهو ان خنوسها وكنوسها اختفاؤها وقت مغيبها فتغيب في مواضعها التي تغيب فيها وهذا قول الزجاج ولما كان للنجوم حال ظهر وروح حال اختفاء وحال جريان وحال غروب أقسم سبحانه بها في احوالها كلها ونبه بخنوسها حال ظهورها لان الخنوس هو الاختفاء بعد الظهور ولا يقال لم لا يزال مختفيا انه قد خنس فذكر سبحانه جريانها وغروبها صريحا وخنوسها وظهورها واكتفى من ذكر طلوعها بجريانها الذي مبدؤه الطلوع فالطلوع اول جريانها فتضمن القسم طلوعها وغروبها وجريانها واختفاءها وذلك من آياته ودلائل ربوبيته وليس قول من فسرها بالظباء وبقر الوحش بالظاهر اوجوه احدها ان هذه الاحوال في الكواكب السيارة اعظم آية وعبرة الثاني اشتراك أهل الارض في معرفته بالمشاهدة والعيان الثالث ان البقر والظباء ليست لها حالة تختفي فيها عن العيان مطلقا بل لانزال ظاهرة في الفلوات الرابع ان الذين فسروا الآية بذلك قالوا ليس خنوسها من الاختفاء قال الواحدى هو من الخنس في الانف وهو تأخر الارنبه وقصر القصبه والبقر والظباء أنوفهن خنس والبقرة خنساء والظبي أخنس ومنه سميت الخنساء لخنس أنفها ومعلوم ان هذا أمر خفي

يحتاج الى تأمل وأكثر الناس لا يعرفونه وآيات الرب التي يقسم بها لا تكون الا ظاهرة جليلة  
يشارك في معرفتها الخلائق وليس الخنس في أنف البقرة والظباء بأعظم من الاستواء والاعتدال  
في أنف ابن آدم فالآية فيه أظهر الخناس ان كنوسها في اكنيتها ليس بأعظم من دخول الطير  
وسائر الحيوانات في بيته الذي يأوى فيه ولا أظهر منه حتى تعين للقسم السادس انه لو كان  
جما للظبي لقال الخنس بالتسكين لانه جمع أخنس فهو وكأجر وجر ولو أريد به جمع بقرة  
خنساء لكان على وزن فعلاء ايضا كحمراء وجر فلما جاء جمعه على فعل بالتشديد استحال أن يكون  
جما لواحد من الظباء والبقر وتعين ان يكون جما لخانس كشاهد وشهد وصائم وصوم  
وقائم وقوم ونظائر السابغ انه ليس بالبين اقسام الرب تعالى بالبقر والغزلان وليس هذا  
عرف القرآن ولا مادنه وانما يقسم سبحانه من كل جنس بأعلاه كما أنه لما أقسم بالنفس وس أقسم  
بأعلاها وهي النفس الانسانية ولما أقسم بكلامه أقسم بأشرفه وأجله وهو القرآن ولما أقسم  
بالعلويات أقسم بأشرفها وهي السماء وشمسها وقمرها ونجومها ولما أقسم بالزمان أقسم بأشرفه  
وهو الالهي العشر واذا أراد سبحانه ان يقسم بغير ذلك ادرجه في العموم كقوله فلما أقسم  
بما تبصرون وما لا تبصرون وقوله والذكر والانثى في قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
ونحو ذلك الثامن ان اقتران القسم بالليل والصبح يدل على انها النجوم والافليس باللائق  
اقتراان البقر والغزلان والليل والصبح في قسم واحد وبهذا اخرج ابواسحق عن علي انها النجوم  
فقال هذا البقي بذكر النجوم منه بذكر الوحش التاسع انه او اراد ذلك سبحانه لينه وذكرا  
ما يدل عليه كما انه لما اراد بالجوارى السفن قال ومن آياته الجوارى في البحر كالأعلام وهذا  
ليس في اللفظ ولا في السياق ما يدل على انها البقر والظباء وفيه ما يدل على انها النجوم من الوجوه  
التي ذكرناها وغيرها العاشر ان الارتباط الذي بين النجوم التي هي هداية للسالكين ورجوم  
للشياطين وبين المقسم عليه وهو القرآن الذي هو هدى للعالمين وزينة للقلوب وداحض لشبهات  
الشیطان اعظم من الارتباط الذي بين البقر والظباء والقرآن والله اعلم

**فصل** واختلاف في عسمة الليل هل هي اقبله ام ادباره فلا كثرون على ان عسمة  
بمعنى ولي وذهب وادبر هذا قول علي وابن عباس واصحابه وقال الحسن اقبل بظلامه وهو  
احدى الروايتين عن مجاهد فمن رجع الاقبال قال أقسم الله سبحانه وتعالى باقبال الليل واقبال النهار  
فقوله والصبح اذا تنفس مقابل لليل اذا عسعس قالوا ولهذا أقسم الله بالليل اذا يغشى والنهار  
اذا تجلى وبالضحى قالوا فغشيان الليل نظير عسعسه وتجلي النهار نظير تنفس الصبح اذ هو مبدؤه  
وأوله ومن رجع انه ادباره اخرج بقوله تعالى كلا والقمر والليل اذ أدبر والصبح اذ أسفر فأنقسم  
بادبار الليل واسفار الصبح وذلك نظير عسمة الليل وتنفس الصبح قالوا والاحسن أن يكون  
القسم بانصرام الليل واقبال النهار فانه عقيب من غير فصل فهذا اعظم في الدلالة والعبرة بخلاف  
اقبال الليل واقبال النهار فانه لم يعرف القسم في القرآن بهما ولان بينهما زمنا طويلا فالآية  
في انصرام هذا ومجيئ الآخر عقيب بغير فصل ابلغ فذكر سبحانه حالة ضعف هذا وادباره  
وحالة قوة هذا او تنفسه واقباله يطرد ظلمة الليل بتنفسه فكلمة تنفس هرب الليل وادبر  
بين يديه وهذا هو القول والله اعلم

فصل ثم ذكر سبحانه المقسم عليه وهو القرآن وأخبر أنه قول رسول كريم وهو ههنا جبريل قطعا لأنه ذكر صفته بعد ذلك بما يعينه به وأما الرسول الكريم في الحاقه فهو محمد صلى الله عليه وسلم لأنه نفي بعده أن يكون قول من زعم من أعدائه أنه قوله فقال وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا يقول كاهن قليلا ما تذكرون فاضافه إلى الرسول الملاك تارة وإلى البشرى تارة واضافه إلى كل واحد من الرسولين اضافة بتبليغ الاضافة انشاء من عنده والا تناقضت النسبتان ولفظ الرسول يدل على ذلك فان الرسول هو الذي يبلغ كلام من أرسله وهذا صريح في أنه كلام من أرسل جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم وان كلامهما بلغه عن الله فهو قوله مبلغا وقول الله الذي تكلم به حقا فلا راحة لمن أنكر أن يكون الله متكلم بالقرآن وهو كلامه حقا في هاتين الآيتين بل هما من أظهر الأدلة على كونه كلام الرب تعالى وأنه ليس لرسولين الكريمين منه إلا التبليغ فجبريل سمعه من الله ومحمد صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل ووصف رسوله الملاك في هذه السورة بأنه كريم قوى مكين عند الرب تعالى مطاع في السموات أمين فهذه خمس صفات تضمن تركية سنة القرآن وأنه سماح محمد من جبريل وسماح جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا السند علو وجلالة قول الله سبحانه بنفسه تركية الصفة الأولى كون الرسول الذي جاء به إلى محمد صلى الله عليه وسلم كريما ليس كما يقول أعداؤه أن الذي جاء به شيطان فان الشيطان خبيث مخبث لئيم قبيح المنظر عديم الخير باطنه أقيح من ظاهره وظاهره أشنع من باطنه وأيس فيه ولا عنده خير فهو أبعث شيء من الكرم والرسول الذي أتى القرآن إلى محمد صلى الله عليه وسلم كريم جميل المنظر بهي الصورة كثير الخير طيب مطيب معلم الطيبين وكل خير في الأرض من هدى وعلم ومعرفة وإيمان وبر فهو مما أجراه ربه على يده وهذا غاية الكرم الصوري والمعنوي الوصف الثاني أنه ذو قوة كما قال في موضع آخر علمه شديد القوى وفي ذلك تنبيه على أمور أحدها أنه بقوته يمنع الشياطين أن تدنوا منه وإن ينالوا منه شيئا وإن يزيدوا فيه وينقصوا منه بل إذا رآه الشيطان هرب منه ولم يقرب به الثاني أنه موال لهذا الرسول الذي كذبتموه ومعاضد له وموادله وناصر كما قال تعالى وإن نظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ومن كان هذا القوى وليه ومن أنصاره وأعدائه ومعلمه فهو المهدي المنصور والله هاديه وناصره الثالث أن مادي هذا الرسول فقه مادي صاحبه وولي جبريل ومن مادي ذا القوة والشدة فهو حُرصة لهلاك الرأع أنه قادر على تنفيذ ما أمر به لقوته ولا يعجز عن ذلك مودله كما أمر به لاماته فهو القوى الأمين واحدكم إذا انتدب غيره في أمر من الأمور لرسالة أو ولاية أو وكالة أو غيرها فأنما ينتدب لها القوى عليه الأمين على فعله وإن كان ذلك الأمر من أهم الأمور عنده انتدب له قويا أميناً معظما ذامكانة عنده مطاعا في الناس كما وصف عبده جبريل بهذه الصفات وهذا يدل على عظمة شأن المرسل والرسول والرسالة والمرسل إليه حيث انتدب له الكريم القوى المسكين عنده المطاع في الملاهي الأمين حق الأمين فان الملوك لا ترسل في مهماتها إلا الأشراف ذوي الأقدار والرتب العالية وقوله عند ذي العرش مكين أي له مكانة ووجاهة عنده وهو أقرب الملائكة إليه وفي قوله عند ذي العرش إشارة إلى علو منزلة جبريل إذ كان قريبا من ذي العرش سبحانه وفي قوله مطاع ثم إشارة

الى أن جنوده واهوانه بطيعونه اذاندبهم لنصر صاحبه وخليله محمد صلى الله عليه وسلم  
وفيه اشارة ايضا الى أن هذا الذي تكذبونه وتعادونه سبب سبب مطامع في الارض كما أن  
جبريل مطامع في السماء وان كلام الرساين مطامع في محله وقومه وفيه تعظيم له بأنه بمنزلة  
الملوك المطامعين في قومهم فلم يندب لهذا الامر العظيم الا مثل هذا الملك المطامع وفي وصفه  
بالامانة اشارة الى حفظه ما حله وأدائه له على وجهه ثم نزه رسوله البشري وزكاه عما  
يقول فيه أعداؤه فقال وما صاحبكم بمجنون وهذا أمر يعلمونه ولا يشكون فيه وان قالوا  
بألسنتهم خلافة فهم يعلمون انهم كانوا كاذبين ثم أخبر عن رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل  
وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج يرى بالعبان ويدركه البصر لا كما يقوله المتفلسفة  
ومن قلدتهم انه العقل الفعال وانه ليس مما يدرك بالبصر وحقيقته عندهم انه خيال موجود  
في الاذهان لا في الاعيان وهذا مما خالفوا به جميع الرسل وأنبياءهم وخرجوا به عن جميع الملل  
ولهذا كان تقرير رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل أهم من تقرير رؤيته لربه تعالى  
فان رؤيته لجبريل هي أصل الايمان الذي لا يتم الا باعتقادها ومن أنكرها كفر قطعاً وأما  
رؤيته لربه تعالى فغايتها أن تكون مسألة نزاع لا يكفر جاحداً بالاتفاق وقد صرح جماعة  
من الصحابة بأنه لم يره وحكي عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك فمنهم من  
تقرير رؤيته لجبريل احوج منها الى تقرير رؤيته لربه تعالى وان كانت رؤية الرب أعظم من  
رؤية جبريل ومن دونه فان النبوة لا ينوقف ثبوتها عليها أبنة ثم نزه رسوله كليهما أحدهما  
بطريق النطق والثاني بطريق الزوم مما يضاد مقصود الرسالة من الكتمان الذي هو والضنة  
والبخل والتبديل والتغير الذي يوجب التهمة فقال وما هو على الغيب بضنين فان الرسالة  
لا يتم مقصودها الا بأمرين ادائها من غير كتمان وادائها على وجهها من غير زيادة ولا نقصان  
والقراءتان كالأيتين فتضمنت أحدهما وهي قراءة الضاد تزبیه عن البخل فان الضنين البخل  
يقال ضننت به اضن بوزن بخلت به البخل ومعناه ومنه قول جليل بن مصر

أجود بمضنون الثلاثواني \* بسرك عن سألني لضنين

قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس ببخل بما أنزل الله وقال مجاهد لا يضمن عليهم بما علم  
وأجمع المفسرون على ان الغيب ههنا القرآن والوحي وقال الفراء يقول تعالى بأنه غيب السماء وهو  
منفوس فيه فلا يضمن به عليكم وهذا معنى حسن جداً فان مادة النفوس الشئ بالشيء النفس والاسما  
عن لا يعرف قدره ويذمه ويذم من هو عنده ومع هذا فهذا الرسول لا يبخل عليكم بالوحي الذي هو  
أنفس شئ وأجله وقال ابو علي الفارسي المعنى بأنه الغيب فيبينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم  
الكاهن ما عنده ويخفيه حتى يأخذ عليه حلوانا وفيه معنى آخر وهو أنه على ثقة من الغيب الذي  
يخبر به فلا يخاف ان ينتقض ويظهر الامر بخلاف ما أخبر به كما يقع للكاهن وغيرهم من يخبر بالغيب  
فان كذبهم اضعاف صدقهم واذا أخبر أحدهم بخبر لم يكن على ثقة منه بل هو خائف من ظهور  
كذبه فاقدم هذا الرسول على الاخبار بهذا الغيب العظيم الذي هو اعظم الغيب واثقاه مقيماً  
عليه مبدئياً في كل مجمع ومعيداً منادياً به على صدقه مستجلباً به لاهدائه من اعظم الأدلة على  
صدقته واما قرآن من قرأ بظنين بالظاء فعناه المنهم يقال ظننت زيدا بمعنى اتهمته وليس من الظن

الذي هو الشعور والادراك فان ذلك يتعدى الى مفعولين ومنه ما انشده ابو حبيدة  
 اما وكتاب الله لا عن شهادة \* هجرت ولكن الحب ظنين

والمعنى وما هذا الرسول على القرآن بتهمة بل هو أمين لا يزيد فيه ولا ينقص وهذا يدل على  
 ان الضمير يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه قد تقدم وصف الرسول المسمى بالامانة ثم قال  
 وما صاحبكم بمجنون ثم قال وما هو اى وما صاحبكم بتهمة ولا بخيل واختار ابو حبيدة قراءة  
 الظاء للمعنيين احدهما ان الكفار لم يخلووه وانما اتهموه فنفي التهمة الاولى من نفى الخيل الثانى  
 انه قال على الغيب ولو كان المراد الخيل لقال بالغيب لانه يقال فلان ضنين بكذا او فلان  
 ما يقال على كذا قلت ويرجمه انه وصفه بما وصف به رسوله المسمى من الامانة فنفي  
 عنه التهمة كما وصف جبريل بأنه أمين ويرجمه ايضا انه سبحانه نفى اقسام الكذب  
 عن كلها عما جاء به من الغيب فان ذلك لو كان كذبا فاما ان يكون منه او ممن علمه وان كان منه  
 فاما ان يكون نعمده او لم يتعمده فان كان من معلمه فليس هو بشيطان رجيم وان كان منه  
 مع التعمد فهو المتهم ضد الامين وان كان عن غير تعمد فهو المجنون فنفي سبحانه عن رسوله  
 ذلك كله وزكى سند القرآن اعظم تركية فلهذا قال سبحانه وما هو بقول شيطان رجيم اى  
 ليس تعليم الشيطان ولا يقدر عليه ولا يحسن منه كما قال تعالى وما نزلنا به الشياطين وما يذبغى  
 لهم وما يستطبعون فنفي فعله وابتناءه منهم وقدرتهم عليه وكل من له ادنى خبرة بأحوال  
 الشياطين والمجانين والمتهمين واحوال الرسل يعلم علما لا يارى فيه ولا يشك بل علما ضروريا كسائر  
 الضروريات منافاة احدهما للآخر ومضادته له كمنافاة احد الضدين لصاحبه بل ظهور المناقاة  
 بين الامرين للعقل ابين من ظهور المناقاة بين النور والظلمة له بصرو لهذا اوضح سبحانه من كفر بعد  
 ظهور هذا الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة الشياطين فقال أين تذهبون قال ابو اسحق وأى  
 طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التى بينت لكم قلت هذا من احسن اللازم وايده ان تبين  
 للسامع الحق ثم نقول له ايش نقول خلاف هذا وابن تذهب خلاف هذا قال تعالى فبأى حديث بعده  
 يؤمنون وقال فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون فالامر منحصر فى الحق والباطل والهدى  
 والضلال فاذا عدلتم عن الهدى والحق وأبى العدول وابن المذهب ونظير هذا قوله فهل  
 صيتم ان تولىتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم أى ان امرضتم عن الايمان  
 بالقرآن والرسول وطاعته فليس الا الفساد فى الارض والشرك والمعاصى وقطيعة الرحم  
 ونظيره قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مرجح لماتركوا الحق وعدلوا عنه  
 مرجح عليهم امرهم والتبس فلا يدرون ما يقولون وما يفعلون بل لا يقواون شيئا الا كان  
 باطلا ولا يفعلون شيئا الا كان ضائعا غير نافع لهم وهذا شأن كل من خرج عن الطريق  
 الموصل الى المقصود ونظيره قوله تعالى فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم  
 وقد كشف هذا المعنى كل الكشف بقوله عز وجل فذلكم الله ربكم الحق فاذا بعد الحق  
 الا الضلال فأنى تصرفون

فصل ثم اخبر تعالى عن القرآن بأنه ذكر للعالمين وفى موضع آخر ذكره للمتقين  
 وفى موضع آخر ذكر رسوله صلى الله عليه وسلم ولقومه وفى موضع آخر ذكر مطلق



هداها وقوله ألهيأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ونظائر ذلك مما لا يصح فيه  
 حل المشيئة على الامر البتة والذي دل عليه الآية مع سائر ادلة التوحيد وادلة العقل  
 الصريح ان مشيئة العباد من جملة الكائنات التي لا توجد الا بمشيئة الله سبحانه وتعالى فالمرشأ لم  
 يكن البتة كما ان ما شاء كان ولا بد ولكن ههنا امر يجب التنبيه عليه وهو ان مشيئة الله سبحانه  
 تارة تتعلق بفعله وتارة تتعلق بفعل العبد فتعلقها بفعله وهو ان يشاء من نفسه امانة عبده  
 وتوفيقه وتهيئته للفعل فهذه المشيئة تستلزم فعل العبد ومشيئته ولا يكفي في وقوع الفعل مشيئة  
 الله لمشيئة عبده دون ان يشاء فعله فانه سبحانه قد يشاء من عبده المشيئة وحدها فيشاء العبد  
 الفعل ويريده ولا يفعله لانه لم يشأ من نفسه امانته عليه وتوفيقه له وقد دل على هذا  
 قوله تعالى وما نشأؤن الا ان يشاء الله رب العالمين وقوله وما يذكرون الا ان يشاء الله  
 وهاتان الآيتان متضمنتان اثبات الشرع والقدر والاسباب والمسببات وفعل العبد واستاءه  
 الى فعل الرب ولكل منهما عبودية مختص بهان عبودية الآية الاولى الاجتهاد واستفراغ  
 الوسع والاختيار والسعي وعبودية الثانية الاستعانة بالله والتوكل عليه والرجاء اليه واستئزال  
 التوفيق والعون منه والعلم بأن العبد لا يمكنه ان يشاء ولا يفعل حتى يجعله الله كذلك وقوله  
 رب العالمين ينظم ذلك كله ويتضمنه لمن عطل احد الامرين فقد جحد كمال الربوبية وعطلها  
 وبالله التوفيق

فصل في ومن ذلك قوله تعالى والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا  
 فالسابحات سبحا فالمدبرات امرا \* فهذه خمسة امور وهي صفات الملائكة فاقسم سبحانه  
 بالملائكة الفا حلة لهذه الافعال اذ ذلك من اعظم آياته وحذف مفعول النزع والنشط لانه لو  
 ذكر ما تنزع وتنشط لا وهم التقييده وان القسم على نفس الافعال الصادرة من هؤلاء الفاعلين لم  
 يتعلق الغرض بذلك المفعول كقوله فاما من اعطى واتقى ونظائره فكان نفس النزع هو المقصود  
 لا عين المنزوع واكثر المفسرين على انها الملائكة التي تنزع ارواح بني آدم من اجسامهم وهم  
 جماعة كقوله توفته رسلا وقوله ان الذين توفاهم الملائكة واما قوله قل بتوفاكم ملك الموت الذي  
 وكل بكم فاما ان يكون واحدا وله احوان واما ان يكون المراد الجنس لا الوحدة كقوله وصدقت  
 بتكلمات ربها وكتبه وقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والنزع هو اجتذاب الشئ بقوة والاغراق  
 في النزع هو ان يجذب به الى آخره ومنه اغراق النزع في جذب القوة بأن يبلغ بها غاية المد فيقال اغرق  
 في النزع ثم صار مثلا لكل من بالغ في فعل حتى وصل الى آخره والفرق اسم مصدر اقيم مقامه كالعطاء  
 والكلام اقيم مقامه الاعطاء والتكلم واختلف الناس على النازعات متعدد ولازم فعل القول  
 الذي حكمياه يكون متعديا وهذا قول على ومسروق ومقاتل وابي صالح وعطية عن ابن  
 عباس وقال ابن مسعود هي أنفس الكفار وهو قول قتادة والسدي وعطاء عن ابن عباس  
 وعلى هذا فهو فعل لازم وغرقا على هذا معناه نزعاً شديداً بلغ ما يكون واشده وفي هذا  
 القول ضعف من وجوه أحدها أن عطف ما بعده عليه يدل على أنها الملائكة فهي السابحات  
 والمدبرات والنازعات الثاني ان الاقسام بنفوس الكفار خاصة ليس بالبين ولا في اللفظ  
 ما يدل عليه الثالث ان النزع مشترك بين نفوس بني آدم والاغراق لا يختص بالكافر وقال



الحسن النازعات هي النجوم تنزع من المشرق الى المغرب وغرقا هو غروبها قال تنزع من  
ههنا وتفرق ههنا واختاره الاخفش وأبو حبيدة وقال مجاهد هي شدة الموت وأهواله  
التي تنزع الارواح نزما شديدا وقال عطاء وعكرمة هي القسي والنازعات على هذا القول  
بمعنى النسب أي ذوات النزع التي ينزع بها الراعي فهو النازع قلت النازعات اسم فاعل من  
نزع ويقال نزع كذا اذا اجتذبه بقوة ونزع عنه اذا خلاه وتركه بعد ملاسته له ونزع اليه اذا  
ذهب اليه ومال اليه وهذا لما توصف به النفوس التي لها حركة ارادية للميل الى الشيء أو الميل  
عنه واحق ما صدق عليه هذا الوصف الملائكة لان هذه القوة فيها أكل وموضع الآية فيها  
أعظم فهي التي تفرق في النزع ذاتها ما تنزعه أو تنزع اليه والنفوس الانسانية أيضا لها هذه القوة  
والنجوم أيضا تنزع من أفق الى أفق فالنزع حركة شديدة سواء كانت من ملك أو نفس انسانية  
أو نجم والنفوس تنزع الى أوطانها وإلى ما ألفها وعند الموت تنزع الى ربها والمنايا تنزع النفوس  
والقسي تنزع بالسهم والملائكة تنزع من مكان الى مكان وتنزع ما وكلت بنزعه والخيل  
تنزع في أعنتها نزما تفرق فيه الاعنة لطول أعناقها فالصفة واقعة على كل من له هذه الحركة  
التي هي آية من آيات الرب تعالى فانه هو الذي خلقها وخلق محلها وخلق القوة والنفس  
التي بها تتحرك ومن ذكر صورة من هذه الصور فلما أراد التمثيل وان كانت الملائكة أحق  
من تناوله هذا الوصف فأقسم بطوائف الملائكة وأصنافهم فهم النازعات التي تنزع الارواح  
من الاجساد والناشطات التي تنشطها أي تخرجها بسرعة وخفة من قولهم نشط الدلو من  
البئر اذا أخرجهما وأنا أنشط بكذا أي أخف له وأسرع والسابحات التي تسبح في الهواء في  
طريق ممرها الى ما أمرت به كما تسبح الطير في الهواء فالسابقات التي تسبق وتسرع الى ما أمرت به  
لا تبطئ عنه ولا تتأخر فالمدبرات أمور العباد التي أمرها ربها بتدبيرها وهذا أولى الأقوال وقد  
روى عن ابن عباس أن النازعات الملائكة تنزع نفوس الكفار بشدة وعنف والناشطات  
الملائكة التي تنشط أرواح المؤمنين يسر وسهولة واختار الفراء هذا القول فقال هي الملائكة  
تنشط نفوس المؤمنين فتقبضها وتنزع نفوس الكفار قال الواحدى انما اختار ذلك لما بين النشاط والنزع  
من الفرق في الشدة واللين فالنزع الجذب بشدة والنشاط الجذب برفق وابن الناشطات هي  
النفوس التي تنشط لما أمرت به والملائكة أحق الخلق بذلك ونفوس المؤمنين ناشطة  
لما أمرت به وقبل السابحات هي النجوم تسبح في الفلك كما قال تعالى كل في ذلك يسبحون وقيل هي  
السفن تسبح في الماء وقيل هي نفوس المؤمنين تسبح بعد المفارقة صاعدة الى ربها قلت  
والصحيح انها الملائكة والسياق يدل عليه وأما السفن والنجوم فلما تسمى جارية وجواري  
كما قال تعالى ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام وقال جلنا كم في الجارية وقال الجوارى الكنيس  
ولم يسمها سابحات وان أطلق عليها فعل السباحة كقوله كل في فلك يسبحون ويدل عليه  
ذكره السابقات بعدها والمدبرات بالفاء وذكره الثلاثة الاول بالواو ولان السبق والتدبير  
مسبب عن المذكور قبله فانه انزعت ونشطت وسبحت فسبقت الى ما أمرت به فدبرته ولو كان  
السابحات هي السفن أو النجوم أو النفوس الآدمية لما عطف عليها فعل السبق والتدبير  
بالفاء فثبأ له قال مسروق ومقاتل والكلبي فالسابقات سبقتها الملائكة قال مجاهد وأبوروق

سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح والايان والتصديق قال مقاتل تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة وقال الفراء والزجاج هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي الى الانبياء اذ كانت الشياطين تسترق السمع وهذا القول خطأ لا يخفى فساد اذ يقتضى الاشتراك بين الملائكة والشياطين فى التاثير الوحي وان الملائكة تسبقهم به الى الانبياء وهذا ليس بصحيح فان الوحي الذى تأتى به الملائكة الى الانبياء لا تسترقه الشياطين وهم معزولون عن سماعه وان استرقوا بعض ما يسمعون من ملائكة السماء الدنيا من أمور الحوادث فآله سبحانه صان وحيد الى الانبياء أن تسترق الشياطين شيئاً منه وهزلهم عن سمعه ولو ان قائل هذا القول فسر السابقات بالملائكة التى تسبق الشياطين بالرجم بالشهب قبل القاء الكلمة التى استرقها لكان له وجه فان الشيطان يدر مصرطاً بالقائه الى وليه فتسبقه الملائكة فى نزوله بالشهب الثواقب فتملكه وربما أتى الكلمة قبل ادراك الشهاب له وفمرت السابقات سبقاً بالانفس السابقات الى طاعة الله ومرضاته وأما المديرات أمراً أجمعوا على انه الملائكة قال مقاتل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت يدبرون أمر الله تعالى فى الارض وهم المقسمات أمراً قال عبدالرحمن بن سابط جبريل موكل بالرياح والجنود وميكائيل موكل بالقطر والنبات وملك الموت موكل بقبض الانفس واسرافيل ينزل بأمر الله عليهم وقال ابن عباس هم الملائكة وكلهم الله بأمر عرفة العمل بها والوقوف عليها بعضهم ابني آدم يحفظون ويكتبون وبعضهم وكلوا بالامطار والنبات والخسف والسمخ والرياح والسموات انتهى وقد أخبر ان الله وكل بالرجم ملكاً وللرؤيا ملك موكل بها وللجنة ملائكة موكلون بعمارتها وعمل آلائها وأوانبها وغراسها وفرشها وغارقتها وأرائكها وللنار ملائكة موكلة بعمل ما فيها وابقادها وغير ذلك فالدنيا وما فيها والجنة والنار والموت وأحكام البرزخ قد وكل الله بذلك كله ملائكة يدبرون ما شاء الله من ذلك ولهذا كان الايمان بالملائكة احداً أركان الايمان الذى لا يتم الايمان الا به وأما من قال انها النجوم فليس هذا من قول أهل الاسلام ولم يجعل الله النجوم تدبر شيئاً من الخلق بل هي مدبرة مسخرة كما قال تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره فآله سبحانه هو المدير بملائكته لأمر العالم العلوى والسفلى قال الجرجاني وذكر السابقات والمديرات بالفاء وما قبلها بالواو لان ما قبلها اقسام مستأنفة وهذان القسمان منشآن عن الذى قبلهما كأنه قال قال لاني سبقت فسبق كما نقول قام فذهب أو جب الفاء ان القيام كان سبباً للذهاب واوقلت قام وذهب لم نجعل القيام سبباً للذهاب واعترض عليه الواحدى فقال هذا غير مطرد فى هذه الآية لانه يبعد أن يجعل السبق سبباً للتدبير مع أن السابقات ليست الملائكة فى قول المفسرين قلت الملائكة داخلون فى السابقات قطعاً وأما اختصاص السابقات بالملائكة فهذا محتمل وأما قوله يبعد أن يكون السبق سبباً للتدبير فليس كما زعم بل السبق المبادرة الى تنفيذ ما يؤمر به الملك فهو سبب لفعل الذى أمر به وهو التدبير مع أن الفاء دالة على التعقيب وأن التدبير يتعقب السبق بلا تراخ بخلاف الاقسام الثلاثة والله أعلم وجواب القسم محذوف بدل عليه السياق وهو البعث المستلزم لصدق الرسول وثبوت القرآن أو انه من القسم الذى اراد به التنبيه على الدلالة والعبرة بالقسم دون أن يراد به مقسم عليه بعينه وهذا القسم يتضمن الجواب

المقسم عليه وان لم يذ كر لفظا ولعل هذا مراد من قال انه محذوف للعلم به انكن هذا الوجه  
الطرف مسلكا فان المقسم به اذا كان دالا على المقسم عليه مستلزما استغنى عن ذكره بذكره  
وهذا غير كونه محذوفا لدلالة ما بعده عليه فتأمل له ولعل هذا قول من قال انه انما أقسم  
رب هذه الاشياء وحذف المضاف فان معناه صحيح لكن على غير الوجه الذي قد روه  
فان اقسامه سبحانه بهذه الاشياء اظهر دلالتها على ربوبيته ووحدايته وعلمه وقدرته وحكمته  
فلاقسام بها في الحقيقة اقسام ربوبيته وصفاته كماله فتأمل له ثم قرر سبحانه بعده هذا القسم امر المعاد  
ونبوة موسى المستلزمة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لم اذن المحال أن يكون موسى نبيا  
ومحمد ليس نبيا مع أن ما ثبت نبوة موسى فلمحمد نظيره أو أعظم منه وقرر سبحانه تكليمه  
لموسى بنادته له بنفسه فقال اذ ناداه ربه فأثبت المستلزم للكلام والتكليم وفي موضع  
آخر أثبت النجا والنداء والنجا نوع من التكليم ومحال ثبوت النوع بدون الجنس ثم امره ان  
يخاطبه بأعين خطاب فيقول له هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فنخشي في هذا  
من لطف الخطاب ولينه وجوه أحدها اخراج الكلم مخرج العرض ولم يخرج مخرج الامر  
والالزام وهو أطف ونظيره قول ابراهيم لضيفه المكرمين ألا تأكلون ولم يقل كلوا الثاني  
قوله الى أن تزكى والتزكى النماء والطهارة والبركة والزيادة فعرض عليه أمرا يقبله كل  
قائل ولا يردده الاكل أحق جاهل الثالث قوله تزكى ولم يقل أزكيك فأضاف التزكية الى نفسه  
وعلى هذا يخاطب الملوك الرابع قوله وأهديك أي كون دليلك وهاديا بين يديك فنسب  
الهداية اليه والتزكى الى المخاطب أي كون دليلك وهاديا فتزكى أنت كما نقول للرجل  
هل لك ان أدلك على كـنز تأخذ منه ماشئت وهذا احسن من قوله اعطيك الخامس قوله  
الى ربك فان في هذا ما يوجب قبول ما دل عليه وهو انه يدعو ويوصله الى ربه فاطره وخافه  
الذي اوجده ورباه بنعمه جنينا وصغيرا وكبيرا وآناه الملك وهو نوع من خطاب الاستعطاف  
والالزام كما نقول لمن خرج من طاعة سيده ألا تطع سيدك ومولاك ومالكك ونقول له ولد  
الا تطيع أباك الذي ربك السادس قوله فنخشي أي اذا اهديت اليه وعرفته خشيته لان من  
عرف الله خافه ومن لم يعرفه لم يخفه فنخشيتك تعالى مقرونة بعرفته وعلى قدر المعرفة  
تكون الخشية السابع ان في قوله هل لك فائدة لطيفة وهي ان المعنى هل لك في ذلك حاجة  
أوارب ومعلوم ان كل قائل يبادر الى قول ذلك لانا لداعي انما بدعوى الى حاجته ومصلحته  
لا الى حاجة الداعي فكأنه يقول الحاجة لك وانت المـتزكى وانا الدليل لك والمرشد لك  
الى أعظم مصالحك فقابل هذا بغاية الكفر والعناد وادعى أنه رب العباد هذا وهو يعلم  
أنه ليس بالذي خلق فسوى ولا قدر فهدى فكذب الخبر وعصى الامر ثم أدبر بسمي بالخدعة  
والمكر فحشر جنوده فأجابوه ثم نادى فيهم بأنه ربهم الا على واستخفهم فأطاعوه فبطش به  
جبس السموات والارض بطشة عزيزة مقدر وأخذ نكال الآخرة والاولى ليعتبر بذلك  
من يعتبر فاعتبر بذلك من خشى ربه من المؤمنين وحق القول على الكافرين ثم أقام سبحانه  
جنته على العالمين بخلق ما هو أشد منهم وأكبر وأعظم وأعلى وأرفع وهو خلق السماء وبنائها  
ورفع سمكها وتسويتها واظلام ليلها واخراج ضحاها وخلق الارض ومدها وبسطها

وتهيئتها لما يراد منها وأخرج منها شراب الحيوان وأقوا نهم وأرسي الجبال فجعلها  
رواسي للارض لئلا تذبأهلها وأودعها من المنافع ما ينم به مصالح الحيوان الناطق  
والبهيم فمن قدر على ذلك كله كيف يعجز عن اعادةكم خلقا جديدا فتأمل دلالة المقسم به  
المذكور في أول السورة على المعاد والنوحيد وصدق الرسل كدلالة هذا الدليل المذكور  
واذا كان هذا هو المقصود لم يكن محتاجا الى جواب والله أعلم

**فصل** ومن ذلك قوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا  
فالفارقات فرقا فالمقيات ذكر اعذرا أو نذرا انما توعدون لواقع فسمت المرسلات بالملائكة وهو  
قول أبي هريرة وابن عباس في رواية مقاتل وجاعة وفسرت بالرياح وهو قول ابن مسعود  
واحدي الروايتين عن ابن عباس وقول قتادة وفسرت بالسحاب وهو قول الحسن وفسرت  
بالانبياء وهو رواية عطية عن ابن عباس قلت الله سبحانه يرسل الملائكة ويرسل الانبياء  
ويرسل الرياح ويرسل السحاب فيسوقه حيث يشاء ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فارسله  
واقع على ذلك كله وهو نوعان ارسال دين يحبه ويرضاه كارسال رسله وانبيائه وارسال كون وهو  
نوعان نوع يحبه ويرضاه كارسال ملائكته في تدبير امر خلقه ونوع لا يحبه بل يستخطه ويبغضه  
كارسال الشيطان على الكفار فالارسال المقسم به ههنا مقيد بالعرف فلما أن يكون ضد  
المنكر فهو ارسال رسله من الملائكة ولا يدخل في ذلك ارسال الرياح ولا الصواعق ولا  
الشياطين وأما ارسال الانبياء فلو أريد لقال والمرسلين وليس بالفصح تسمية الانبياء مرسلات  
وتكلف الجماعات المرسلات خلاف المهود من استعمال اللفظ فلم يطلق في القرآن جمع ذلك  
الاجمع نذكير لاجمع تأنيث وأيضا فاقتران اللفظ بما بعدها من الاقسام لا يناسب تفسيرها  
بالانبياء وأيضا فان الرسل مقسم عليهم في القرآن لا مقسم بهم كقوله تالله لقد أرسلنا الى أمم  
من قبلك وقوله وانك لمن المرسلين وقوله بس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وان كان العرف  
من التابع كعرف الفرس وعرف الديك والناس الى فلان عرف واحد أي سابقون في قصده  
والتوجه اليه جاز ان تكون المرسلات الرياح ويؤيده عطف العاصفات عليه والناشرات وجاز  
ان تكون الملائكة وجاز انهم النوعين لواقع الارسال عرفا عليهم ويؤيده أن الرياح موكل بها  
ملائكة تسوقها وتصرفها ويؤيد كونها الرياح عطف العاصفات عليها بغاء التعقيب والنسب  
فكذا نراها أرسلت فمصفت ومن جعل المرسلات الملائكة قال هي تعصف في مضبها مسرعة كما  
تعصف الرياح والا كثرون على انها الرياح وفيها قول ثالث انها تعصف بروح الكافر يقال تعصف  
بالشيء اذا أباده وأهلكه قال الاشمي تعصف بالدارع والحامر حكام أبوا اسحق وهو قول  
متكلف فان المقسم به لا بد ان يكون آية ظاهرة تدل على الربوبية وأما الامور الغائبة التي يؤمن  
بها فاما يقسم عليه وانما يقسم سبحانه بملائكته وكتبنا به لظهور شأنهما ولقيام الأدلة  
والاعلام الظاهرة الدالة على ثبوتها وأما الناشرات نشرافه واستئناف قسم آخر ولهذا أنى  
به بالواو وماقبله معطوف على القسم الاول بالقاء قال ابن مسعود والحسن ومجاهد ودوقة قتادة هي  
الرياح تأتي بالمطر ويدل على صحة قولهم قوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي  
رحمته يعني انها تنشر السحاب نشرا وهو ضد الطي وقال مقاتل هي الملائكة تنشر كتب

بني آدم وصحائف أعمالهم وقاله مسروق وعطاء عن ابن عباس وقالت طائفة هي الملائكة تنشر  
اجنتها في الجرد عند صعودها ونزولها وقيل تنشر أو أمر الله في الارض والسماء وقيل تنشر  
النفوس فتحييها بالايان وقال أبو صالح هي الامطار تنشر الارض اي يحييها قلت ويجوز  
ان تكون الناشرات لازما لامفعول له ولا يكون المراد انهن نشرن كذا فانه يقال نشر الميت حي  
وأشهر الله اذا أحياء فيكون المراد بها الانفس التي حيت بالعرف الذي أرسلت به المرسلات  
أو الاشباح والارواح والبقاع التي حيت بالرياح المرسلات فان الرياح سبب لنشور الابدان  
والنبات والوحى سبب لنشور الارواح وحياتها لكن هنا أمر ينبغى التفطن له وهو انه  
سبحانه جعل الاقسام في هذه السورة نوعين وفصل احدهما من الآخر وجعل العاصفات  
معطوفا على المرسلات بفاء التعقيب فصارا كأنهما نوع واحد ثم جعل الناشرات كأنه قسم  
مبتدأ فأتى فيه بالواو ثم عطف عليه الفارقات والملقىات بالفاء فأوهم هذا ان الفارقات والملقىات  
مرتبطة بالناشرات وان العاصفات مرتبطة بالمرسلات وقد اختلف في الفارقات والاكثر  
على انها الملائكة ويدل عليه عطف الملقىات ذكر اعليها بالفاء وهي الملائكة بالاتفاق وعلى هذا  
فيكون القسم بالملائكة التي تنشر اجنتها عند النزول ففرقت بين الحق والباطل فألقت  
الذكر على الرسل اعداوا واندرا ومن جعل الناشرات الرياح جعل الفارقات صفة لها وقال هي  
تفرق السحاب ههنا وههنا ولاكن يأتي ذلك عطف الملقىات بالفاء عليها ومن قال الفارقات  
اي القرآن يفرق بين الحق والباطل فقله يلتم مع ككون الناشرات الملائكة اكثر من  
النبات اذ قيل انها الرياح ومن قال هي جحاشات الرسل فان اراد الرسل من الملائكة فظاهر وان  
اراد الرسل من البشر فقد تقدم بيان ضعف هذا القول ويظهر والله اعلم بما اراد من كلامه  
ان القسم في هذه الآية وقع على النوعين الرياح والملائكة ووجه المناسبة ان حياة الارض  
والنبات وابدان الحيوان بالرياح فانها من روح الله وقد جعلها الله تعالى نشورا وحياة القلوب  
والارواح بالملائكة فبهذين النوعين يحصل نوما للحياة ولهذا والله اعلم فصل احد  
النوعين من الآخر بالواو وجعل ما هو تابع لكل نوع بعده بالفاء وتأمل كيف وقع القسم  
في هذه السورة على المعاد والحياة الدائمة الباقية وحال السعداء والاشقياء فيها وقررها  
بالحياة الاولى في قوله ألم نخلقكم من ماء مهين فذكر فيها المبدأ والمعاد وخلص السورة  
لذلك فحسن الاقسام بما يحصل به نوما للحياة المشاهدة وهو الرياح والملائكة فكان في القسم  
بذلك ابين دابل واظهر آية على صحة ما أقسم عليه وتضمنته السورة ولهذا كان المكذب بعد ذلك  
في غاية الجحود والعناد والكفر فاستحق الويل بعد الويل فتضاعف عليه الويل كما تضاعف  
منه الكفر والتكذيب فلاحسن من هذا التكرار في هذا الموضع ولا أعظم موقعا فانه تكرر  
عشر مرات ولم يذكر الا في اثر دليل أو مدلول عليه عقيب ما يوجب التصديق وما يوجب  
التصديق به فتأمل

فصل في ومن ذلك قوله تعالى لا أقسم بيوم القيمة ولا أقسم بالنفس اللوامة وقد تقدم  
ذكر هذين القسمين ومناسبة الجمع بينهما في الذكر وكون الجواب غير مذكور وأنه يجوز  
ان يكون مما حذف لدلالة السياق عليه والعلم به ويجوز ان يكون من القسم المقصود به التنبيه

على دلالة انفسهم به وكونه آية ولم يقصده مقصدا عليه معينا فكأنه يقول اذ كر يوم القيمة والنفس الهامة مقسما بها لكونها من آياتنا وادلة ربوبيتنا ثم انكر على الانسان بعد هذه الآية سبحانه وظنه ان الله لا يجمع عظامه بعدما فرقها البلى ثم اخبر سبحانه عن قدرته على جمع غيرها من عظامه وعلى هذا فيكون سبحانه قد اخرج على فعله لما انكره اعداؤه بقدرته عليه واخبر عن فعله بانه لا يلزمهم من القدرة وقوع المقدور والمعنى بل نجعلها قادرين على نسوية بانه ودل على هذا المعنى المحذوف قوله بلى فانها حرف ايجاب لما تقدم من التثني فلهذا يستغنى عن ذكر الفعل بذكر الحرف الدال عليه فذات الآية على الفعل وذكورت القدرة لا بطلان قول المكذبين وفي ذكر البان لطيفة اخرى وهى انها اطرافه وآخر ما يتم به خلقه فمن قدر على جمع اطرافه وآخر ما يتم به خلقه مع دقتها وصغرها واطافتها فهو على ما دون ذلك اقدر فاقوم لما استبعدوا جمع العظام بعد الفناء والارمام قبل ان يجمع ونسوى اكثر منها تفرقا وادقها اجزاء وآخر اطراف البدن وهى عظام الانامل ومفاصلها وقالت طائفة المعنى نحن قادرون على أن نسوى اصابع يديه ورجليه ونجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا تفرق بينهما ولا يمكنه ان يعمل بهما شيئا مما يعمل بأصابعه المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والثاني لما يريد من الحوائج وهذا قول ابن عباس وكثير من المفسرين والمعنى على هذا القول اتاقي الدنيا قادرون على أن نجعل عظام بانه مجموعة دون تفرق فكيف لا تقدر على جمعها بعد تفرقها فهذا وجه من الاستدلال غير الاول وهو الاستدلال بقدرته سبحانه على جمع العظام التى فرقها ولم يجمعها والاول استدلال بقدرته سبحانه على جمع عظامه بعد تفرقها وهما وجهان حسنان وكل منهما له الترجيح من وجه غير جمع الاول انه هو المقصود وهو الذى انكره الكفار وهو اجراء على نسق الكلام والطرادولان الكلام لم يسق لجمع العظام وتفرقها في الدنيا وانما يسق لجمعها في الآخرة بعد تفرقها بالموت ويرجح القول الثاني ولعله قول جمهور المفسرين حتى أن فهم من لم يذكر غيره وأنه استدلال بآية ظاهرة مشهورة وهى تقريبى البناء مع انتظامها في كف واحد وارتباط بعضها ببعض فهى متفرقة في عضو واحد يقبض منها واحدة ويبسط اخرى وبمركز واحدة والاخرى ساكنة ويعمل بواحدة والاخرى معطلة وكلها في كف واحد قد جمعها ساعد واحد فلو شاء سبحانه لسواها فجمعها صفة واحدة كبطان الكف ففاته هذه المنافع والمصالح التى حصلت بتفرقها ففى هذا أعظم الادلة على قدرته سبحانه على جمع عظامه بعد الموت ثم اخبر سبحانه عن سوء حال الانسان واصرارته على المعصية والفجور وانه لا يرهوى ولا يخاف يوما يجمع الله فيه عظامه وبعثه حيا بل هو مرید للفجور ما عاش فيعجز في الحال ويريد الفجور في غد وما بعده وهذا عند الذى يخاف الله والدار الآخرة فهذا لا يندم على ما مضى منه ولا يقطع في الحال ولا يعزم في المستقبل على الترك بل هو طامع على الاستمرار وهذا عند التائب المنيب ثم نبه سبحانه على الحامل له على ذلك وهو استبعاده ليوم القيامة وليس هذا استبعادا لزمته مع اقراره بوقوعه بل هو استبعاد او قوعه كما حكى عنه في موضع آخر قوله ذلك رجع بعيد اى بعيد وقوعه ليس المراد انه واقع بعيد لزمته هذا قول جماعة من المفسرين منهم ابن عباس وأصحابه قال

ابن عباس يقدم الذنب ويؤخر التوبة وقال قتادة وهكذا مرة قدما قدما في معاصي الله لا ينزع من فجوره وفي الآية قول آخر وهو أن المعنى بل يريد الإنسان ليكذب بما أمامه من البعث ويوم القيامة وهذا قول ابن زيد واختيار ابن قتيبة وأبي اسحق قال هؤلاء ودليل ذلك قوله بسئل أيان يوم القيامة ويرجع هذا القول لفظة بل قائما تعطى أن الإنسان لم يؤمن بيوم القيامة مع هذا البيان والجهة بل هو مرید للتكذيب به ويرجمه أيضا أن السياق كله في ذم المكذب بيوم القيامة لا في ذم العاصي والفاجر وأيضا فإن ما قبل الآية وما بعدها يدل على المراد فإنه قال أحسب الإنسان أن لن نجتمع عظامه بلى قادرين على أن نسوي بنانه فأنكر سبحانه عليه حسبانته أن الله لا يجمع عظامه ثم قرر عليه قدرته على ذلك ثم أنكر عليه إرادة التكذيب بيوم القيامة فالأول حسبان منه أن لا يحياه بعد موته والثاني تكذيب منه بيوم البعث وأنه يريد أن يكذب بما وضح وبان دليل وقوعه وثبوته فهو مرید للتكذيب به ثم أخبر عن تصريحه بالتكذيب فقال يسئل أيان يوم القيامة فالأول إرادة التكذيب والثاني نطق بالتكذيب وتكلم به وهذا قول قوي كما ترى لكن ينبغي إفراغ هذه الالفاظ في قوالب هذا المعنى فإن لفظة يفجرانما يدل على عمل الفجور لا على التكذيب وحذف الموصول مع ما جره وإبقاء الصلة خلاف الأصل فإن أصحاب هذا القول قالوا تقديره ليكفر بما أمامه وهذا المعنى صحيح لكن دلالة هذا اللفظ عليه ليست بالبينه فالجواب أن الأمر كذلك لكن الفعل إذا ضمن معنى فعل آخر لم يلزم إعطاء حكمه من جميع الوجوه بل من جلالة هذه اللفظة العظيمة الشأن وجزالتها أن يذكر المتكلم فعلا وما يضمنه معنى فعل آخر ويجرى على المضمن أحكامه لفظا وأحكام الفعل الآخر معنى فيكون في قوة ذكر الفعلية مع غلبة الاختصار ومن تدبر هذا وجد كثير في كلام الله تعالى فلفظ يفجر اقتضت أمامه بلا واسطة حرف ولا اسم موصول فأعطيت ما اقتضته لفظا واقتضت ما تضمنته من الفعل ذكر الحرف والموصول فأعطيته معنى فهذا وجه هذا القول لفظا ومعنى والله أعلم ثم أخبر سبحانه عن حال هذا الإنسان إذا شاهد اليوم الذي كذب به فقال فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفر فيسرق بصره أي يشخص لما يشاهده من العجائب التي كان يكذب بها وخسف القمر ذهب ضوؤه وانمحي وجمع الشمس والقمر ولم يجتمعا قبل ذلك بل يجمعهما الذي يجمع عظام الإنسان بعد ما فرقا البلى ومزقاها ويجمع الإنسان يومئذ جميع عمله الذي قدمه وآخره من خير أو شر ويجمع ذلك من جميع القرآن في صدر رسوله ويجمع المؤمنين في دار الكرامة فيكرم وجوههم بالنظر إليه ويجمع المكذبين في دار الهوان وهو قادر على ذلك كله كما جمع خلق الإنسان من نطفة من معنى ثم جملة علقة مجمعة الأجزاء بعدما كانت نطفة منفردة في جميع بدن الإنسان وكما يجمع بين الإنسان وملك الموت ويجمع بين الساق والساق أماما الميت أو ساق من يجهز بدنه من البشر ومن يجهز روحه من الملائكة أو يجمع عليه شدائد الدنيا والآخرة فكيف هذا الإنسان أن يجمع بينه وبين عمله وجزائه وأن يجمع مع بني جنسه ليوم الجمع وأن يجمع عليه بين أمر الله ونهيه وهو ديتة فلا يترك مدى مهلا لا مطلا لا يؤمر ولا ينهى ولا يثاب ولا يعاقب فلا يجمع عليه



ذلك فاجمع هذه السورة لمعان الجمع والضم وقد اقتضت بالقسم يوم القيمة الذي يجمع الله فيه بين الاولين والآخرين وبالنفس الواحدة التي اجتمع فيها همومها وغومها وارادتها واعتقاداتها وتضمنت ذكر المبدأ والمعاد والقيامة الصغرى والكبرى واحوال الناس في المعاد وانقسام وجوههم الى ناظرة منعمة وباسرة معذبة وتضمنت وصف الروح بأنها جسم ينتقل من مكان الى مكان فيجمع من تضاريف البدن حتى تبلغ التراق ويقول الحاضرون من راقى اى من يرقى من هذه العلة التي اُفيت على الحاضرين اى التسوا له من يرقىه والرقية آخر الطب وقيل من يرقى بها وبصعداء الملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب فعلى الاول تكون من رقى يرقى كرمى يرمى وعلى الثانى من رقى يرقى كشقى بشقى ومصدره الرقا ومصدر الاول الرقية والقول الاول أظهر لوجوه واحد ما انه ليس كل ميت يقول حاضروه من يرقى بروحه وهذا اغايقوله من يؤمن برقى الملائكة بروح الميت وانهم ملائكة رحمة وملائكة عذاب بخلاف التماس الرقية وهى الدماء فانه قل ما يخلو منه المحتضر الا فى ان الروح انما يرقى بها الملك بعد مفارقةها وحينئذ يقال من يرقى بها واما قبل المفارقة فطلب الرقية للمريض من الحاضرين انسب من طلب علم من يرقى بها الى الله الثالث ان فاعل الرقية يمكن العلم به فبحسن السؤال عنه ويفيد السامع واما لراقى الى الله فلا يمكن العلم بتعيينه حتى يسئل عنه ومن اغا يسئل بها عن تعيين ما يمكن السائل أن يصل الى العلم بتعيينه الرابع ان مثل هذا السؤال اغا يراد به تخصيص واثارة هموم الى فعل ما يقع بعد من قوله من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا او يراد به انكار فعل ما يدكر بعدها كقوله من ذا الذى يشفع عنده الاباذنه وفعل الراقى الى الله لا يحسن فيه واحد من الامرين هنا بخلاف فاعل الرقية فانه يحسن فيه الاول الخامس ان هذا خرج على عادة العرب وغيرهم فى طلب الرقية لمن وصل الى مثل تلك الحال فحكى الله سبحانه ما جرت مادتهم بقوله وحذف فاعل القول لانه ليس الغرض متعلقا بالقائل بالقول ولم يجر مادة المخاطبين بأن يقولوا من يرقى بروحه فكان محل الكلام على ما ألف وجرت العادة بقوله اولى اذ هو نذ كبراهم بايشاهدونه ويسمعونه السادس انه لو اريد هذا المعنى لكان وجه الكلام ان يقال من هو الراقى ومن الراقى لا وجه لا كلام غير ذلك كما يقال من هو القائل منكما كذا وكذا فى الحديث من القائل كلمة كذا السابع ان كلمة من اغا يسئل بها عن تعيين كما يقول من الذى فعل كذا ومن ذا الذى قاله فيعلم ان فاعلا وقائلا فعل وقال ولا يعلم تعيينه فيسأل عن تعيينه بمن تارة وبأى تارة وهم لم يسألوا عن تعيين الملك الراقى بالروح الى الله فان قيل بل علموا ان ملك الرحمة والعذاب صاعد بروحه ولم يعلموا تعيينه فيسألوا عن تعيين احدهما قيل هم يعلمون ان تعيينه غير ممكن فكيف يسألون عن تعيين ما لا سبيل للسامع الى تعيينه ولا الى الكلمة بالعلم به الا من ان الآية انما سميت لبيان بأسه من نفسه وبأس الحاضرين معه ومحقق اسباب الموت وأنه قد حضر ولم يبق شئ يجمع فيه ولا مخلص منه بل هو قد ظن أنه مفارق لا محالة فالحاضرون قد علموا أنهم لم يبق لاسباب الحياة المعتادة تأثير فى بقائه فطلبوا اسبابا خارجة عن المقدور تسحب الراقى والدعوات فقالوا من راقى اى من يرقى هذا العليل من اسباب الهلاك والرقية عندهم كانت مستعملة حيث لا يجدى الدواء

التاسع ان مثل هذا انما يراد به النفي والاستبعاد وهو أحد التقديرين في الآية أي لا أحد يرقى من هذا العلة بعدما وصل صاحبها الى هذه الحال فهو استبعاد لنفي الرقيصة لا طالب لوجود الرقي كقوله قال من يحيي العظام وهي رميم أي لا أحد يحييها وقد صارت الى هذه الحال فان أريد بهذا المعنى استحال ان يكون من الرقي وان أريد بها الطلب استحال أيضا ان يكون منه وقد بينا أنها في مثل هذا انما تستعمل للطلب أولا نكارا وحيث نذكر فنقول في الوجه العاشر أنها اما ان يراد بها الطلب أو الاستبعاد والطلب اما ان يراد به طلب الفعل أو طلب التعيين ولا سبيل الى حل واحد من هذه المعاني على الرقي لما بيناه والله أعلم

فصل في ومن أسرار هذه الصورة أنه سبحانه جمع فيها لاوليائه بين جلال الظاهر والباطن فزبن وجوههم بالنضرة وبواطنهم بالنظر اليه فلا أجعل لبس واطنهم ولا أنم ولا أحلي من النظر اليه ولا أجعل لظواهرهم من نضرة الوجهه وهي اشراقه وتحسينه وبهجته وهذا كما قال في موضع آخر ولقاهم نضرة وسرورا ونظيره قوله يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشاف هذا جلال الظاهر وزينته ثم قال ولباس القوي ذلك خير فهذا جلال الباطن ونظيره قوله اننا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب فهذا جلال ظاهرها ثم قال وحفظا من كل شيطان مارد فهذا جلال باطنها ونظيره قوله عن امرأة العزيز بعد ان قالت ليوسف اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلك الذي لم نثنى فيه ولقد راودته عن نفسه فاتعصم وذكرها لهنها هو من تمام وصفها لمحاسنها أنه في قابضة المحاسن ظاهرا وباطنا وينظر الى هذا المعنى ويناسبه قوله انك لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تضام فيها ولا تضوى فقابل بين الجوع والعري لان الجوع ذل الباطن والعري ذل الظاهر وقابل بين الظم والحر الباطن والضم والحر الظاهر وهو حر الظاهر بالبروز للشمس وقريب من هذا قوله ونزودوا فان خير الزاد التقوى في ذكر الزاد الظاهر الحمى والزاد الباطن المعنوي فهذا زاد سفر الدنيا وهذا زاد سفر الآخرة ويطلب به قول هود يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم فالاول القوة الظاهرة المتصلة عنهم والثاني الباطنة المتصلة بهم ويشبهه قوله فخاله من قوة ولا ناصر فنفي عنهم الدافع بين الدافع من أنفسهم والدافع من خارج وهو الناصر

فصل في ومن أسرارها أنها تضمنت اثبات قدرة الرب على ما علم أنه لا يكون ولا يفعله وهذا على أحد القولين في قوله بلى قادرين على أن نسوي بنانه فآخبر أنه قادر عليه ولم يفعله ولم يردده وأصرح من هذا قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض وانا على عهاب به لقادرون وهذا أيضا على أحد القولين أي تغور العيون في الارض فلا يقدر على الماء قال ابن عباس يريد ان سيغيب فيذهب فلا يكون من هذا الباب بل يكون من باب القدرة على ما يفعله وأصرح من هذين الموضعين قوله تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم مذيابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزول هذه الآية اهو ذوجهك ولكن قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم

انه لا بد ان يقع في امته خسف ولكن لا يكون طاماً وهذا عذاب من تحت الارجل وروى  
انه كان في الامة قذف ايضاً وهذا عذاب من فوق فيكون هذا من باب الاخبار بقدرته على  
ما يفعل وان اراد به القدرة على عذاب الاستئصال فهو من القدرة على ما لا يريد  
وقد صرح سبحانه بانه لو شاء لفعل ما لم يفعل في غير موضع من كتابه كقوله ولو شاء ربك  
لا من من في الارض كلهم جوعاً وقوله ولو شئنا لا تبقينا كل نفس هـداها ونظـاثره  
وهذا مما لا يخفى فيه بين اهل السنة وبه تبين فساد قول من قال ان القدرة لا تكون الا مع  
الفعل لا قبله وان الصواب التفصيل بين القدرة الموجبة والمصححة فنفي القدرة عن  
الفاعل قبل الملازمة مطلقاً خطأ والله اعلم

**فصل** ومن أسرارها انها تضمنت التأمي والتثبت في تلقي العلم وان لا يحمل السامع شدة  
محبة وحرصه وطلبه على مبادرة المعلم بالاخذ قبل فراغه من كلامه بل من آداب الرب التي  
أدب بها نبيه صلى الله عليه وسلم امره بترك الاستعجال على تلقي الوحي بل يصبر الى ان يفرغ  
جبريل من قراءته ثم يقرأ به دفراغه عليه فهكذا ينبغي لطالب العلم واسامعه ان يصبر  
على معلمه حتى يقضى كلامه ثم يعيده عليه او يسأل عما اشكل عليه منه ولا يبادره  
قبل فراغه وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى في ثلاثة مواضع من كتابه هذا احدها  
والثاني قوله وكذلك انزلناه حكماً عربياً وصرفنا فيه من الوحي ما علمهم يتقون  
او يحدث لهم ذكرنا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى اليك  
وحيه وقل رب زدني علماً والثالث قوله سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله فضمن لرسوله  
ان لا ينسى ما قرأ اياه وهذا يتناول القراءة وما بعدها وقد ذم الله سبحانه في هذه السورة من  
يؤثر العاجلة على الآجلة وهذا لاستعجاله بالتمتع بما يفنى واشاره ما يبقى ورتب كل ذم ووعيد  
في هذه السورة على هذا الاستعجال ومحبة العاجلة فارادته ان يفجر امامه هو من استعجاله  
وحب العاجلة وتكذيبه يوم القيامة من فرط حب العاجلة واشاره لها واستعجاله بنصيبه  
وتمتع به قبل أوانه واولا حب العاجلة وطلب الاستعجال لتمتع به في الآجلة اكل  
ما يكون وكذلك تكذيبه ونوايه وترك الصلاة هو من استعجاله ومحبة العاجلة والرب  
سبحانه وصف نفسه بضد ذلك فلم يعجل على عبده بل امله الى ان بلغت الروح التراقي  
وأيقن بالموت وهو الى هذه الحال مستمر على التكذيب والتسولي والرب تعالى لا يعاجله  
بل يمهله ويحدث له الذكر شيئاً بعد شيء وبصرف له الآيات ويضرب له الامثال وينبهه على  
مبدئه من كونه نطفة من منى عني ثم علقته ثم خلقا مـويا فلم يعجل عليه بالخلق وهـلة  
واحدة ولا بالمقوبة اذ كذب خبره وعصى امره بل كان خلقه وامره وجزاؤه بعد غهيل  
وتدريج واناء واهـ ذم الانسان بالعجلة بقوله وكان الانسان عجولاً وقال خلقني  
الا انسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون

**فصل** ومن أسرارها ان اثبات النبوة والمعاد يعلم بالعقل وهذا احد اقوال اصحابنا  
وغيرهم وهو الصواب فان الله سبحانه انكر على من حسب انه بترك مدى فلا يؤمر ولا ينهى  
ولا يثاب ولا يعاقب ولم ينف سبحانه ذلك بطريق الخبر المجرد بل نفاه نفي مالا يليق نسبته اليه

ونفى منكر على من حكم به وظنه ثم استدل سبحانه على فساد ذلك وبين ان خلقه الانسان في هذه الاطوار وتنقله فيها طورا بعد طور حتى بلغ نهايته بأبي ان تركه سدى فانه ينزه عن ذلك كما ينزه عن العيب والعيوب والنقص وهذه طريقة القرآن في غير موضع كما قال تعالى اخسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم اليانا ترجعون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم فجعل كمال ملكه وكونه سبحانه الحق وكونه لا اله الا هو وكونه رب العرش المستازم لربوبيته لئلا يبدل ما دونه مبطلا لئلا يظن الباطل والحكم الكاذب وانكار هذا الحسابان عليهم مثل انكاره عليهم حسابانهم انه لا يسمع سرهم ونجواهم وحسابان انه لا يراهم ولا يقدر عليهم وحسابان انه يسوي بين اوليائه وبين اعدائه في محبتهم وعمايتهم وغير ذلك مما هو منزله عنه تنزيهه عن سائر العيوب والنقائص وان نسبة ذلك كنسبة ما يتعالى عنه لا يليق من اتخاذ الوالد والشريك ونحو ذلك مما ينكره سبحانه على من حسبه أشد الانكار فدل على ان ذلك قبح ممتنع نسبته اليه كما يمنع أن ينسب اليه سائر ما ينافي كماله المقدس واو كان نفي تركه سدى انما يعلم بالسمع المجرد لم يقل بعد ذلك ألم يك نطفة الى آخره وما يدل ان تعطيل اسمائه وصفاته ممتنع وكذلك تعطيل موجدها ومقتضياتها فان ملكه الحق يستلزم امره ونهيه وثوابه وعقابه وكذلك يستلزم ارسال رسله واتزال كتبه وبعث المعداد ليوم يحجزى فيه المحسن باحسانه والمسيء باساءته فمن انكر ذلك فقد انكر حقيقة ملكه ولم يثبت له الملك الحق واذل كان منكر ذلك كافرا بربه وان زعم انه بقر بصران العالم فلم يؤمن بالملك الحق الموصوف بصفات الجلال والمستحق لنعوت الكمال كما ان المعطل لكلامه وعلوه على خلقه لم يؤمن به سبحانه فانه آمن برب لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يصعد اليه قول ولا عمل ولا ينزل من عنده ملك ولا أمر ولا نهى ولا ترفع اليه الايدي ومعلوم ان هذا الذي آمن به رب مقدر في ذهنه ليس هو رب العالمين واله المرسلين وكذلك اذا اعتبر اسماء الحق وجدته مقتضية الصفات كماله من علمه وسمعته وبصره وقدرته وارادته ورجته وفعله ما يشاء واسمه القيوم مقتضى لتدبير امر العالم العلوي والسفلي وقيامه بمصالحه وحفظه له فمن انكر صفات كماله لم يؤمن بأنه الحق القيوم وان اقر بذلك الحد في اسمائه وعطل حقائقها حيث لم يمكنه تعطيل الفاظها وبالله التوفيق

**فصل** ومن ذلك قوله تعالى كلا والقمر والليل اذ أدبروا الصبح اذا أسفرا انها لحدى الكبر نذير للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر اقسام سبحانه بالقمر الذي هو آية الليل وفيه من الآيات الباهرة الدالة على ربوبية خالقه وباريه وحكمته وعنايته بخلق ما هو معلوم بالمشاهدة وهو سبحانه اقسام بالسماء وما فيها مما لا نراه من الملائكة وما فيها مما نراه من الشمس والقمر والنجوم وما يحدث بسبب حركات الشمس والقمر من الليل والنهار وكل ذلك آية من آياته ودلالة من دلائل ربوبيته ومن نذير امره هذين النيرين العظيمين وجدتهما من اعظم الآيات في خلقهما وجرمهما ونورهما وحركتهما على نهج واحد لا يذيان ولا يفتران دأبهم ولا يقع في حركتهما اختلاف بالبطء والسرعة والرجوع والاستقامة والانخفاض والارتفاع ولا يجري احدهما في ذلك صاحبه ولا يدخل عليه في سلطانه ولا تدرك الشمس القمر ولا يجنى الليل قبل انقضاء النهار بل لكل حركة مقدرة ونهج معين لا يشركه فيها الاخر كما ان له تأثيرا

ومنفعة لا يشرك فيها الاخر وذلك مما يدل من له ادنى عقل على انه بتسخير مسخر وامر امر وتدبير  
مدبر يهت حكيمته العقول واحاط علمه بكل دقيق وجليل وفرق ما علمه الناس من الحكم الذي في  
خلقهم اما لا تصل اليه عقولهم ولا تنتهي الى مبادئها واهامهم فغابتنا الاعتراف بحلال خالقهما كمال  
حكيمته ولطف تدبيره وان نقول ما قاله اولو الالباب قبلنا ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه  
فقد اذهاب النار ولو ان العبد وصف له جرم اسود مستدير عظيم الخلق يبدو فيه النور كخيطة  
منسجدة ثم يزداد كل ليلة حتى يتكامل نوره فيصير اضواء شئ واحسنه واجله ثم يأخذ  
في النقصان حتى يعود الى حاله الاول فيحصل بسبب ذلك معرفة الا شهر والسنين وحساب  
آجال العالم من موافقت جهنم وصلاتهم ومواقيت اجارهم ومدابنا تهم ومعاملاتهم التي  
لا تقوم مصالحهم الا بها فصالح الدنيا والدين متعلقة بالالهة وقد ذكر سبحانه ذلك في ثلاث  
آيات من كتابه احدها قوله يسألونك عن الالهة قل هي موافقت للناس والحج والثانية قوله هو  
الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله  
ذلك الا بالحق بفصل الآيات لقوم يعلمون والثالثة قوله وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية  
الليل وجعلنا آية النار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل  
شئ فصلناه تفصيلا فلو لا ما يحدثه الله سبحانه في آية الليل من زيادة ضوئها ونقصانها لم يعلم  
ميقات الحج والصوم والعدد ومدة الرضاع ومدة الحمل ومدة الاجارة ومدة آجال الحاملات  
فان قيل كان يمكن هذا بحركة الشمس والايام التي تحفظ بطلوع الشمس وغروبها كما يعرف  
اهل الكتابين موافقت صيامهم وأعيادهم بحساب الشمس قبل هذا وان كان ممكنا الا انه يعسر  
ضبطه ولا يقف عليه الا الآحاد من الناس ولا ريب ان معرفة اوائل الشهور واواسطها  
وأواخرها بالقمر امر يشترك فيه الناس وهو أسهل من معرفة ذلك بحساب الشمس وأقل  
اضطرابا واختلافا ولا يحتاج الى تكلف حساب وتقليد من لا يعرفه من الناس لمن يعرفه فالحكمة  
البالغة التي في تقدير السنين والشهور بسير القمر اظهر وأنفع وأصلح وأقل اختلافا من تقديرها  
بسير الشمس فارب جل جلاله دبر الالهة بهذا التدبير العجيب لمنافع خلقه في مصالح دينهم  
ودنيائهم مع ما يتصل به من الاستدلال به على وحدانية الرب وكمال حكيمته وعلمه وتدبيره فشهادة  
الحق بتغير الاجرام الفلكية وقيام أدلة الحدوث والخلق عليها هي آيات ناطقة بلسان الحال على  
تكذيب الدهرية وزنادقة الفلاسفة والملاحدة القائلين بأنها ازلية ابدية لا ينطرق اليها  
التغير ولا يمكن عدمها فانأمل البصير القمر مثلا وافتقاره الى محل يقوم به وسيره دأبا لا يفتقر مسير  
مسخر مدبر وهبوطه تارة وارتفاعه تارة وأفوله تارة وظهوره تارة وذهاب نوره شيئا فشيئا ثم  
عوده اليه كذلك وذهاب ضوئه جلة واحدة حتى يعود قطعة مظلمة بالكسوف علم قطعا انه مخلوق  
مربوب مسخر تحت امر خالق قاهر مسخر له كما يشاء وعلم أن الرب سبحانه لم يخلق هذا باطلا  
وان هذه الحركة فيه لا بد أن تنتهي الى الانقطاع والسكون وان هذا الضوء والنور لا بد أن  
ينتهي الى ضده وأن هذا السلطان لا بد أن ينتهي الى العزل وسيمجم بينهما جامع المتفرقات بعد  
أن لم يكونا مجتمعين وبذهب بهما حيث شاء ويرى المشركين من عبديتهما حال آلهتهم التي  
عبدوها من دونه كما يرى عباد الكواكب انتشارها وعباد السماء انقطاعها

وعباد الشمس تكويرها وعباد الاصنام اهانتها والقاءها في النار احقرشي واذله واصغره كما رى  
عباد الجمل في الدنيا حاله ومبادر عباده تحمته وتمحقه والريح تمزقه وتذروه وتنسفه في البر وكما  
أرى الاصنام في الدنيا صورها مكسرة مخردة ملقاة بالامكنة القذرة ومعاول الموحدين قد هتمت  
منها تلك الوجوه وكسرت تلك الرؤس وقطعت تلك الابدى والارجل التي كانت لا يوصل  
اليها بغير التقبيل والاستلام وهذه سنة الله التي لا تبدل وطادته التي لا تحول انه يرى ما بدغيره حال  
معبوده في الدنيا والآخرة وان كان المعبود غير راض بعبادة غيره ارادة تربيته منه ومعاداته له احوج  
ما يكون اليه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ويعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين  
تأمل سطور الكائنات فانها \* من الملك الاعلى اليك رسائل  
وقد خط فيها لو تأملت خطها \* ألا كل شيء ما خلا الله باطل

ولو شاء تعالى لابقى القمر على حالة واحدة لا يتغير وجعل التغيير في الشمس واوشاء لغيرهما  
وما ووشاء لا بقاها على حالة واحدة ولكن يرى عباده آياته في انواع تصاريها ليدلهم على  
انه الله الذي لا اله الا هو الملك الحق المبين الفعال لما يريد ألا اله الا هو الخلق والامر ببارك الله  
رب العالمين واما تأثير القمر في ترطيب ابدان الحيوان والنبات وفي المياه وجزر البحر ومدد  
وبحركات الامراض ونقلها من حال الى حال وغير ذلك من المنافع فأمر ظاهر

فصل \* واما اقسامه سبحانه بالليل اذ ادبر فلما في ادباره واقبال النهار من ابين  
الدلالات الظاهرة على المبدأ والمعاد فانه مبدأ ومعاد يومى مشهود بالعبان بينما الحيات وان في  
سكون الليل قد هدأت حركاتهم وسكنت اصواتهم ونامت عيونهم وصاروا اخوان الاموات  
اذ قبل من النهار داعيه واسمع الخلائق مناديه فانتشرت منهم الحركات وارتفعت منهم  
الاصوات حتى كأنهم قاموا احياء من القبور يقول قائلهم الحمد لله الذي احيانا بعد ما ماتنا واليه  
النشور فهو معاد جديد ابداء وأعاد الذى يبدى ويعيد فن ذهب بالليل وجاء بالنهار سوى  
الواحد القهار فن تأمل حال الليل اذا عسعس وادبر والصبح اذا تنفس وأسفر فهزم جيوش  
الظلام بنفسه واضاء افاق العالم بعبسه وقل كتاب المواقب بعساكره واضحك نواحي الارض  
ببشائره وبشاره فبما آيتان شاهدتان بوحدانية منشيها وكال ربوبيته وعظم قدرته  
وحكمته فتبارك الذى جعل طلوع الشمس وغروبها مقبلا لسلطان الليل والنهار فلولوا طلوعها  
لبطل امر العالم كله فكيف كان الناس يسعون في معاشهم ويتصرفون في امورهم والدنيا  
مظلمة عليهم وكيف كانت تهينهم الحياة مع فقد لذة النور وروحه وأى ثمار ونبات وحيوان  
كان يوجد وكيف كانت ثم مصالح ابدان الحيوان والنبات ولولا غروبها لم يكن للناس هدو  
ولا قرار مع علم حاجتهم الى الهدو لراحة ابدانهم وجوهم حواسهم فلولوا جثوم هذا الليل  
عليهم بظلمته ما هداؤ ولا قروا ولا سكنوا بل جعله احكم الحاكمين سكتا ولما سكا جعل النهار  
ضياء ومعاشا ولولا الليل وبرده لاحتزقت ابدان النبات والحيوان من دوام شروق الشمس  
عليها وكان يحرق ما عليها من نبات وحيوان فانقضت حكمة احكم الحاكمين ان جعلها  
سراجا يطلع على العالم في وقت حاجتهم اليه ويغيب في وقت استغنائهم عنه  
فطلوعه لمصلحتهم وغيبته لمصلحتهم وصار النور والظلمة على تضادهما متعاونين

معاوين منظارين على مصلحة هذا العالم وقوامه فلو جعل الله سبحانه النهار سرمداً الى يوم  
 القيامة والليل سرمداً الى يوم القيامة لفانت مصالح العالم واشتدت الضرورة الى تغيير ذلك وزالته  
 بضده وتأمل حكمته سبحانه في ارتفاع الشمس وانخفاضها لا فائدة هذه الازمنة الاربعة من السنة  
 وما في ذلك من مصالح الخلق في الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منها مواد  
 الثمار ويكف الهواء فينشأ منه السحاب وينعقد فيحدث المطر الذي به حياة الارض ونماء ابدان  
 الحيوان والنبات وحصول الافعال والقوى وحركات الطباع وفي الصيف يخدم الهواء فينضج  
 الثمار وتشتد الحبوب ويجف وجه الارض فيتبأ العمل وفي الخريف يصفو الهواء وتبرد  
 الحرارة ويمتد الليل وتستريح الارض والشجر للحمل والنبات مرة ثانية بمنزلة راحة الحامل  
 بين الحملين ففي هذه الازمنة يبدأ ومعاد مشهود وشاهد بالبداء والمعاد الغيبي والمقصود ان بحركة  
 هذين النيران يتم مصالح العالم وبذلك يظهر الزمان فان الزمان مقدار الحركة فالسنة الشمسية  
 مقدار سير الشمس من نقطة الحمل الى مثلها والسنة القمرية مقدرة بسير القمر وهو اقرب  
 الى الضبط واشترك الناس في العلم به وقدر احكم الحاكمين تنقلهما في منازلهما لما في ذلك  
 من تمام الحكمة واطف التدبير فان الشمس لو كانت تطلع وتغرب في موضع واحد لاتعداه  
 لما وصل ضوؤها وشعاعها الى كثير من الجهات فكان نفعها يفقد هناك فجعل الله سبحانه  
 طلوعها دولابين الارض لينال نفعها ونأثيرها البقاع فلا يبقى موضع من المواضع التي يمكن  
 ان تطلع عليها الا اخذ بقسطه من نفعها واقتضى هذا التدبير المحكم ان وقع مقدار الليل  
 والنهار على اربعة وعشرين ساعة يأخذ كل منهما من صاحبه ومنتهى كل منهما اذا امتد  
 خمسة عشر ساعة فلو زاد مقدار النهار على ذلك الى خمسين ساعة مثلاً او اكثر لاختل  
 نظام العالم وفسد اكثر الحيوان والنبات ولو نقص مقداره عن ذلك لاختل النظام ايضا  
 وتعطلت المصالح ولو استويا دائماً لما اختلفت فصول السنة التي باختلافها مصالح العباد  
 والحيوان فكان في هذا التقدير والتدبير المحكم من الايات والمصالح والمنافع ما يشهد بأن  
 ذلك تقدير العزيز العليم ولهذا يذكر سبحانه هذا التقدير ويضيفه الى عزته وعلمه كما قال  
 تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير  
 العزيز العليم وقال تعالى قل انكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا  
 ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام  
 سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها والارض اثباتاً طوطاً او كرهما قالتا انبينا  
 طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وادحى في كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح  
 وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم وقال تعالى فالحق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر  
 حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم فهذه ثلاثة مواضع يذكر فيها ان تقدير حركات الشمس  
 والقمر والاجرام العلوية وما ينشأ عنها كان من مقتضى عزته وعلمه وأنه قدره بهاتين  
 الصفتين وفي هذا تكذيب لاعداء الله الملاحدة الذين ينفون قدرته واختياره وعلمه بالمغيبات  
 فصل في واقسم سبحانه بهذه الاشياء الثلاثة وهي القمر والليل اذ ادبر والصبح  
 اذا امفر على المعاد لما في القسم من الدلالة على ثبوت المقسم عليه فانه يتضمن كمال قدرته



وحكمته وعنايته بخلقه وابداء الخلق واعادته كما هو مشهود في ابداء النهار  
والليل واعادتهما وفي ابداء النور واعادته في القمر وفي ابداء الزمان واعادته الذي هو حاصل  
بسير الشمس والقمر وابداء الحيوان والنبات واعادتهما وابداء فصول السنة واعادتها وابداء  
ما يحدث في تلك الفصول واعادته فكل ذلك دليل ظاهر على المبدأ والمعاد الذي أخبرت به  
الرسول كلهم عنه فصرف سبحانه الآيات الدالة على صدق رساله ونوعها وجعلها لفطر نارة  
ولجمع نارة وللمشاهدة نارة فجعلها آفاقية وتفسية ومنقولة ومعقولة ومشهودة بالعيان  
ومذكورة بالجلال فأبى الظالمون الا كفورا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم  
يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ولما اقام  
الجنة وبين المحجة ارتهن كل نفس بكسبها وواخذها بذنبها واستثنى من اولئك من قبل هداة  
واتبع رضاهم اصحاب اليمين الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وعلماكو اخير عبيد  
المجرمين الذين ليسوا من المصلين ولا من مطعمى المسكين وهم من اهل الخوض مع الخائضين  
المكذبين بيوم الدين فهذه اربع صفات اخرجتهم من زمرة المفلحين وادخلتهم في جملة  
الهاالكين الاولى ترك الصلاة وهي عمود الاخلاص للمعبود الثانية ترك اطعام المسكين الذي  
من هو مراتب الاحسان للعبيد ولا اخلاص للخالق ولا احسان للمخلوق كما قال تعالى الذين هم  
يراؤون ويمنعون الماعون وقال لا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون  
وهذا ضد ما وصف به اصحاب اليمين بقوله الذين يقبلون الصلاة وهم ارزقناهم ينفقون  
وقال تجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون وقرن  
سبحانه بين هذين الاصلين في غير موضع في كتابه فأمر بهما تارة وأثنى على فاعليهما  
تارة وتوعد بالويل والعقاب تاركهما تارة فان مدار النجاة عليهما ولا ملاح لمن اخل بهما  
الصفة الثالثة والرابعة الخوض بالباطل والتكذيب بالحق فاجتمع لهم عدم الاخلاص  
والاحسان والخوض بالباطل والتكذيب بالحق واجتمع لاصحاب الاخلاص والاحسان  
والتصديق بالحق والتكلم به فاستقام اخلاصهم واحسانهم وبقيتهم وكلامهم واستبذل  
اصحاب الشمال بالاخلاص شركا وبالاحسن اساءة وبالبينة شكا وتكذيبا وبالكلام  
النافع خوضا في الباطل فلذلك لم تنفعهم شفاعة الشافعين أي لم يكن لهم من شفيع فيهم  
لان الشفاعة تقع فيهم ولا تنفع وهذا لما عرضوا عن التذكرة ولم يرفعوا بهاراسا وجفلوا  
عن سماعها كما تجفل حمر الوحش من الاسد أو من الرماة ثم ختم السورة بانه جمع فيها بين  
شرعه وقدره واقامة الحجية عليهم باثبات المشيئة لهم وبيان مقتضى التوحيد والربوبية  
وان ذلك اليه لا اليهم فالاول عدله والثاني فضله فالاول يوجب السعي والطلب والحرص  
على ما ينجيهم كما يفعلون ذلك في مصالح دنياهم بل أشد والثاني يوجب الاستعانة والتوكل  
والتفويض والرغبة الى من ذلك بيده ليسهل وبوفقههم والله المستعان وعليه التكلان

فصل في ومن ذلك قوله فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم الى  
آخرها قال مقاتل بما تبصرون من الخلق وما لا تبصرون منه وقال قتاده أقسم بالاشياء كلها بما يبصر  
منها وما لا يبصر وقال الكلبي تبصرون من شيء وما لا تبصرون من شيء وهذا أعظم قسم وقع في

القرآن فانه يعم العلويات والسفليات والديا والآخره وما يرى ويدخل في ذلك الملائكة كلهم والجن والانس والعرش والكرسى وكل مخلوق وكل ذلك من آيات قدرته وربوبيته وهو سبحانه يصرف الاقسام كما يصرف الآيات ففي ضمن هذا القسم ان كل ما يرى وما لا يرى آية ودليل على صدق رسوله وان ما جاء به هو من عند الله وهو كلامه لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن ومن تأمل المخلوقات ما برأه منها وما لا يراه واعتبر ما جاء به الرسول بها ونقل فكرته في مجاري الخلق والامر ظهر له ان هذا القرآن من عند الله وانه كلامه وهو اصدق الكلام وانه حق ثابت كما ان سائر الموجودات ما يرى منها وما لا يرى حق كما قال تعالى فو رب السماء والارض انه لخلق مثل ما انكم تنطقون اي ان كان نطقكم حقيقة وهو امر موجود لا تقارون فيه ولا تشكون فهكذا ما اخبرتكم به من التوحيد والمعاد والنبوة حق كما في الحديث انه لخلق مثل ما انت ههنا فكأنه سبحانه يقول ان القرآن حق كما ان ما شاهدوه من الخلق وما لا يشاهدونه حق موجود بل لو فكرتم فيما تبصرون وما لا تبصرون لداكم ذلك على ان القرآن حق ويكفي الانسان من جبع ما لا يبصره وما لا يبصره بعينه ومبدأ خلقه ونشأته وما يشاهده من احواله ظاهرا وباطنا في ذلك ايبين دلالة على وحدانية الرب وثبوت صفاته وصدق ما اخبر به رسوله وما لم يباشره قلبه ذلك حقيقة لم تخالط بشاشة الايمان قلبه ثم ذكر سبحانه المقسم عليه فقال انه لقول رسول كريم وهذا رسوله البشري محمد صلى الله عليه وسلم وفي اضافته اليه باسم الرسالة بين ذلك انه كلام المرسل فمن انكر ان يكون الله قد تكلم بالقرآن فقد انكر حقيقة الرسالة ولو كانت اضافته اليه اضافة انشاء وابتداء لم يكن رسولا ولناقض ذلك اضافته الى رسوله الملكي في سورة التكوين ثم بين سبحانه كذب اعدائه وبيتهم في نسبة كلامه تعالى الى غيره وانه لم يتكلم به بل قال من تلقاه نفسه كما بين كذب من قال ان هذا الاقول البشر فمن زعم انه قول البشر فقد كفر وسيصلية الله - فمر ثم اخبر سبحانه انه تنزيل من رب العالمين وذلك يتضمن امورا احدها انه تعالى فوق خلقه كلهم وان القرآن نزل من عنده والثاني انه تكلم به حقيقة لقوله من رب العالمين ولو كان غيره هو المتكلم به لكان من ذلك الغير ونظير هذا قوله ولكن حق القول مني ونظيره قوله قل نزل به روح القدس من ربك بالحق وقوله تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تنزيل من حكيم حميد وما كان من الله فليس بمخلوق ولا ينتقض هذا بأن الرزق والمطر وما في السموات والارض جميعا منه وهو مخلوق لان ذلك كله اعيان قائمة بنفسها وصفات وافعال لتلك الاعيان فاضافتها الى الله سبحانه وانها منه اضافة خلق كاضافة بيته وعبدته وناقته وروحه وبابه اليه بخلاف كلامه فانه لا بد ان يقوم بتكلمه اذ كلام من غير متكلم كسمع من غير سميع وبصر من غير مبصر وذلك عين المحال فاذا اضيف الى الرب كان بمنزلة اضافة سمعه وبصره وحياته وقدرته وعلمه ومشيتته اليه ومن زعم ان هذه اضافة مخلوق الى خالق فقد زعم ان الله لا يسمع له ولا يبصر ولا حياة ولا قدرة ولا مشيئة تقوم به وهذا هو التعطيل الذي هو شر من الاشراك وان زعم ان اضافة السمع والبصر والعلم والحياة والقدرة اضافة صفة الى موصوف فاضافة الكلام اليه اضافة مخلوق الى خالق فقد تناقض وخرج من موجب العقل والفطرة والشرع ولغات الاعم وفرق بين متماثلين حقيقة وعقلا وشرعا وفطرة ولغة وتأمل كيف اضافته سبحانه

الى الرسول بلفظ القول واضافه الى نفسه بلفظ الكلام في قوله حتى يسمع كلام الله فان الرسول يقول للمرسل اليه ما امر بقوله فيقول قلت كذا وكذا وقلت له ما امرني ان أقوله كما قال المسيح ما قلت لهم الا ما امرتني به والمرسل يقول للرسول قل لهم كذا وكذا كما قال تعالى قل لعبادي الذين آمنوا بقموا الصلاة وقل لعبادي بقواوا التي هي أحسن قل لله - ومنه بين بغضوا من ابصارهم ونظارته فاذا بلغ الرسول - ول ذلك صح ان يقال قال الرسول كذا وهذا قول الرسول أي قاله مبلغا وهذا قوله مبلغا عن مرسله ولا يجي في شيء من ذلك تكلم لهم بكذا وكذا ولا تكلم الرسول بكذا او كذا ولا أنه بكلام رسول كريم ولا في موضع واحد بل قيل له صدق وقد نلى آية هذا الكلام وكلام صاحبك فقل ليس بكلامي ولا كلام صاحبي هذا كلام الله

**فصل** في الامر الثالث ما تضمنه قوله تنزيل من رب العالمين ان ربور بيته الكاملة خلقة تأتي ان يتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينههم ولا يرشدهم الى ما ينفعهم ويحذرهم ما بضرهم بل يتركهم هملا بمنزلة الانعام السائمة فمن زعم ذلك لم يبق در رب العالمين قدره ونسبه الى ما لا يليق به تعالى فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ثم أقام سبحانه البرهان القاطع على صدق رسوله وأنه لم يبق قول عليه فيما قاله وأنه لو تقول عليه لما قرء ولما جله بالاهلاك فان كمال علمه وقدرته وحكمته تأتي ان يقر من تقول عليه وامترى عليه وأضل عباداه واستباح دماء من كذبه وحريمهم وأموالهم وأظهر في الارض الفساد والجور والكذب وخالف الخلق فكيف يليق بأحكام الحاكمين وأرحم الراحمين وأقدر القادرين أن يقره على ذلك بل كيف يليق به أن يؤيده وينصره ويعليه ويظهره ويظهره بأهل الحق يسفك دماءهم ويستبيح أموالهم وأولادهم ونساءهم قائلا ان الله أمرني بذلك وأباح لي بل كيف يليق به أن يصدقه بأنواع التصديق كلها فيصدقه باقراره وبالآيات المستلزمة لصدقه التي دلالتها على التصديق كدلالة التصديق بالقول وأظهر ثم بصدقه بأنواعها كلها على اختلافها لكل آية على انفرادها مصدقة له ثم يحصل باجماع تلك الآيات تصديق في فوق تصديق كل آية بمفردها ثم يعجز الخلق عن معارضته ثم بصدقه بكلامه وقوله ثم يقيم الدلالة القاطعة على أن هذا قوله وكلامه فيشهد له باقراره ونعله وقوله فمن أعظم المحال وأبطل الباطل وأبين البهتان أن يجوز على أحكام الحاكمين ورب العالمين أن يفعل ذلك بالكاذب المفترى عليه الذي هو شر الخلق على الإطلاق فمن جاوز على الله أن يفعل هذا بشر خلقه وأكذبهم فما آمن بالله قطعا ولا عرف الله ولا هذا هو رب العالمين ولا يحسن نسبة ذلك الى من له مسكة من عقل وحكمة وحجى ومن فعل ذلك فقد أزرى بنفسه وتادى على جهله وأذكر في هذا مناظرة جرت لي مع بعض اليهود قلت له بعد أن أفضى في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم الى أن قلت له انكار نبوته يتضمن القدح في رب العالمين ونقصه بأقبح النقص فكان الكلام معكم في الرسول والكلام الآن في تنزيه الرب تعالى فقال كيف تقول مثال هذا الكلام فقلت له بيانه على قاسم الآن انتم تزعمون أنه لم يكن رسولا وانما كان ملكا قاهرا قهر الناس بسيفه حتى دانوا له ومكث ثلاثا وعشرين سنة

يكذب على الله ويقول أوحى اليّ ولم يوح اليه وأمرني ولم يأمره ونهاني ولم ينهه وقال الله كذا ولم يقل ذلك وأحل كذا وحرم كذا وأوجب كذا وكره كذا ولم يحل ذلك ولا حرمه ولا أوجبه بل هو فعل ذلك من تلقاء نفسه كاذبا مفتريا على الله وعلى أنبيائه وعلى رسله وملائكته ثم مكث من ذلك ثلاث عشرة سنة يستعرض عباده بسفك دماءهم وبأخذ أموالهم ويسترق نساءهم وأبناءهم ولا ذنب لهم إلا الرد عليه ومخالفته وهو في ذلك كله يقول الله أمرني بذلك ولم يأمره ومع ذلك فهو ساع في تبديل أديان رسل ونسخ شرائعهم وحل نواويسهم فهذه حاله عندكم فلا يخلو أما أن يكفون الرب تعالى طالما بذلك مطلعا عليه من حاله براه وبشاهده أم لا فان قلتم ان ذلك جميعه فائب عن الله لم يعمله لم يبه قد حتم في الرب تعالى ونسبتموه الى الجهل المفرط اذ لم يطلع على هذا الحادث العظيم ولا علمه ولا رآه وان قلتم بل كان ذلك بعلمه واطلاعه ومشاهدته قبل لكم فهل كان قادرا على ان يغير ذلك ويأخذ على يده ويحول بينه وبينه أم لا فان قلتم ليس قادرا على ذلك نسبتموه الى العجز المنافي لربوبية وكان هذا الانسان هو وأتباعه أقدر منه على تنفيذ اراداتهم وان قلتم بل كان قادرا ولكن مكنته ونصره وسلطه على الخلق ولم ينصر أوليائه واتباع رسله نسبتموه الى أعظم السفه والظلم والاخلال بالحكمة هذا لو كان محلي بينه وبين مافعله فكيف هو وفي ذلك كله فاصره ومؤيده ومجيب دعواته ومهلك من خالفه وكذبه ومصدق بآنواع التصديق ومظهر الآيات على يديه التي لو اجتمع أهل الارض كلهم على أن يأتوا بواحدة منها لما أمكنهم ولعجزوا عن ذلك وكل وقت من الاوقات يحدث له من أسباب النصر والتكبير والظهور والعلو وكثرة الاتباع أمرا خارجا عن العادة فظهر ان من أنكر كونه رسولا نبيا فقد سب الله وقدح فيه ونسبه الى الجهل والعجز والسفه قلت له ولا ينتقض هذا بالملوك الظالة الذين مكنتهم في الارض وقتان ثم قطع دابرهم وأبطل سنتهم ومحا آثارهم وجورهم فان أولئك لم يعبدوا شيئا من هذا ولا أبدوا ونصروا وظهرت على أيديهم الآيات ولا صدقهم الرب تعالى باقراره ولا بفعله ولا بقوله بل أمرهم كان بالضد من أمر الرسل ول كفرهم ونمروا وأضرابهم ولا ينتقض هذا بمن ادعى النبوة من الكذابين فان حاله كانت ضد حال الرسل من كل وجه بل حالهم من أظهر الأدلة على صدق الرسل ومن كلمة الله سبحانه أن أخرج مثل هؤلاء الى الوجود ليعلم حال الكذابين وحال الصادقين وكان ظهروهم من آيين الأدلة على صدق الرسل والفرق بين هؤلاء وبينهم فبضدها تتبين الاشياء والضد يظهر حسنه الضد فمعرفة أدلة الباطل وشبهه من أنواع أدلة الحقي وبراهينه فلما سمع ذلك قال ما ذال الله لانقول انه ملك ظالم بل نبي كريم من أتبعه فهو من السعداء وكذلك من أتبعه ومي فهو كن أتبع محمدا قلت له بطل كتمانهمون به بعد هذا فانكم اذا أقررتم انه نبي صادق فلا بد من تصديقه في جميع ما أخبر به وقد علم أتباعه وأعداؤه بالضرورة انه دعى الناس كلهم الى الايمان وأخبر أن من لم يؤمن به فهو كافر مخلد في النار وقاتل من لم يؤمن به من أهل الكتاب وأسجل عليهم بالكفر واستباح أموالهم ودماءهم ونساءهم وأبناءهم فان كان ذلك عدوانا منه وجورا لم يكن نبيا وطادا لمر الى القدح في الرب تعالى وان كان ذلك بأمر الله ووحيه

لم يسمع مخالفته وترك اتباعه واثم تصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر وقد أُرشد سبحانه  
 إلى هذا المسلك في غير موضع من كتابه فقال ولو تقول علينا بعض الأقاويل لاخذنا منه باليمين  
 ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين بقول سبحانه لو تقول علينا قولاً واحداً من تلقاء  
 نفسه لم نقله ولم نوحه اليه لما أقررناه ولاخذنا بيمينه ثم أهمل كتابه هذا أحد الأقاويل قال ابن قتيبة في هذا  
 قولان أحدهما أن اليمين القوة والقدرة وأقام اليمين مقام القوة لأن قوة كل شيء في يامنه قلت  
 وعلى هذا تكون اليمين من صفة الأخذ وهذا قول ابن عباس في اليمين قال ولاهل اللغة في هذا مذهب  
 آخر وهو أن الكلام ورد على ما اعتاده الناس من الأخذ بيد من يعاقب وهو قولهم إذا أرادوا عقوبة  
 رجل خذ بيده وأكثر ما يقوله السلطان والحاكم بعد وجوب الحكم خذ بيده واسفع بيده  
 فكأنه قال لو كذب علينا في شيء البكم هنا لاخذنا بيمينه ثم طافنا به بقطع الوتين وإلى  
 هذا المعنى ذهب الحسن انتهى فقد أخبر سبحانه أنه لو تقول عليه شيئاً من الأقاويل لما أقره  
 ولعاجله بالعقوبة فإن كذباً على الله ليس ككذب على غيره ولا يلحق به أن يقر الكذب عليه  
 فضلاً عن أن ينصره ويؤيده وبصدقه وقوله ثم لقطعنا منه الوتين والوتين يباط القلب  
 وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب إذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه هذا  
 قول جريح أهل اللغة قال ابن قتيبة ولم يرد أن تقطع ذلك العرق بعينه ولكنه أراد لو كذب  
 علينا لأمتناه أو قتلناه وكان كمن قطع وتبته قال ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ما زالت أكلة  
 خيبر تعاودني وهذا أوان قطعة ابهرى والابهر عرق يتصل بالقلب فإذا انقطع مات صاحبه  
 فكأنه قال هذا أوان قتلني السم فكنت كمن انقطع عابهره ثم قال تعالى فما منكم من أحد عنه  
 حاجزين أي لا يحجزه مني أحد ولا يمنعني مني الموضع الثاني قوله تعالى أم يقولون افترى  
 على الله كذباً فإن يشأ الله نخنم على قلبك ويمحو الله الباطل ويحقق الحق بكلماته أنه علم  
 ذات الصدور وفي معنى الآية فتناس قولان أحدهما قول مجاهد ومقاتل إن يشأ الله يربط  
 على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يشقى قلبك والثاني قول قتادة إن يشأ الله ينسبك  
 القرآن ويقطع عنك الوحى وهذا القول دون الأول أوجوه أحدها أن هذا خرج جواباً لهم  
 وتكذيباً لقولهم إن محمداً كذب على الله وافترى عليه هذا القرآن فأجابهم بأحسن جواب  
 وهو أن الله تعالى قادر لا يجره شيء ولو كان كما تقولون لنخم على قلبه فلا يمكنه أن يأتي بشيء  
 منه بل يصير القلب كالشيء المنخوم عليه فلا يوصل إلى ما فيه فيعود المعنى إلى أنه لو افترى  
 على لم يمكنه ولم أقره ومعلوم أن مثل هذا الكلام لا يصدر من قلب منخوم عليه فإن فيه  
 من علوم الأولين والآخريين وعلوم المبدأ والمعاد والدينا والآخرة والعلم الذي لا يعلمه إلا الله  
 والبيان التام والجزلة والفصاحة والجلالة والأخبار بالغيوب ما لم يمكن من ختم على قلبه  
 أن يأتي به ولا بعضه فلولا أني أنزلته على قلبه وبسرته بلسانه لما يمكنه أن يأتي بكم شيء  
 منه فأبى هذا المعنى إلى المعنى الذي ذكره الآخرون وكيف يلتئم معنى حكاية قولهم وكيف  
 يتضمن الرد عليهم الوجه الثاني أن مجرد الربط على قلبه بالصبر على أذاهم يصدر من الحق  
 والمبطل فلا يدل ذلك على التمييز بينهما ولا يكون فيه رد لقولهم فإن الصبر على أذى المكذب  
 لا يدل بمجرد صدق الخبر الثالث أن الربط على قلب العبد لا يقال له ختم على قلبه ولا

هكذا يابض في

يعرف هذا في عرف المخاطب ولا لغة العرب ولا هو المعهود في القرآن بل المعهود استعمال الختم  
على القلب في شأن الكفار في جميع موارد اللفظ في القرآن كقوله ختم الله على قلوبهم وقوله  
أفرايت من اتخذ الله هواه واضله الله - على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره  
غشاوة ونظائره وأما ربطه - على قلب العبد بالصبر فكقوله وربطنا على قلوبهم اذ قاموا  
فقالوا ربنا رب السموات والارض وقوله وأصبح نؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا  
ان ربطنا - على قلبها والانسان يسوغ له في الدماء أن يقول اللهم اربط - على قلبي ولا يحسن ان  
يقول اللهم اختم - على قلبي الرابع انه سبحانه حيث يحكى اقوالهم انه افتراء لا يجيبهم - على  
هذا الجواب بل يجيبهم بأنه لو افترأ لم يملكوا له من الله شيأ بل كان يأخذه ولا يقدر  
- على تخليصه كقوله أم يقولون افترأ قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيأ  
وتارة يجيبهم بالمطالبة بمسارضة مثله او شيء منه وتارة باقامة الادلة القاطعة - على أنه  
الحق وانهم هم الكاذبون المفترون وهذا هو الذي يحسن في جواب هذا السؤال  
لا مجرد الصبر الخامس ان هذه الآية نظير ما نحن فيه وأنه لو شاء لما أفره ولا يمكنه وتفسير  
القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير السادس انه لا دلالة في سياق الآية - على الصبر  
بوجه ما لا بالمطابقة ولا التضمن ولا الزوم فمن أين يعلم أنه أراد ذلك ولم يستقر هذا المعنى  
في غير هذا المعنى فحمل عليه بخلاف كونه يحول بينه وبينه ولا يمكنه من الافتراء عليه فقد  
ذكره في مواضع السابغ انه سبحانه أخبر انه لو شاء لما أتلاه عليهم ولا أدراهم به وأن ذلك  
انما هو بمشيئته وادنه وعلمه كما قال تعالى ولو شاء الله ما تلونه عليكم ولا أدراكم به وهذا  
من أبلغ الحجج وأظهرها أي هذا الكلام ليس من قبلي ولا من عندي ولا أقدر أن أدريه  
على الله ولو كان ذلك مقدورا لي لكان مقدورا لمن هو من أهل العلم والكتابة ومخالفة الناس  
والتعلم منهم ولكن الله بهتني به ولو شاء سبحانه لم ينزله ولم ييسره لسانى فلم يدعنى أتله - وه  
عليكم وان أهلكم به البتة لا على لسانى ولا على لسان غيرى ولكن الله أوحاه الى وأذن لي  
في تلاوته عليكم وأدراكم به بعد أن لم تنكروا دارين به فلو كان كذبا وافتراء كما نقولون  
لامكن غيرى أن يتلوه عليكم وتندرون به من جهته لان الكذب لا يعجز عنه البشر وأنتم لم تندروا  
بهذا ولم تسمعوه الا منى ولم تسمعوه من بشر غيرى ثم اجاب عن سؤال مقدر وهو انه تعلمه من  
غيره او افتراء من تلقاء نفسه فقال قد لبثت فيكم عمرا من قبله تعلمون حالى ولا يخفى في عليكم  
سرى ومدخلى ومخرجى وصدقى وامانتى ومن هذا لم أتمكن من قول شيء منه البتة ولا  
كان لي به علم ولا بعضه ثم أنيتكم به وهلة من غير تعلم ولا تعلم ولا معاناة الاسباب التي أتمكن  
بها منه ولا من بعضه وهذا من اظهر الادلة وابين البراهين انه من عند الله اوحاه الى وانزله  
على ولو شاء ما فعل فلم يكن من تلاوته ولا امكنكم من العلم به بل مكنتني من تلاوته ومكنتكم  
من العلم به فلم تكونوا طالبين به ولا بعضه ولما كن قبل ان يوحى الى نأيا له ولا بعضه فتأمل  
صحة هذا الدليل وحسن تأليفه وظهور دلالة ومن هذا قوله سبحانه وان شئنا لنذهبن  
بالذى أوحينا اليك ثم لا نجد لك به علينا وكيل وهذا هو المناسب لقوله ام يقولون افترى  
على الله كذبا فان يشاء الله نختم على قلبك ولقوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه

باليقين هو برهان مستقل مذكور في القرآن على وجوه متعددة والله أعلم الثامن ان مثل هذا التركيب انما جاء في القرآن للنفي لا للاثبات كقوله تعالى واثن شئان الذين بالذي اوحينا اليك وقوله ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت باخرين وقوله ان يشأ يسكن الريح فيظلالن رواكد على ظهره وقوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء ونظائر لم يأت الا فيما كان مابعد فعل الشيئة منقبا التاسع ان الختم على القلب لا يستلزم الصبر بل قد يختم على قلب العبد ويسلبه صبره بل اذا ختم على القلب زال الصبر وضعف بخلاف الربط على القلب فانه يستلزم الصبر كما قال تعالى ويـنزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ومعنى الربط في اللغة الشد واهذا يقال لكل من صبر على امر ربط قلبه كأنه حبس قلبه عن الاضطراب ومنه يقال هو رابط الجاش وقد ظن الواحدى ان على زائدة والمعنى يربط قلوبكم وايـس كما ظن بل بين ربط الشئ والربط عليه فرق ظاهر فانه يقال ربط الفرس والدابة ولا يقال ربط عليها فاذا احاط الرباط بالشئ وعنه قبل ربط عليه كأنه احاط عليه بالرباط فلهذا قيل ربط على قلبه وكان أحسن من ان يقال ربط قلبه والمقصود ان هذا الربط معه يكون الصبر أشد وأثبت بخلاف الختم العاشر ان الختم هو شد القلب حتى لا يشعر ولا يفهم فهو مانع عن العلم والتفحص والنهي صلى الله عليه وسلم كان يعلم قول أعدائه أنه افترى القرآن وبشعره فلم يجعل الله على قلبه مانعا من شعوره بذلك وعلمه به فاذا قيل الامر كذلك ولكن جعل الله على قلبه مانعا من التأذى بقولهم قيل هذا اولى ان يسمى ختمًا وقد كان يؤذيه قولهم وبخزته كما قال تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي بقـولون وكان وصول هذا الاذى اليه من كرامة الله فانه لم يؤذني ما أودى قاله في الآية هو قول فتادة والله أعلم ثم أخبر سبحانه أن القرآن تذكرة للتيقن بتذكريه المتقي فيبصر ما ينفعه فيأتيه وما يبضره فيجتنبه ويتذكريه اسماء الرب تعالى وصفاته وافعاله فيؤمن ويتذكريه ثوابه وعقابه ووعده وامره ونهيـه وآياته في أوليائه وأعدائه ونفسه وما يزيكها وبطهرها ويعليها وما يدسها ويخفيها ويحقرها ويذكريه علم المبدأ والمعاد والجنة والنار وعلم الخير والشر فهو التذكرة على الحقيقة تذكرة للعالين ومنفعة وهداية للتعالمين ثم قال سبحانه وانالعلم ان منكم مكذبين اي لا يخفون علينا فسجازيهم بتكذيبهم ثم أخبر سبحانه أن رسوله وكلامه حمرة على الكافرين اذا طينوا حقيقة ما أخبر به كان تكذيبهم عليهم من أعظم الحسرات حين لا ينفعهم التمسر وهكذا كل من كذب بحق وصدق بباطل فانه اذا انكشف له حقيقة ما كذب به وصدق به كان تكذيبه وتصديقه حمرة عليه كن فرط فيما ينفعه وقت تحصيله حتى اذا اشتدت حاجته اليه وطاب فوز المصليين صارت غريضة عليه حمرة ثم أخبر سبحانه أن القرآن والرسول حق اليقين فويل هو من باب اضافة الموصوف الى صفته اي الحق اليقين فهو معبد الجامع وصلاة الاولى وهذا موضع يحتاج الى تحقيق فنقول وبالله التوفيق ذكر الله سبحانه في كتابه مراتب اليقين وهي ثلاثة حق اليقين وعلم اليقين وعين اليقين كما قال تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين فهذه ثلاث مراتب لليقين أولها علمه وهو التصديق التام به بحيث لا يعرض له شك ولا شبهة



تدح في تصديقه كعلم اليقين بالجنة مثلاً ويتيقنهم أنها دار المتقين ومقر المؤمنين بهذه مرتبة العلم كيقينهم أن الرسل أخبروا بها عن الله وتيقنهم صدق الخبر المرتبة الثانية عين اليقين وهي مرتبة الرؤية والمشاهدة كما قال تعالى ثم لترونها عين اليقين وبين هذه المرتبة ولتي قبلها فرق ما بين العلم والمشاهدة فاليقين للسمع وعين اليقين للبصر وفي المسند للإمام أحمد مرفوعاً ليس الخبر كالمعين وهذه المرتبة هي التي سألتها إبراهيم الخليل ربه أن يريه كيف يحي الموت ليحصل له مع علم اليقين عين اليقين فكان مؤاله زيادة لنفسه وطمانينة لقلبه فيسكن القلب عند المعينة ويطمأن لقطع المسافة التي بين الخبر والعيان وعلى هذه المسافة أطلق النبي صلى الله عليه وسلم لفظ الشك حيث قال نحن احق بالشك من إبراهيم ومعاذ الله أن يكون هناك شك منه ولأن إبراهيم وأخاه وعين بعدهم وشهود بعدهم ومعاينة بعد سماع المرتبة الثالثة مرتبة حق اليقين وهي مباشرة الشيء بالاحساس به كما إذا دخلوا الجنة وتمتعوا بما فيها فهم في الدنيا في مرتبة علم اليقين وفي الموقف حـين تضاف وتقرب منهم حتى يعاينوها في مرتبة عين اليقين وإذا دخلوها وباشروا نعيمها في مرتبة حق اليقين ومباشرة المعلوم نارة يكون بالحواس الظاهرة ونارة يكون بالقلب فلهذا قال وأنه لحق اليقين فان القلب يباشر الايمان به ويخالطه كما يباشر بالحواس ما يتعلق به الخيثة نخالط بشاشته القلوب ويبقى لها حق اليقين وهذه أعلى مراتب الايمان وهي الصديقية التي تفاوتت فيها مراتب المؤمنين وقد ضرب بعض العلماء للمراتب الثلاثة مثلاً فقال اذا قال لك من نجزم بصدقه عندي حصل أريد أن اطعمك منه نصدقه كان ذلك علم يقين فاذا حضره بين يديك صار ذلك عين اليقين فاذا ذقته صار ذلك حق اليقين وعلى هذا فليست هذه الاضافة من باب اضافة الموصوف الى صفته بل من اضافة الجنس الى نوعه فان العلم والعين والحق اعم من كونها يقينا فأضيف العام الى الخاص مثل بعض المتاع وكل الدراهم ولما كان المضاف والمضاف اليه في هذا الباب يصدقان على ذات واحدة بخلاف قولك دار عمرو وثوب زيد ظن من ظن أنها من اضافة الموصوف الى صفته وليس كذلك بل هي من باب اضافة الجنس الى نوعه كثوب خز وخاتم فضة فالمضاف اليه قد يكون مغايراً للمضاف لا يصدقان على ذات واحدة وقد يجانسه فيصدقان على مسمى واحد والله أعلم ثم ختم السورة بقوله فسبح باسم ربك العظيم وهي جديرة بهذه الخاتمة لما تضمنته من الاخبار عن عظمة الرب تعالى وجلاله وذكر عظمة ملكه وجريان حكمه بالعدل على عباده في الدنيا والآخرة وذكر عظمته تعالى في ارسال رسوله وانزال كتابه وأنه تعالى أعظم وأجل وأكبر عند أهل سمواته والمؤمنين من عباده من أن يقر كذباً متقولاً عليه مفترى عليه يبدل دينه وينسخ شرائعه ويقتل عباده ويخبر عنه بالاحقية فله وهو سبحانه مع ذلك يؤيده وينصره ويجيب دعوته وبأخذ أهداه ويرفع قدره ويعلى ذكره فهو سبحانه العظيم الذي تأبى عظمته أن يفعل ذلك بمن أتى بأفحش أنواع الكذب والظلم فسبحان ربنا العظيم وتعالى عما ينسبه اليه الجاهلون علواً كبيراً

فصل ١٠ ومن ذلك قوله عز وجل فلا أقسم برب المشارق والمغارب أنا لقادرون على

أن تبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين أقسم سبحانه رب المشرق والمغرب وهي اما  
مشارك النجوم ومغاربها أو مشارق الشمس ومغاربها وان كل موضع من الجهة مشرق  
ومغرب فكذلك جمع في موضع وأفرد في موضع وثني في موضع آخر فقال رب المشرقين  
ورب المغربين فقبل هما مشرقا لصيف والشتاء وجاء في كل موضع ما يناسبه فجاء في سورة  
الرحمن رب المشرقين ورب المغربين لانهما سورة ذكرت فيها المزدوجات فذكر فيها الخلق  
والتعليم والشمس والقمر والنجوم والشجر والسماء والارض والحب والثر والجن والانس  
ومادة أبي البشر وأبي الجن والبحرين والجنة والنار وقسم الجنة الى جنتين طابتيين وجنتين  
دونهما وأخبر أن في كل جنة عينين فتاسب كل المناسبة أن يذكر المشرقين والمغربين وأما  
سورة سأل - ائله أنه أقسم سبحانه على عموم قدرته وكالها وصحة تعلقها باطاعتهم بعد العدم  
فذكر المشرق والمغرب بلفظ الجمع اذ هو أدل على المقسم عليه - واه أريد مشارق النجوم  
ومغاربها أو مشارق الشمس ومغاربها أو كل جزء من جهتي المشرق والمغرب فكل ذلك  
آية ودلالة على قدرته تعالى على أن يبدل امثال هؤلاء المكذبين وينشئهم فيما لا يعلمون  
فيأتيهم في نشأة اخرى كما يأتي بالشمس كل يوم من مطلع وتذهب في مغرب واما في  
سورة الزمل فذكر المشرق والمغرب بلفظ الافراد لما كان المقصود ذكر ربوبيته  
ووحديته وكما انه نفرد برؤية المشرق والمغرب وحده فكذلك يجب ان يتفرد  
بالرؤية والتوكل عليه وحده فليس للمشرق والمغرب رب سواه فكذلك ينبغي أن لا يتخذ  
الله ولا وكيل سواه وكذلك قال موسى لفرعون حين سأله وما رب العالمين فقال رب المشرق  
والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون وفي ربوبية سبحانه للمشرق والمغرب نبيه على ربوبية  
السموات وما حوته من الشمس والقمر والنجوم وربوبيته ما بين الجنتين وربوبية الليل والنهار  
وما تضمناه ثم قال انما القادرون على ان تبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين اي لقادرون  
على ان نذهب بهم ونأتي بأطوع لنامتهم وخير امنهم كما قال تعالى ان يشأ يذهبكم ايها الناس  
ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا وقوله وما نحن بمسبوقين اي لا يفوتني ذلك اذا ارذته  
ولا يمنع مني وعبر عن هذا المعنى بقوله وما نحن بمسبوقين لان المغلوب بسبقه الغالب الى ما يريد  
فيفوت عليه ولهذا عدى على دون الى كافي قوله وما نحن بمسبوقين على ان تبدل امثالكم  
فانه لما ضمنه معنى مغلوبين ومفهورين عداه على بخلاف سبقه اليه فانه فرق بين سبقته اليه وسبقته  
عليه فالاول بمعنى غلبته وقهرته عليه والثاني بمعنى وصلت اليه قبله

**فصل** وقد وقع الاخبار عن قدرته عليه سبحانه على تبديلهم بخير منهم وفي بعضها  
تبدل امثالهم وفي بعضها استبداله قوم اخر هم ثم لا يكونوا امثالهم فهذه ثلاثة امور يجب  
معرفة ما بينها من الجمع والفرق فحيث وقع التبديل بخير منهم فهو اخبار عن قدرته  
على ان يذهب بهم ويأتي بأطوع واتق له منهم في الدنيا وذلك قوله وان تولوا يستبدل قوما غيركم  
ثم لا يكونوا امثالكم معنى بل يكونوا خيرا منكم قال مجاهد يستبدل بهم من شاء من عباده  
فيجعلهم خيرا من هؤلاء فلم يتولوا بحمد الله فيستبدل بهم واما ذكره تبديل امثالهم في سورة  
الواقعة وسورة الانسان فقال في الواقعة نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين  
على ان تبدل امثالكم وتنشئكم فيما لا تعلمون وقال في سورة الانسان نحن خلقناهم وشددنا

امرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا قال كثير من المفسرين المعنى انما اذا اردنا ان نخلق خلقا غيركم لم يسبقنا سابق ولم يمتنا ذلك وفي قوله واذا شئنا بدلا امثالهم تبديلا اذا شئنا اهلكناهم وآينا بآبائهم فجعلائهم بدلائهم قال المهدوي قوما واقفين لهم في الخلق مخالفين لهم في العمل ولم يذكروا الواحدى ولا ابن الجزرى غير هذا القول وعلى هذا فتكون هذه الآيات نظير قوله تعالى ان يشأ يذهبكم ايها الناس وبأت بآخريين فيكون استدلالا بقدرته على اذهابهم والآتيان بامثالهم على آياته بهم انفسهم اذا ما نوا ثم استدل سبحانه بالنشأة الاولى فذكرهم بها فقال ولقد علمنا النشأة الاولى فلولا تذكروا فنبههم بما علموه وطابوا على صدق ما خبرتهم به رسوله من النشأة الثانية والذي عندي في معنى هاتين الآيتين وهما آية الواقعة والانسان المراد بتبديل امثالهم الخلق الجديد والنشأة الآخرة التي وعدوا بها وقد وفق الزمخشري لفهم هذا من سورة الانسان فقال وبدلنا امثالهم في شدة الامر يعنى النشأة الاخرى ثم قال وقيل وبدلنا غيرهم عن بطيع وحقه ان يأتى بان لا باذا كقوله وان تولوا يستبدل قوما غيركم فلت وآياته باذالتى لا تكون الا للحمقى الوقوع بدل على تحققي وقوع هذا التبديل وانه واقع لا محالة وذلك هو النشأة الاخرى التي استدل على امكانها بقوله ولقد علمنا النشأة الاولى واستدل بالمثل على المثل وعلى ما ذكره بما طابوه وشاهدوه وكونهم امثالهم هو انشأهم خلقا جديدا بعينه فهم هم باحيائهم وهم امثالهم فهم انفسهم يعادون فاذا قلت المعاد هذا هو الاول بعينه صدقت وان قلت هو مثله صدقت فهو هو معاد او هو مثل الاول وقد اوضح هذا سبحانه بقوله بل هم في ابس من خلق جديد فهذا الخلق الجديد هو المتضمن لكونهم امثالهم وقد سماه الله سبحانه وتعالى اعادة والمعاد مثل المبدأ وسماه نشأة اخرى وهى مثل الاول وسماه خلقا جديدا وهو مثل الخلق الاول كما قال امسينا بالخلق الاول بل هم في ابس من خلق جديد وسماه امثالا وهم هم فتطابقت الفاظ القرآن وصدق بعضها بعضا وبين بعضها بعضا ولهذا تزول اشكالات اوردها من لم يفهم المعاد الذي اخبرت به الرسل عن الله ولا يفهم من هذا القول ما قاله بعض المتأخرين انهم غيرهم من كل وجه فهو هذا خطأ قطعا معاذ الله من اعتقاده بل هم امثالهم وهم احيائهم فاذا فهمت الحقائق فلا ينافس في العبارة الاضيق العطن صغير العقل ضعيف العلم وتأمل قوله تعالى في الواقعة افرأيت ما تقومون انتم تخلقونه ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت كيف ذكر مبدأ النشأة وآخرها مستدلا بها على النشأة الثانية الاولى بقوله وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون فانكم انما علمنا النشأة الاولى في بطون امهاتكم ومبدأها مما تعلمون ولن تغلب على ان تنشئكم نشأة ثانية فيما لا تعلمون فاذا اتم امثال ما كنتم في الدنيا في صوركهم وهياتكم وهذا من كمال قدرة الرب تعالى ومشيئته او تذكرتم احوال النشأة الاولى لدلكم ذلك على قدرة من شئها على النشأة التي كذبتم بها فأى استدلال وارشاد احسن من هذا واقرّب الى العقل والفهم وابعدهم عن كل شبهة وشك وليس بعد هذا البينات والاستدلال الا الكفر بالله وما جاءت به الرسل والايمان وقال في سورة الانسان نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وهذه النشأة الاولى ثم قال واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا فهذه النشأة الاخرى ونظير هذا ان الله خلق الزوجين الذكور والانثى من نقطة

إذا غنى وإن عليه النشأة الأخرى وهذا في القرآن كثير جدا يقرن بين النشأتين مذكرا  
للطهر والعقول بأحدهما على الأخرى وبالله التوفيق

فصل في ما أقام عليهم الجعة وقطع المعذرة قال مذكروهم بخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا  
يومهم الذي يوعدون وهذا تهديد شديد يتضمن ترك هؤلاء الذين قامت عليهم جنتي فلم يقلوها  
ولم يخافوا بأسى ولا صدقـ وارسلاني في خوضهم بالباطل ولعبهم فخلوض في الباطل ضد  
التكلم بالحق والعب ضد السعي الذي يعود نفعه على سامعيه فالاول ضد العلم النافع والثاني ضد  
العمل الصالح والالتكلم بالحق ولا عمل بالصواب وهذا شأن كل من اعرض عما جاء به الرسول  
لابد له من هذين الامرين ثم ذكر سبحانه حالهم عند خروجهم من القبور فقال يوم يخرجون  
من الاجداث سرا ما كانوا الى نصب يوفضون اى يسهرون والنصب العلم والغاية التي تنصب  
فيؤمنونها وهذا من ألطف التشبيه وايده واحسنه فان الناس بقومون من قبورهم مهطعين  
الى الداعي يؤمون الصوت لا يخرجون عنه عينة ولا يسرة كما قال يومئذ يتبعون الداعي لا هوج  
له اى يقلعون من كل اوب الى صوته وناحيته لا يخرجون عنه قال الفراء وهذا كما تقول  
دعوتنى دعوة لا هوج لك منها وقال الزجاج المعنى لا هوج لهم عن دماة اى لا يقدر  
الام على اتباعه وقصده فان قلت اذا كان المعنى لا هوج لهم عن دعوتى فكيف قال  
لا هوج له قيل قالت طائفة الام بمعنى عن اى لا هوج عنه وقالت طائفة المعنى لا هوج  
لهم عن دماة كما قال الزجاج وفي القوا بين تكلف ظاهر ولما كانت الدعوة تسمع الجميع  
لانهم هوج عنهم وكلهم يؤم صوت الداعي ويتبعه لا به هوج عنه كان مجيئ الام منتظما  
للمؤمنين ودالا عليهم والمعنى لا هوج لدماة لافى اسماعهم اياه ولا فى اجابتهم له ثم قال تعالى  
خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة فوصفهم بذل الظاهر وهو خشوع الابصار وذلل الباطر وهو  
ما برهقهم من الذل الذى خشعت عنه ابصارهم وقريب من هذا قوله ووجوه يومئذ باسرة  
نظن أن يفعل بها قارة ونظيره قوله وترهقهم ذلة ما لهم من الله من ماصم كأنما أغشيت وجوههم  
قطما من الليل مظلم وضده هذا قوله تعالى انك أن لا تجوع فيها ولا تعرى فنفى عنه الجوع الذى  
هو ذل الباطن والعرى الذى هو ذل الظاهر وضده ايضا قوله ولقاهم نضرة وسرورا  
فالنضرة من الظاهر وجمال السرور من الباطن وجماله ومثله ايضا قوله فاليهم ثياب سندس  
خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا فجمع له بين زينة الظاهر  
والباطن ومثله قوله يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم ولباس التقوى ذلك  
خير فجمع لهم بين زينة الظاهر والباطن ومثله قوله انا زينا السماء زينة الكواكب وحفظا من  
كل شيطان مارد فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحفظ من كل شيطان رجيم ومثله قوله ايضا  
وصوركم أحسن صوركم ورزقكم من الطيبات وقريب منه قوله تعالى وتزودوا فان خير  
ازاد التقوى ومنه قوله فأما الذين اسودت وجوههم أ كفرتم بما كنتم تَدْعُونَ الله من قبل فإني  
كنتم تكفرون وأما الذين ابضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون فجمع لهؤلاء بين  
جمال الظاهر والباطن ولاولئك بين تسويد الظاهر والباطن ومنه قول امرأة العزيز فذا لکن  
الذى لم تننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فوصفت ظاهره بالجمال وباطنه بالعفة

فوصفته بحمال الظاهر والباطن فكانتها قالت هذا ظاهره وباطنه أحسن من ظاهره وهذا كله يدل على ارتباط الظاهر بالباطن قدرا وشرعا والله أعلم بالصواب

فصل ومن ذلك قوله تعالى ن وَالْقَلَمِ وما يسطرون ما أنت بنعمتك بمجنون الصحيح أن ن و ق و ص من حروف الهجاء التي يفتح بها الرب سبحانه بعض السور وهي أحادية وثلاثية ورباعية وخامسة ولم تجاوز الخمسة ولم تذكر قط في أول سورة الا و عقبها بذكر القرآن اما مقسماته واما مجزأته ما خلا سورتين سورة كهيعص ون كقوله الم ذلك الكتاب الم الله لاله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب أنزل اليك المرنك آيات الكتاب وهكذا الى آخره ففي هذا تنبيه على شرف هذه الحروف وعظم قدرها وجلالتهما اذ هي مباني كلامه وكتبه التي تكلم سبحانه بها وأُنزلها على رسله وهدى بها عباده وعرفهم بواسطتها نفسه وأسماء وصفاته وأفعاله وأمره ونهيه ووحيه وعده وعده وعرفهم بها الخير والشر والحسن والقبح وأقدرهم على التكلم بها بحيث يبلغون بها أقصى ما في أنفسهم بأسهل طريق وقلة كلفة ومشقة وأوصله الى المقصود وأدله عليه وهذا من أعظم نعمه عليهم كما عو من أعظم آياته ولهذا تاب سبحانه على من عبد اله الا يشكروا امتن على عباده بأن أقدرهم على البيان بها بالتكلم فكان في ذكر هذه الحروف التنبيه على كمال ربوبيته وكمال احسانه وانعامه فهي اولى ان يقسم بهامن الليل والنهار والشمس والقمر والسماء والجموم وغيرها من المخلوقات فهي دالة اظهر دلالة على وحدانيته وقدرته وحكمته وكلامه وصدق رسله وقد جمع سبحانه بين الامرين اعنى القرآن ونطق اللسان وجعل تعليمها من تمام نعمته وامتنانه كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان فهذه الحروف علم القرآن وبها علم البيان وبها فضل الانسان على سائر انواع الحيوان وبها أنزل كتبه وبها أرسل رسله وبها جمعت العلوم وحفظت وبها انتظمت مصالح العباد في المعاش والمعاد وبها تميز الحق من الباطل والصحيح من الفاسد وبها جمعت أشات العلوم وبها امكن نقلها في الازمان وكم جلب بها من نعمة ودفع بها من فاقة واقبلت بها من عثرة واقيت بها من حرمة وهدى بها من ضلالة وأقبح بها من حق وهدم بها من باطل فأياته سبحانه في تعليم البيان كآياته في خلق الانسان واو لا عجايب صنع الله ما ثبتت تلك الفضائل في لحم ولا عصب فسبحان من هذا صنعه في هواء يخرج من فصوصه الرنة فينضم في الملقوم بنفرش في أقصى الخلق ووسطه وآخره واعلاه واسفله وعلى وسط لسان واطرافه وبين الثنايا وفي الشفتين والخيشوم فيسمع له عند كل مقطع من تلك المقاطع صوت غير صوت المقطع المجاور له فاذا هو حرف فأنهم سبحانه الانسان بضم بعضها الى بعض فاذا هي كلمات قائمة بأنفسها ثم ألهم تلك الكلمات بعضها الى بعض واذا هي كلام دال على انواع المعاني امر او نهي وخبر واستخبارا ونفيا وإثباتا وافرارا وانكارا وتصديقا وتكذيبا وإيجابا واستهبا وسؤال وجوابا الى غير ذلك من انواع الخطاب نظم ونثره ووجيزه ومطوله على اختلاف لغات الخلائق كل ذلك صنعه تبارك وتعالى في هواء مجرد خارج من باطن الانسان الى ظاهره في مجاز قديمات واحداث لتقطيعه وتفصيله ثم تأليفه وتوصيله فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين فهذا شأن الحرف المخلوق وأما الحرف الذي به تكون المخلوقات

مشأته اعلی وأجل واذا كان هذا شأن الحروف فسبقني ان تنفع بها السور كما افتتحت الاقسام لما فيها من آيات الربوبية وادلة الوحدانية فهي دالة على كمال قدرته سبحانه وكمال علمه وكمال حكمته وكمال رحمته وعنايته بخلقه واطفه واحسانه واذا أعطيت الاستدلال بها حقه احتدلت به اعلی المبدأ والمعاد والخلق والامر والتوحيد والرسالة فهي من اظهر ادلة شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان القرآن كلام الله تكلم به حقه - او أنزله على رسوله وحيا وبلغه كما وحى اليه صدقا ولا تهمل الفكرة في كل سورة افتتحت بهذه الحروف واشتملها اعلی آيات هذه المطالب ونقيرها - وبالله التوفيق

**فصل** ثم أقسم سبحانه بالقلم وما يسطرون فأقسم بالكتاب وآلته وهو القلم الذي هو احدى آياته واول مخلوقاته الذي جرى به قدره وشرعه وكتب به الوحي وقيد به الدين واثبت به الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد في المعاش والمعاد فأطدت به الممالك وامنت به السبل والمسالك واقام في الناس ابلغ خطب وافصح وانفع لهم وأنصحه وواظظا نشق مواظظه القلوب من السقم وطيبا يري بأذنه من انواع الالم يكسر العساكر العظيمة على انه ضعيف الوحيد ويخاف سطونه وبأسه ذو البأس الشديد وبالاقلام تدبير الاقلام وتساس الممالك والعلم اسان الضمير بناجيه بما استتر من الاسماع فيمنع حمل المعاني في الطرفين فتعود احسن من الوشى المرقوم ويودعها حكمة فتصير بواذر الفهوم والاقلام نظام للافهام وكما ان اللسان يريد القلب فالقلم يريد اللسان ويولد الحروف المسموعة من اللسان كتسولد الحروف المكتوبة من القلم والقلم يريد القلب ورسوله وترجانه ولسانه الصامت

**فصل** والاقلام متفاوتة في الرتب فأعلاها وأجلها قدرا - القلم القدر السابق الذي كتب الله به مقادير الخلائق كما في سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن اول ما خلق الله القلم مقال له اكتب قال يا رب وما اكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة واختلف العلماء هل القلم اول المخلوقات أو العرش على قولين ذكرهما الحافظ أبو العلي الهمداني رحمه الله أن العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - لم قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف عام ومرشه على الماء فهذا صريح أن التقدير وقع قبل خلق العرش والتقدير وقع عند أول خلق القلم - لم حديث عبادة هذا ولا يخلو قوله أن اول ما خلق الله القلم - لم الى آخره اما ان يكون جملة أو جلتين فان كان جملة وهو الصحيح كان معناه أنه عند أول خلقه قال له اكتب كما في اللفظ أول ما خلق الله القلم قال له اكتب بنصب أول والقلم - لم فان كان جلتين وهو مروى برفع أول والقلم فيعين جملة على أنه أول المخلوقات من هذا العالم لينفي الحديثان اذ حديث عبد الله بن عمر صريح في أن العرش سابق على التقدير والتقدير مقارن لخلق القلم وفي اللفظ الآخر لما خلق الله القلم قال له اكتب فهذا القلم أول الاقلام وأفضله وأجلها وقد قال غير واحد من أهل التفسير انه القلم الذي أقسم الله به

**فصل** القلم الثاني قلم الوحي وهو الذي يكتب به وحى الله الى أنبيائه ورسوله واصحاب هذا القلم هم الحكماء على العالم والعالم خدام لهم واليهام الحل والعقد والاقلام كلها خدام لاقلامهم

وقد راع النبي صلى الله عليه وسلم لبلية الاسراء الى مستوى يسمع فيه صريف الاقدام فهذه الاقلام هي التي تكتب ما يوحى به الله تبارك وتعالى من الامور التي يدبر بها امر العالم العلوي والسفلي **فصل** والقلم الثالث قلم التوقيع عن الله ورسوله وهو قلم الفقهاء والمفتين وهذا القلم ايضا حاكم غير محكوم عليه فاليه التمسك في الدماء والاموال والفروج والحقوق واصحابه مخبرون عن الله بحكمه الذي حكم به بين عباده واصحابه حكام وملوك على ارباب الاقلام واقلام العالم خدم لهذا القلم

**فصل** والقلم الرابع قلم طب الابدان التي تحفظ بها صحتها الموجودة وترد اليها صحتها المفقودة وتدفع به عنها آفاتها وعوارضها المضادة لصحتها وهذا القلم انفع الاقلام بعد قلم طب الاديان وحاجة الناس الى اهله تلحق بالضرورة

**فصل** والقلم الخامس قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم وسياس الملك ولهذا كان اصحابه اعز اصحاب الاقلام المشاركون للملوك في تدبير الدول فان صلحت اقلامهم صلحت المملكة وان فسدت اقلامهم فسدت المملكة وهم وسائط بين الملوك ورعاياهم

**فصل** والقلم السادس قلم الحساب وهو القلم الذي تضبط به الاموال مستخرجها ومصرفها ومقاديرها وهو قلم الارزاق وهو قلم الحكم المتصل والمفصل الذي تضبط به المقادير وما ينفصلها من التفاوت والتناسب ومبناه على الصدق والعدل فاذا كذب هذا القلم وظلم فسدامر المملكة

**فصل** والقلم السابع قلم الحكم الذي ثبتت به الحقوق وتنفذ به القضايا وتراق به الدماء وتؤخذ به الاموال والحقوق من اليد العادية فتزد الى اليد المحقة وثبتت به الانسان وتقطع به الخصومات وبين هذا القلم وقلم التوقيع عن الله عموم وخصوص فهذه النفوذ والازوم وذلك له العموم والشمول وهو قلم قائم بالصدق فيما يشته وبالعدل فيما يحضيه وينفذه

**فصل** والقلم الثامن قلم الشهادة وهو القلم الذي تحفظ به الحقوق وتصان عن الاضاعة ونحول بين الفاجر وانكاره وبصدق الصادق وبكذب الكاذب وبشهادة المحقق بحقه وعلى المبطل بباطله وهو الامين على الدماء والفروج والاثام والالتساب والحقوق ومتى خان هذا القلم فسد العالم اعظم فسادا وبانقضاءه يستقيم امر العالم ومبناه على العلم وعدم الكتمان

**فصل** والقلم التاسع قلم التعبير وهو كاتب وحى المنام وتفسيره وتعبيره وما يريد منه وهو قلم شريف جليل مترجم لوحى المنام كاشف له وهو من الاقلام التي تصلح للدنيا والدين وهو يعتمد طهارة صاحبه ونزاهته وأمانته ونجزيه لصدق والطرائق الحميدة والمناهج السديدة مع عدم راسخ وصفاء باطن وحسن مؤيد بالنور الالهي ومعرفة بأحوال الخلق وهبائهم وسيرهم وهو من اطف الاقلام واعمالها جولانا وأوسعها تصرفا واشدها تشبها بسائر الموجودات علويها وسفليها وبالماضي والحال والمستقبل فتصرف هذا القلم في المنام هو محل ولا يتدوكرسى مملكته وسلطانه

**فصل** والقلم العاشر قلم تواريخ العالم ووقائمه وهو القلم التي تضبط به الحوادث وتنقل من أمة الى أمة ومن قرن الى قرن فيحصر ماضى من العالم وحوادثه في الخيال وينقشه في النفس حتى كأن السامع يرى ذلك وبشهادة فهو قلم المسادر الروحاني وهذا القلم قلم العجائب



فانه بعد ذلك العالم في صورة الخيال متراء بقلبك وتشاهده بصيرتك

فصل في القلم الحادي عشرة - لم اللغة وتفاسيلها من شرح معاني الفاظها المفردة ونحوها وتصريفها واسرار تركيبها وما يتبع ذلك من أحوالها ووجوهها وأنواع دلالتها على المعاني وكيفية الدلالة وهوقلم التعبير عن المعاني بأخبار أحسن الالفاظ وأعذبها وأسهلها وأوضحها وهذا القلم واسع التصرف جدا بحسب سعة الالفاظ وكثرة مجازيها وتنوعها

فصل في القلم الثاني عشر القلم الجامع وهوقلم الرد على المبالغين ورفع سنة المحققين وكشف أباطيل المبالغين على اختلاف أنواعها وأجناسها وبيان تناقضهم وتناقضاتهم وخروجهم عن الحق ودخولهم في الباطل وهذا القلم في الاقلام نظير الملوك في الانام وأصحابه أهل الجلة الناصرون لما جاءت به الرسل المحاربون لأعدائهم وهم الداعون الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة المجادلون لمن خرج عن سبيله بأنواع الجدال وأصحاب هذا القلم حرب لكل مبطل وعدوا لكل مخالف لرسول فهم في شأن وغيرهم من اصحاب الاقلام في شأن فهذه الاقلام التي فيها انتظام مصالح العالم ويكفي في جلالة القلم انه لم تكتب كتب الله الا به وأن الله سبحانه أقسم به في كتابه وتعرف الى غيره بأن علم بالقلم وانما وصل اليها ما بعث به نبينا صلى الله عليه وسلم بواسطة القلم ولقد ابدع ابو تمام اذ يقول في وصفه

لك القلم الماضي الذي بثبانه \* يصاب من الامر الكلى والمفاصل  
له ربة طل ولاكن وقعها \* بأثاره في الغرب والشرق وابل  
اماب الاقاعى القاتلات لعابه \* وارش الجاشنارتة أيدع وامل  
له الخلدوات اللاي لا ولانجيهها \* لما اختلفت للملك تلك المحافل  
فصبح اذا استنطقته وهوراكب \* واعجم ان خاطبته وهوراجل  
اذا ما امتطى الخس اللطاف وأفرغت \* عليه شفار الكفروهي حوافل  
الماعتة اطراف القنا وتقوضت \* لنجواه تقويض الخيام الجمافل  
اذا استعذر الذهن الذكي واقبلت \* اطال به في القرطاس وهي اسافل  
وقدر فمدنه الخنصران وشدت \* ثلاث نواحيه الثلاث الانامل  
رأيت جليلا شأنه وهومرهف \* ضنا وسمينا خطبه وهو هازل

فصل في القسم عليه بالقلم والكتابة في هذه السورة تنزيه نبيه ورسوله عما يقول فيه اعداؤه وهو قوله تعالى ما انت بنعمتي ربك بمجنون وانت اذا طابقت بين هذا القسم والقسم به وجدته دالا عليه أظهر دلاله وأبينها فان ما طر الكاتب بالقلم من انواع العلوم التي يتلقاها البشر بعضهم عن بعض لا تصدر من مجنون ولا تصدر الا من عقل وافر فكيف يصدر ما جاء به الرسول من هذا الكتاب الذي في اعلى درجات العلوم بل العلوم التي تضمنها ليس في قوى البشر الا تبيان بها ولا سيما من أمي لا يقرأ كتابا ولا يخط بيده مع كونه في اعلى انواع الفصاحة سليما من الاختلاف بريما من التناقض يستحيل من العقلاء كلهم لو اجتمعوا في صعيد واحد ان يأنوا بمثله ولو كانوا في عقل رجل واحد منهم فكيف يتأتى ذلك من مجنون

لا عقل له يميزه ما عسى كثير من الحيوان ان يميزه وهل هذا الامن اقبح الهيات واطهر الافك  
فأمل شهادة هذا المقسم به للمقسم عليه ودلالته عليه اتم دلالة ولوان رجلا انشأ رسالة  
واحدة بدبعة منتظمة الاول والاخر مساوية الآجزاء يصدق بعضها بمضا او قال قصيدة  
كذلك او صنف كتابا كذلك لشهده العقل بالعدل ولما استجاز احدهم به بالجنون مع  
امكان بل وقوع معارضتها ومشاكلتها والانيان بمثلها او احسن منها فكيف يرمى بالجنون  
من اتى بما جرت العقلاء كلهم قاطبة عن معارضته وبما ثلته وعرفهم من الحق مالا تهتدى  
عقولهم بحيث اذعن له عقول العقلاء وخضعت له الباب الاولياء وتلاشت في جنب ما جاء به  
بحيث لم يسعها الا التسليم له والانقياد والا ذنان طائفة مختارة وهي ترى حقها واما  
اشد فقر او حاجة الى ما جاء به ولا كمالها الا بما جاء به فهو الذي كل عقولها كما يكمل الطفل  
برضاع الثدي ولهذا اتبعه اعقل الخلق على الاطلاق وهذه مؤلفاتهم وكتبهم  
في الفنون اذا وازنت بينها وبين مؤلفات مخالفيه ظهرت التفاوت بينها ويكفي في عقولهم  
انهم عمرو الدنيا بالعلم والعدل والقلوب بالايان والتقوى فكيف يكون متبوعهم مجذوبا  
وهذا حال كتابه وهديه وسيرته وحال اتباعه وهذا انما حصل له ولا تبايعه بنعمة الله  
عليه وعليهم فتنى عنه الجنون بنعمته عليه وقد اخلف في تقدير الآيات فقلت فرقة الباء في بنعمة  
ربك بام القسم فهو قسم آخر اعترض بين المحكوم به والمحكوم عليه كما يقول ما انت بالله بكاذب وهذا  
التقدير ضعيف جدا لانه قد تقدم القسم الاول فكيف يقع القسم الثاني في جوابه ولا يحسن  
ان تقول والله ما انت بالله بقائم وليس هذا من فصيح الكلام ولا عهده في كلامهم وقالت  
فرقة العامل في بنعمة ربك اداة معنى النفي او معنى اني هنك الجنون بنعمة ربك ورد ابو عمر الحاجب  
 وغيره هذا القول بان الحرف لا تعمل معانيها وانما تعمل العاظه او قال الزمخشري يتعلق بنعمة ربك  
بجنون منفي كما يتعلق بعقل مثبت في قولك انت بنعمة الله قائل يستويان في ذلك الاثبات والنفي  
استواءهما في قولك ضرب زيد عمر او ما ضرب زيد عمر بعمل الفعل مثبتا ومنفيا افعالا واحدا ومجمله  
النصب على الحال اي ما انت بجنون منما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل بجنون فيما قبله لانهما  
زائدة لتأكيد النفي واعتراض عليه بأن العامل اذا تسلط على محكوم به وله معمول فانه يجوز فيه  
وجهان احدهما نفي ذلك المعمول فقط نحو قولك ما زيد بذهاب مسرعا فانه ينتفي الاسراع دون  
القيام ولا يمنع أن يثبت له ذهاب في غير اسراع والثاني ينفي المحكوم به فينتفي معموله بانتمائه  
فينتفي الذهاب في هذه الحال فينتفي الاسراع بانتفائه فاذا جعل بنعمة ربك معمول لا لجنون لزم  
احد الامرين وكلاهما منتف جزما وهذا الاعتراض هنا قاصد لان المعنى اذا حصل ما انت  
بجنون منما عليك لزم من صدق هذا الخبر نفيها قطعا ولا يصح نفي المعمول وثبوت العامل  
في هذا الكلام ولا يفهم منه من له آفة الفهم وانما يفهم الا دعى من هذا الكلام ان الجنون انتفي  
هنك بنعمة الله عليك وانتفي هنا ما فهمه هذا المعترض بنعمة الله علينا ثم اخبر سبحانه عن كمال  
حالتي نبيه صلى الله عليه وسلم في دنياه واخراه فقال وان لك لا شجرة غير ممنون اي غير  
مقطوع بل هو دائم مستمر ونكر الاجرت تكبير تعظيم كما قال ان في ذلك لعبرة وان في ذلك لاية  
وان في ذلك لذكرى وان للمتقين مغازا وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وهو كثير وانما كان

التكبير لعظيم لانه صور السامع بمنزلة امر عظيم لا يدركه الوصف ولا يناله التعبير ثم قال وانك  
 اعلم خلق عظيم وهذه من اعظم آيات نبوته ورسالته لمن منعه الله فهم اولئك ام المؤمنين  
 من خلقه صلى الله عليه وسلم بأجابت بما شئى وكفى نقالت كان خلقه القرآن فهم سائلها أن يقوم  
 لا يسألها شيئا بعد ذلك ومن هذا قال ابن عباس وغيره اى على دين عظيم وسعى الدين خلقا لان الخلق  
 هيئة مركبة من علوم صاعدة وارادات زائدية وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل  
 والحكمة والمصلحة واقوال مطابقة للحق تصدر تلك الاقوال والاعمال عن تلك العلوم  
 والارادات فتكتسب النفس بها اخلاقا هي اذكى الاخلاق وأشرفها وافضلها فهذه كانت اخلاق  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم المقتبسة من مشكاة القرآن فكان كلامه مطابقا للقرآن تفصيلا  
 له وتبيينا وعلومه علوم القرآن وارادته واعماله ما اوجبه وندب اليه القرآن واعراضه وتركه  
 لما منع منه القرآن ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه ومحبه لما  
 أحبه وسعيه في تنفيذ أوامره وتبليغه والجهاد في اقامته فترجت ام المؤمنين لكمال معرفتها  
 بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه وسلم وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه القرآن  
 وفهم هذا السائل لها عن هذا المعنى فاكتفى به واشتفى فاذا كانت اخلاق العباد وعلومهم  
 واراداتهم واعمالهم مستفادة من القلم وما يسطرون وكان في خلق القلم والكتابة انعام عليهم  
 واحسان اليهم اذ وصلوا به الى ذلك فكيف يشكرون انعامه واحسانه على عبده ورسوله الذى  
 اعطاه أعلى الاخلاق وافضل العلوم والاعمال والارادات التى لا تهتدى العقول الى تفاصيلها  
 من غير قلم ولا كتابة فهل هذا الامن أعظم آيات نبوته وشواهد صدق رسالته  
 وسيله اهداؤه المكذوبون له ايهام المفتون هو ام هم وقد علموا هم والعقلاء ذلك في الدنيا ويزداد  
 علمهم به في البرزخ وينكشف ويظهر كل الظهور في الآخرة بحيث تتساوى اقدام الخلائق  
 في العلم به وقد اختلف في تقدير قوله بأبيكم المفتون فقال ابو عثمان المازنى هو كلام مستأنف  
 والمفتون عنده مصدر اى بأبيكم الفتنة والاستفهام عن امر دائر بين اثنين قد علم انتفاؤه عن  
 أحدهما قطعا فتعين حصوله للآخر والجمهور على خلاف هذا التقدير وهو عندهم متصل  
 بما قبله ثم لهم فيه أربعة أوجه احدها ان الباء زائدة والمعنى ابيكم المفتون وزيدت في المبتدأ كما  
 زيدت في قولك بحسبك ان تفعل قاله ابو عبيد الثاني ان المفتون بمعنى الفتنة اى ستبصر وتبصرون  
 بأبيكم الفتنة والباء على هذا ليست بزائدة قاله الاخفش الثالث ان المفتون مفعول على بابه  
 ولكن هنا مضاف محذوف تقديره بأبيكم فتون المفتون وليست الباء زائدة قاله الاخفش ايضا  
 الرابع ان الباء بمعنى في والتقدير في اى فريق منكم النوع المفتون والباء على هذا ظرفية وهذه  
 الاقوال كلها تكلف ظاهر لا حاجة الى شيء منه وستبصر مضمين معنى تشمر وتعلم فعدى بالباء  
 كما تقول ستشمر بكذا وتعلم به قال تعالى ألم يعلم بأن الله يرى واذا دناك اللفظ الى المعنى من  
 مكان قريب فلا تجب من دناك اليه من مكان بعيد

فصل في بيان ذلك قوله تعالى فلا قسم بواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن  
 كريم في كتاب مكنون لا يجسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين ذكر سبحانه هذا القسم عقيب  
 ذكر القيامة الكبرى واقسام الخلق فيها ثم ذكر الادلة القاطعة على قدرته وعلى المعاد بالنشأة

الاولى واخراج التبات من الارض وانزال الماء من السماء وخلق النار ثم بعد ذلك احوال الناس في القيامة الصغرى عند مفارقة الروح للبدن وأقسم بمواقع النجوم على ثبوت القرآن وانه تنزله وقد اختلف في النجوم التي اقسم بمواقعها قبل هي آيات القرآن ومواقعها من لهامشيئا بعد شيئا وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء و قول سعيد بن جبير والكلبي ومقاتل وقتادة وقيل النجوم هي الكواكب ومواقعها مساقطها عند غروبها هذا قول ابى عبيدة وغيره وقيل مواقعها انتشارها وانكدارها يوم القيامة وهذا قول الحسن ومن جهة هذا القول ان لاحظ مواقع تقنضيه فانه مفاعل من الوقوع وهو السقوط فكل نجم موقع وجميعها مواقع ومن جهة قول من قال هي مساقطها عند الغروب ان الرب تعالى يقسم بالنجوم وطلوعها وجريانها وغروبها اذ فيها وفي احوالها الثلاث آية وعبرة ودلالة كما تقدم في قوله تعالى في الاقسام بالخمس الجوار الكنس وقال والنجم اذا هوى وقال فلا أقسم برب المشارق والمغارب ويرجع هذا القول ايضا ان النجوم حيث وقعت في القرآن فالمراد منها الكواكب كقوله تعالى وأدبار النجوم وقوله والشمس والقمر والنجوم وعلى هذا فتكون المناسبة بين ذكر النجوم في القسم وبين القسم عليه وهو القرآن من وجوه احدها ان النجوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات الجهل والغى فتلك هداية في الظلمات الحسية وآيات القرآن في الظلمات المعنوية فجمع بين الهدأتين مع ما في النجوم من الرجوع للشياطين وفي آيات القرآن من رجوع شياطين الانس والجن والنجوم آياته المشهودة المعينة والقرآن آياته المتلوة السمعية مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية وموقعها عند النزول ومن قرأ بموقع النجوم على الافراد فلدلالة الواحد المضاف الى الجمع على التعدد والموقع اسم جنس والمصادر اذا اختلفت جمعت واذا كان النوع واحدا افردت قال تعالى ان انكر الاصوات لصوت الخمر فجمع الاصوات لتعدد النوع وافرد صوت الخمر لوحده فافراد موقع النجوم لوحده المضاف اليه وتعدد المواقع لتعدد اذ لكل نجم موقع

**فصل** في القسم عليه ههنا قوله انه لقرآن كريم ووقع الاعتراض بين القسم وجوابه بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم ووقع الاعتراض بين الصفة والموصوف في جملة هذا الاعتراض بقوله تعالى لو تعلمون عظيم فجاء هذا الاعتراض في ضمن هذا الاعتراض الطف شيئا واحسنه موقعا واحسن ما يقع هذا الاعتراض اذا تضمن تأكيذا او تنبيها او احترازا كقوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكف نفسا الاوسعها أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون فاعترض بين المبتدأ والخبر بقوله لانكف نفسا الاوسعها لانضمته ذلك من الاحتراز الدافع لتوهم متوهم ان الوعد انما يستحقه من انى يجمع الصالحات فرفع ذلك بقوله لانكف نفسا الاوسعها وهذا احسن من قول من قال انه خبر عن الذين آمنوا ثم اخبر عنهم بخبر آخر فهم اخبر ان من مخبر واحد فان عدم التكليف فوق الوسع لا يخص الذين آمنوا بل هو حكم شامل لجميع الخلق مع ما في هذا التقدير من اخلاء جملة الخبر عن الرابطة وتقدير

صفة محذوفة أي نفسا منهم وتعطيل هذه الفائدة الجلية ومن أطف الاعتراض وأحسنه قوله تعالى ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون فاعتراض بقوله سبحانه بين الجمعين وفوائد الاعتراض تختلف بحسب قصد المتكلم وسياق الكلام من قصد الاعتناء والتقريب والتوكيد وتعظيم المقسم به والخبر عنه ورفع توهم خلاف المراد والجواب عن سؤال مقدر وغير ذلك فن الاعتراض الذي يقصده التقرير والتوكيد قول الشاعر

لو ان الباخلين وأنت منهم \* رأوك تعلموا منك المطالا

وما يقصده الجواب عن سؤال مقدر قول الآخر

فلاجرة تبدو وفي اليأس راحة \* ولاوصلة تصفو لها فتكارمه

فقوله وفي اليأس راحة جواب لتقدير سؤال سائل وما يغني عنك حجرة فقال وفي اليأس راحة أي المطلوب أحد أمرين إما يأس مريح أو وصال صاف ومن اعتراض الاحتراز قول الجعدي

الازمت بنو جعد بآني \* وقد كذبوا كبر السن فاني

ومنه قول نصيب

فكدت ولم أخلق من الطير ان بدا \* سنا بارق نحو الجواز أطير

فقوله ولم أخلق من الطير لرفع استفهام بتوجه عليه على سبيل الإنكار لوقال فكدت أطير فيقال له وهل خلقت من الطير فاعتري هذا الاعتراض وعندي ان هذا الاعتراض يفيد غير هذا وهو قوة شوقه ونزوعه الى أرض الجواز فأخبرانه كاد بطير على انه ابعثني من الطير ان فانه لم يخلق من الطير ولا عجب طير ان من خلق من الطير وانما العجب طير ان من لم يخلق من الطير اشد نزوعه وشوقه الى جهة محبوبة فتأمله ومن مواقع الاعتراض الاعتراض بالدعاء كقول الشاعر

قد كنت أبكي وأنت راضيه \* حذار هذا الصدود والغضب

ان ثم ذا الهجر باظلموم ولا تم \* فغالي في العيش مـنـن أرب

وقول الآخر

ان سلمي والله بكلؤها \* ضنت بشي ما كان يزورها

وقول الآخر

ان الثمانين وان بلغتها \* قد أحوجت سمعي الى ترجان

ومنه الاعتراض بالقسم كقوله

ذاك الذي وأبك يعرف مالكا \* والحق يدفع ترهات الباطل

ومن اعتراض الاستعطاف قوله

فمن لي بالعين التي كنت مرة \* الى بهما نفسي فداؤك تنظر

فاعتراض بقوله نفسي فداؤك استعطافا فتأمل حسن الاعتراض وجزالته في قول الرب تعالى واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفرقة قوله والله اعلم بما ينزل اعتراض بين الشرط وجوابه اقادا مورامنها الجواب عن سؤال سائل ما حكمه هذا التبديل وما فائدته ومنها ان الذي بدل واني بغيره منزل محكم نزوله قبل الاخبار بغيره ولهم ومنها ان مصدر الامر ين عن علمه تبارك وتعالى وان كان منهما منزل فيجب التسليم والايمان بالاول والثاني

ومن الاعتراض الذي هو في أعلى درجات الحسن قوله تعالى ووحيانا الانسان بوالديه جلته  
 امه وهما على وهن وفصله في ما بين ان اشكر لي ولو اليك فاعترض بذكر شأن جلته  
 ووضعه بين الوصية والموصى به نو كيدا لامر الوصية بالوالدة التي هذا شأنها وتذكرا  
 اولدها بحفها وما قاسنه من حله ووضع عالم بكلفه الاب ومنه قوله تعالى واذ قلتم نفسا  
 قادرا ثم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها فاعترض بقوله والله  
 مخرج ما كنتم تكتمون بين اجل المطوف بعضها على بعض املا ما بان تداره هم وتدافعهم  
 في شأن القتل ليس نافعهم في كتمانهم فله يظهره ولا بد ولا تستطيل هذا الفصل  
 وامثاله فانه يعطيك مبرانا وينهج لك طريقا يعينك على فهم الكتاب والله المستعان  
 فصل في ثم قال انه لقرآن كريم فوصفه بما يقتضي حسنه وكثرة خبره ومنافعه وجلاله  
 فان الكريم هو البهي الكثير الخير العظيم النفع وهو من كل شيء احسنه وافضله والله سبحانه  
 وصف نفسه بالكريم ووصف به كلامه ووصف به عرشه ووصف به ما كثر خيره وحسن  
 منظره من النبات وغيره ولذلك فسر السلف الكريم بالحسن قال الكلبي انه لقرآن كريم أي  
 حسن كريم على الله وقال مقاتل كرمه الله وأحزمه لانه كلامه وقال الازهرى الكريم اسم جامع  
 لما محمد والله كريم جبل الفعالي وانه لقرآن كريم بمحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم  
 والحكمة وبالجملة فالكريم الذي من شأنه أن يعطى الخير الكثير بسهولة وبسر وضده اللئيم  
 الذي لا يخرج خيره النزر الا بعسر وصعوبة وكذلك الكريم في الناس واللئيم  
 فصل في ثم قال تعالى في كتاب مكنون اختلف المفسرون في هذا فقيل هو الوح  
 المحفوظ والصحيح انه الكتاب الذي بأيدي الملائكة وهو المذكور في قوله في صحف مطهرة  
 بأيدي سفرة كرام بررة وبدل على انه الكتاب الذي بأيدي الملائكة قوله لا يحسه الا المطهرون  
 فهذا يدل على انه بأيديهم يحسونه وهذا هو الصحيح في معنى الآية ومن المفسرين من قال  
 ان المراد به ان المصحف لا يحسه الا طاهر والاول أرجح لوجوه أحدها أن الآية بقيت  
 تنزيها للقرآن أن تنزل به الشياطين وأن محله لا يصل اليه فيحسه الا المطهرون فيستحيل على  
 أخايت خلق الله وأنجمهم أن يصلوا اليه أو يحسوه كما قال تعالى وما تنزل به الشياطين  
 وما ينبغي لهم وما يستطيعون فنفى الفعل وتأنبه منهم وقدرتهم عليه فلا فعلوا ذلك  
 ولا يلبق بهم ولا يقدرون عليه فان الفعل قد ينفي عن محسن منه وقد يلبق بمن لا يقدر عليه  
 فنفي عنهم الامور الثلاثة وكذلك قوله في سورة عبس في صحف مطهرة بأيدي سفرة كرام  
 بررة فوصف محله بهذه الصفات بيانا ان الشيطان لا يمكنه أن ينزل به ونقير هـ هذا المعنى  
 أهم وأجل وأنتفع من بيان كون المصحف لا يحسه الا طاهر الوجه الثاني ان السورة مكبة  
 والاعتناء في السور المكبة اغما هو بأصول الدين من تقرير التوحيد والمعاد والنبوة وأما تقرير  
 الاحكام والشرائع فظنة السور المدنية الثالث ان القرآن لم يكن في مصحف عند نزول هـ هذه  
 الآية ولا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما جع في المصحف في خلافة ابي بكر  
 وهذا وان جاز ان يكون باخبار ما يأتي فالظاهر انه اخبار بالواقع حال الاخبار بوضعه  
 الوجه الرابع وهو قوله في كتاب مكنون والمكنون المصون المستور عن الاعين الذي

لأنه أبدى البشر كما قال تعالى كأنهم يرضى مكنون وهكذا قال السلف قال الكافي مكنون  
 من الشياطين وقال مقاتل مستور وقال مجاهد لا يصيبه تراب ولا غبار وقال أبو اسحق مكنون  
 في السماء بوضعه الوجه الخامس ان وصفه بكونه مكنونا نظير وصفه بكونه محفوظا  
 بقوله قرآن كريم في كتاب مكنون كقوله بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ بوضعه  
 الوجه السادس ان هذا أبلغ في الرد على المكذبين وأبلغ في تعظيم القرآن من كون المصحف  
 لا يمسسه محدث الوجه السابع قوله لا يمسسه الا المطهرون بالرفع فهذا خبر لفظا ومعنى ولو كان  
 نهيا لكان مفتوحا ومن حل الآية على النهي احتاج الى صرف الخبر عن ظاهره الى معنى النهي  
 والاصل في الخبر والنهي حل كل منهما على حقيقته وليس ههنا موجب بوجوب صرف الكلام  
 عن الخبر الى النهي الوجه الثامن انه قال الا المطهرون ولم يقل الا المطهرون ولو اراد به  
 منع الحدث من مسه لقال الا المطهرون كما قال تعالى ان الله يحب المتطهرين  
 وفي الحديث اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فالتطهر فاعل التطهير والمطهر  
 الذي طهره غيره فالتوضي مطهر والملائكة مطهرون الوجه التاسع انه لو اراد به المصحف  
 الذي بأيدينا لم يكن في الاخبار عن كونه مكنونا كبير فائدة اذ مجرد كون الكلام مكنونا  
 في كتاب لا يستلزم ثبوته فكيف يدح القرآن بكونه مكنونا في كتاب وهذا أمر مشترك والآية  
 انما سبقت ابيان مدحه وتشريفه وما اختص به من الخصائص التي تدل على انه منزل من عند الله  
 وانه محفوظ مصون لا يصل اليه شيطان بوجه ما ولا يمس محله الا المطهرون وهم السفرة  
 الكرام البررة الوجه العاشر ما رواه سعيد بن منصور في سننه ثنا أبو الاحوص ثنا صم الا حول  
 عن أنس بن مالك في قوله لا يمسسه الا المطهرون قال المطهرون الملائكة وهذا عند طائفة من أهل  
 الحديث في حكم المردوع قال الحاكم تفسير الصحابة عندنا في حكم المرفوع ومن لم يجعله مرفوعا  
 فلا ريب انه عنده اصح من تفسير من بعد الصحابة والصحابة أهل الامة بنفس القرآن ويجب الرجوع  
 الى تفسيرهم وقال حرب في مسأله سمعت اسحق في قوله لا يمسسه الا المطهرون قال النسخة التي في  
 السماء لا يمسها الا المطهرون قال الملائكة وسمعت شيخ الاسلام يقرر الاستدلال بالآية على ان المصحف  
 لا يمسسه المحدث بوجه آخر فقال هذا من باب التنبيه والاشارة اذا كانت الصحف التي في السماء  
 لا يمسها الا المطهرون فكذلك الصحف التي بأيدينا من القرآن لا ينبغي ان يمسها الا طاهر والحديث  
 مشتق من هذه الآية وقوله لا تمس القرآن الا واثق طاهر رواه أهل السنن من حديث الزهري  
 عن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده أن في الكتاب الذي كتبه النبي صلى الله  
 عليه وسلم الى أهل اليمن في السنن والفرائض والديات أن لا يمس القرآن الا طاهر قال احمد  
 ارجو أن يكون صحيحا وقال أيضا لا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبه وقال أبو عمر  
 هو كتاب مشهور عند أهل السير معروف عند أهل العلم معرفة يستغنى بشهرتها عن الاسناد  
 لانه أشبه التواتر في مجيئه لثبتي الناس له بالقبول والمعرفة ثم قال وهو كتساب معروف عند  
 العلماء وما فيه غنقى عليه الا قليلا وقد رواه ابن حبان في صحيحه ومالك في موطنه وفي المسئلة  
 آثار أخر مذكورة في غير هذا الموضع  
 فصل في ودلت الآية بأشارتها وإيجازها على انه لا بدرك معانیه ولا يفهمه الا القلوب



الطاهرة وحرام - على القلب المتلوث بنجاسة ابدع والمخالفات ان ينال معانيه وأن يفهم كما  
 ينفي قال البخاري في صحيحه في هذه الآية لا يجدر طعمه الا من آمن به وهذا ايضا من اشارة  
 الآية وتنبئها وهو انه لا يلبث به وبقرائه وفهمه وتدبره الا من شهدانه كلام الله تكلم به حقا  
 وانزله - على رسوله وحيا ولا ينال معانيه الا من لم يكن في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه  
 فمن لم يؤمن بالله حتى من عند الله في قلبه منه حرج ومن لم يؤمن بأن الله سبحانه تكلم به  
 وحيا وليس مخلوقا من جملة مخلوقاته في قلبه منه حرج ومن قال ان له باطنا يخالف ظاهره  
 وان له تأويلا يخالف ما يفهم منه في قلبه منه حرج ومن قال ان له تأويلا لا تفهمه ولا تفهمه  
 وانما تلوه متعبدن بألفاظه في قلبه منه حرج ومن سأل عليه آل الرائيين وهذيان المتكلمين  
 وسفاسة المسفسطين وخيالات المتصوفين في قلبه منه حرج ومن جعله تابعا لخصائمه ومذهبه  
 وقول من قلده دينه بنزله - على أقواله ويتكلف حله عليها في قلبه منه حرج ومن لم يحكمه  
 ظاهرا وباطنا في أصول الدين وفروعه ويسلم وينقاد لحكمه أن كان في قلبه منه حرج  
 ومن لم يأمر بأمره وينجز عن زواجره ويصدق جميع اخباره ويحكم أمره ونهيه وخبره  
 ويرد له كل أمر ونهى وخبر خالفه في قلبه منه حرج وكل هؤلاء لم تمس قلوبهم معانيه ولا  
 يفهمونه كما ينبغي أن يفهم ولا يجردون من لذته - لآلونه وطعمه ما وجدته الصحابة ومن تبعهم  
 وانت اذا تأملت قوله لا يؤمنه الا المطهر - رون واعطيت الآية حقها من دلالة اللفظ وإيمانه  
 وإشارته وتنبئيه وقياس الشيء على نظيره واعتباره بمشاكله وتأملت المشابهة التي عقدها الله  
 سبحانه وربطها بين الظاهر والباطن فهمت هذه المعاني كلها من الآية وبالله التوفيق  
 فصل ثم أكد ذلك وقرره واطد به قوله تنزيل من رب العالمين وكأنه لازم لكونه قرآنا  
 كريما في كتاب مكنون فهو لازم له فهو دليل عليه ومدلول له وافتاد كونه تنزيلا من رب العالمين  
 مطلوبين عظيمين من أجل مطالب الدين أحدهما أنه المتكلم وأنه منه نزل ومنه بدأ وهو  
 الذي تكلم به ومن هنا قال السلف منه بدأ ونظيره ولكن حتى القول منى وقوله قل نزل  
 روح القدس من ربك والثاني علو الله سبحانه فوق خلقه فان النزول والتنزيل الذي تعقله  
 العقول وتعرفه الفطر هو وصول الشيء من أعلا إلى أسفل والرب تعالى انما يخاطب عباده  
 بما تعرفه فطرهم وتشهده عقولهم وذكر التنزيل مضافا إلى ربوبيته للعالمين المستلزمة تملكه  
 لهم وتصرفه فيهم وحكمه عليهم وإحسانه وانعامه عليهم وأن من هذا شأنه مع الخلق كيف  
 يليق به مع ربوبيته النامة أن يتركهم سدى ويدعهم هملا ويخلقهم عبثا لا بأمرهم ولا ينههم  
 ولا ينهيهم ولا يعاقبهم فمن أقر بأنه رب العالمين أقر بأن القرآن تنزيله على رسوله واستدل بكونه  
 رب العالمين على ثبوت رسالة رسوله وصحة ما جاء به وهذا الاستدلال أقوى وأشرف من  
 الاستدلال بالمعجزات والخوارق وان كانت دلالتها أقرب إلى أذهان صوم الناس ونلت انما  
 تكون لخواص العقلاء وقد أشار سبحانه إلى طريقين في غير موضع من كتابه كقوله  
 سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فهذا استدلال بالآيات المعسوبة  
 المخلوقة ثم قال أولم يكف بربك أنه - على كل شيء شهيد فهذا استدلال بكمال ربوبيته وكمال  
 أوصافه على صدق رسوله فيما جاء به وهذه الطريقي أحسن وأقوى وأكمل وأعلى والأول

أعم وأشمل وقد تقدم بيانه ما عند قوله تعالى ولو نقول علينا بعض الأقاويل وأين الاستدلال بأوصاف الرب تعالى وكماله المقدس على ثبوت النبي وبعثه من الاستدلال عليه ببعض مخلوقاته وتأمل فرق ما بين استدلال سيدة نساء العالمين خديجة بصفات الرب تعالى وصفات محمد صلى الله عليه وسلم واستنتاجها من بين هذين الأمرين صحة نبوته وأنه رسول الله حقا وإن من كانت هذه صفات ربه وخالقه تأبى أن ينجزه وأنه يؤيده ويعلمه ويتم نعمته عليه وأنت إذا تأملت هذه الطريقة وهذا الاستدلال وجدت بينها وبين طريقة المتكلمين من الفرق مالا يخفى وإذا حصل للعبد الفقه في الأسماء والصفات انتفع به في باب معرفة الحق والباطل من الآفة والطرأى والمذاهب والعقائد أعظم انتفاع وأتم وقد بينا في كتابنا المعالم بطلان التخصيل وغيره من الخيل الربوية من أسماء الرب وصفاته وأنه يستحيل على الحكيم أن يحرم الشيء ويتوعد على فعله بأعظم أنواع العقوبات ثم يبيح التوصل إليه بنفسه بأنواع التخييلات وأين ذلك الوعد الشديد وجواز التوصل إليه بالطريق البعيد إذ ليست حكمة الرب تعالى وكمال علمه وأسمائه وصفاته تنقض باحالة ذلك وامتناعه عليه فهذا استدلال بالفقه الأكبر في الأسماء والصفات على الفقه العملي في باب الأمر والنهي وهذا باب حرام على الجهل المعطل أن يلجأ إليه حرام عليه ربحها وإن ربحها أوجد من مسيرة خمسين ألف سنة والله العزيز الوهاب لا مانع لما أعطى وما أعطى لما منع وبه التوفيق

**فصل** ثم ونجهم سبحانه على وضعهم الأدهان في غير موضعه وإنهم بداهنون بما حقه أن يصدق به ويفرق به وبعض عليه بالنواجز ويثنى عليه الخناصر ونعقد عليه القلوب والأفئدة ويحارب ويسالم لأجله ولا يلتوى عنه لا عجنة ولا يصرة ولا يكون للقلب التفات إلى غيره ولا محاكاة إلا إليه ولا خاصمة إلا به ولا اهتداء في طرق المطالب العالية الابنوره ولا شفاء إلا به وروح الوجود وحياة العالم ومدار السعادة وقائدة الفلاح وطريق النجاة وسبيل الرشاد ونور البصائر فكيف تطلب المداينة بماهنا شأنه ولم ينزل للمداينة وإنما أنزل بالحق والحق والمداينة إنما تكون في باطل قوى لا يمكن إزالته أو في حق ضعيف لا يمكن إقامته فيحتاج المداين إلى أنه يترك بعض الحق ويلتزم بعض الباطل فاما الحق الذي قام به كل حق فكيف يداهن به ثم قال سبحانه وتعملون رزقكم أنكم تكذبون لما كان قوام كل واحد من البدن والقلب إنما هو بالرزق فرزق البدن الطعام والشراب ورزق القلب الإيمان والمعرفة بربه وطاقته ومحبه والشوق إليه والانس بقربه والابتهاج بذكره وكان لأحيائه الأبدان كما أن البدن لأحيائه إلا بالطعام والشراب أنم سبحانه على عباده بهذين النوعين من الرزق وجعل قيسام أبدانهم وقلوبهم بهما ثم قاوت سبحانه بينهم في قسمة هذين الرزقين بحسب ما اقتضاه علمه وحكمته فمنهم من وفر حظه من الرزقين ووسع عليه فيها ومنهم من قتر عليه في الرزقين ومنهم من وسع عليه رزق البدن وقتر عليه رزق القلب وبالعكس وهذا الرزق أغايم ويكمل بالشكر والشكر مادة زيادته وسبب حفظه وبقائه وتركه الشكر سبب زواله وانقطاعه عن العبد فان الله تعالى تأذن أنه لا بد أن يزيد الشكور من نعمه ولا بد أن يسلبها من لم يشكرها فلما وضعوا الكفر والتكذيب موضع

الشكر والايان جعلوا رزقهم نفسه تكذب بان التصديق والشكر لما كانا سبب زيادة الرزق وهما رزق القلب حقيقة هؤلاء جعلوا مكان هذا الرزق التكذيب والكفر فجعلوا رزقهم التكذيب وهذا المعنى هو الذى حمله من قال التقدير وتجعلون شكر رزقكم انكم تكذبون وقال آخرون التقدير يجعلون بدل شكر رزقكم انكم تكذبون فحذف مضامين معا هؤلاء اطالوا اللفظ وقصروا بالمعنى ومن بعض معنى الآية قوله مطرنا بنوء كذا وكذا فهذا لا يصح أن تدل عليه الآية ويراد بها والا فمعناها اوسع منه واعم واعلى والله اعلم

فصل ثم ختم السورة بأحوالهم عند القيامة الصغرى كما ذكر في اولها احوالهم في القيامة الكبرى وقسمهم الى ثلاثة اقسام كما قسمهم هناك الى ثلاثة وذكريين يدعى هذا التقسيم الاستدلال على صحته وثبوته بأنهم مربوطون مدبرون مملكون فوفهم رب قاهر مالك يتصرف فيهم بحسب مشيئته وارادته وفررهم على ذلك بالآية ليل لهم الى دمه ولا انكاره فقال فلولا اذا بلغت الخلقوم اى وصلت الروح الى هذا الموضع بحيث فارقت ولم تفارق هى برزخ بين الموت والحياة كما انها اذا فارقت صارت في برزخ بين الدنيا والاخرة ملائكة الرب تعالى اقرب الى المختصر من حاضريه من الانس ولكنهم لا يبصرون بهم فلولا تردونها الى مكانها من البدن اياها الحاضرون ان كان الامر كما تزعمون انكم خير مجزيين ولا مدبئين ولا مستوعبين ليوم الحساب ( فان قيل ) اى ارتباط بين هذين الامرين حتى يلزم بينهما ( قيل هذا ) من احسن الاستدلال وابلقه فانهم اما ان يقولوا بأنهم مربوطون مملوكون عبيد لملك قادر متصرف فيهم قاهر آمر ناه اولايقرون بذلك فان اقروا به لزمهم القيام بحقه عليهم وشكره وتعظيمه واجلاله وان لا يجعلوا له ندا ولا شريكا وهذا هو الذى جاءهم به رسوله وتزل عليه به كنيسته وان انكروا ذلك وقالوا انهم ليسوا بعبيد ولا مملوكين ولا مربوطين وأن الامر اليهم يردون الارواح الى مقارها اذا بلغت الخلقوم فان المتصرف في نفسه الحاكم على روحه لا يمنع منه ذلك بخلاف المحكوم عليه المتصرف فيه غير المدبر له سواء الذى هو عبد مملوك من جميع الجهات وهذا الاستدلال لا يحيد عنه ولا مدفع له ومن اعطاه حقه من التقرير والبيان انتفع به غاية النفع وانتقاد لاجله لعبودية وأذهن ولم يسهه غير التسليم للرؤية والالهية والافرار بالعبودية والله ما احسن جزالة هذه الالفاظ وفصاحتها وبلوغها اقصى مراتب البلاغة والفصاحة والاختصار التام وندائها الى معناها من اقرب مكان واشتمالها على التوبخ والتقرير والالزام ودلائل الربوبية والتوحيد والبعث وفصل التزام في معرفة الروح وانها تصعد وتنزل وتنقل من مكان الى مكان وما احسن اعادة لولا ثانيا قبل ذكر الفعل الذى يقتضيه الاول وجعل الطرفين يقتضيان اقتضاء واحدا وذكر الشرطين بين لولا الثانية وما يقتضيه من الفعل ثم الموالاة بين الشرط الاول والثاني مع الفصل بينهما بكلمة واحدة هى الرابط بين لولا الاولى والثانية والشرط الاول والثاني وهذا تركيب يستند العقل والسمع لمعناه ولفظه فتضمنت الآياتان تقريراً وتوجيهاً واستدلالاً على اصول الايمان من وجود الخلق بمجته وكال قدرته وتقوذه مشيئته وربوبيته وتصرفه في ارواح عباده حيث لا يقدرون

على التصرف فيها بشئ وأن ارواحهم بدمه يذهب بها اذا شاء ويردها اليهم اذا شاء وبخلق ابدانهم منها نارة ويجمع بينها وبينهما نارة واثبات المعاد وصدق رسوله فيما أخبر به عنه واثبات ملائكته وتقرير عبودية الخلق وأتى بهذا في صورة تخصيصين وتوضيحين وتقريرين وجوابين وشرطين وجزائين منتظمة احسن الانتظام ومتداخلة احسن التداخل متعلقات بعضها ببعض وهذا كلام لا يقدر البشر على مثل نظمه ومضاه قال الفراء واجبت فلولا اذا بلغت وفلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو ترجمونها ان كنتم صادقين قال ومثله قوله تعالى فاما بآيائنا نبينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اجيبا بجواب واحد وهما شرطان قال الجرجاني قوله ترجمونها جواب لقوله فلولا المتقدمة والتأخرة على تأويل فلولا اذا بلغت النفس الحلقة وتردونها الى موضعها ان كنتم غير محاسبين ولا مجزيين كما يزعمون يقول تعالى ان كان الامر كما يزعمون أنه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا اله ولا رب يقوم بذلك فهلا تردون نفس من بعز عليكم اذا بلغت الحلقة - وم فاذالم يمكنكم في ذلك حيلة بوجه من الوجوه فهل دلكم ذلك على أن الامر الى ملك قادر قاهر متصرف فيكم وهو الله الذى لا اله الا هو وقال أبو اسحق معناه فهلا ترجمه - ون الروح ان كنتم غير مملوكين مدبرين فهلا ان كان الامر كما تزعمون في كما يقول فانلكم لو اطاعونا ما قتلوا ولو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اى ان كنتم تقدروا أن تؤخروا اجلافه لا ترجمون الروح اذا بلغت الحلقة ومهلا تردون من أنفسكم الموت قلت وكأن هذا يلغى الى قوله تعالى قل كوتوا سجادة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم اى ان كنتم كما تزعمون لا تبعثون بعد الموت خلقا جديدا فكونوا خلقا لا يفنى ولا يبلى اما من سجادة أو من حديد أو من ذلك ووجد الملازمة مانع من ذكره وهو اما ان تقولوا ان لكم رباً متصرفاً فيكم ومالكاً لكم تنفذ فيكم مشيئته وقدرته فيبتكم اذا شاء وبحيبكم اذا شاء فكيف تشكرون قدرته على امانتكم خلقا جديدا بعد امانتكم واما ان تنكروا أن يكون لكم رب قادر قاهر مالك نافذ المشيئة فيكم والقدرة فيكم فكونوا خلقا لا يقبل الفناء والموت فاذالم تستطيعوا أن تكونوا كذلك فانكروا من قدرة من جعلكم خلقا يموت وبعبأنى يحييكم بعد ما اتاكم فهذا استدلال يعجزهم عن كونهم خلقا لا يموت والذى في الواقعة استدلال يعجزهم عن رد الروح الى مكانها اذا قاربت الموت وليس بعده - هذا الاستدلال الا الاذنان والانقياد أو الكفر والعناد

فصل في فلما قام الدبل ووضح السبيل وتم البرهان على انهم مملوكون مبريون مجزون محاسبون ذكر طبقاتهم عند الحشر الاول والقيامة الصغرى وهى ثلاثة طبقة المقربين وطبقة اصحاب اليمين وطبقة المكذبين فجعل نعمة المقربين عند الوفاة الروح والريحان والجنة وهذه الكرامات الثلاثة التى يعطونها بعد الموت نظير الثلاث التى يعطونها يوم القيامة فالروح الفرح والسرور والابتهاج ولذة الروح فهى كلمة جامعة لانعم الروح ولذتها وذلك قوتها وغذاؤها والريحان الرزق وهو الاكل والشرب والجنة المسكن الجامع لذلك كله فيعطون هذه الثلاث في البرزخ وفي المعاد الثانى ثم ذكر الطبقة الثابتة وهى طبقة اصحاب اليمين ولما كانوا دون المقربين في المرتبة جعل نعيمهم عند القدوم عليه - الامة من الاوقات

والشروع التي تحصل للمكذبين الضالين فقال واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين والسلام مصدر من سلم اي تلك السلامة والخطاب له نفسه اي يقال لك السلامة كما يقال للقادم لك الهناء ولك السلامة ولك البشعر ونحو ذلك من الالفاظ كما بقواون خير مقدم ونحو ذلك فهذه تحية عند اللقاء قال مقاتل يسلم الله لهم امرهم وينجاوز عن سيئاتهم وتقبل حسناتهم وقال الكافي يسلم عليه اهل الجنة وبقواون السلامة لك وعلى هذا فوله من اصحاب اليمين اي هذه التحية حاصلة لك من اخوانك اصحاب اليمين فانه اذا قدم عليهم حيوة بهذه التحية وقالوا السلامة لك وفي الآية اقوال آخر فيها تكلف وتعسف فلا حاجة الى ذكرها ثم ذكر الطبقة الثالثة وهي طبقة الضال في نفسه المكذب لاهل الحق وان له عند الموافقة نزل الحميم وسكني الحميم ثم اكد هذا الجزاء بما جعله كأنه رأى العين لمن آمن بالله ورسوله فقال ان هذا لهو حق اليقين فرفع شأنه عن درجة الظن والعلم الى اليقين وعن درجة اليقين الى حقه ثم امره ان ينزه اسمه تبارك وتعالى عما لا يليق به وتنزيه الاسم متضمن لتنزيه المسمى عما يقوله الكاذبون والجاحدون

فصل ومن ذلك قوله بحمده تعالى والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى أقسم سبحانه بالنجم عند هويته على تنزيه رسوله وبرامته مما نسبته اليه اعداؤه من الضلال والغي واختلف الناس في المراد بالنجم فقال الكافي عن ابن عباس أقسم بالقرآن اذا نزل منه ما على رسوله أربع آيات وثلاثا والسورة وكان بين اوله وآخره عشرون سنة وكذلك روى عطاء عنه وهو قول مقاتل والضحاك ومجاهد واختاره الفراء وعلى هذا فسمى القرآن نجما لفرقه في النزول والعرب تسمى التفرق نجما والمفرق نجما ونجوم الكتابة اقسامها وبقول جعلت مالى على فلان نجما وما منجمة كل نجم كذا وكذا واصل هذا ان العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وآجالها فيقولون اذا طلع النجم يريدون الثريا حل عليك الدين ومنه قول زهير في ذية جعلت نجوما على العاقل

نجمها قوم لقوم غرامة \* ولم يهرقوا ما بينهم ملء محجم

ثم جعل كل نجم تقريبا وان لم يكن موقفا بطالع نجم وقوله هوى على هذا القول اي نزل من علو الى سفلى قال ابو زيد هوى العقاب تهوى هوبا بفتح الهاء اذا انقضت على صيد أو غيره وكذلك قال ابن الاعرابي وفرق بين الهوى لقوله \* والداو في اصعادهما يحمل الهوى \* وقال الايث السلامة تقول الهوى بالضم في مصدر هوى به - هوى وكذلك قال الاصمعي هوى بهوى هو بفتح الهاء اذا سقط الى اسفل قال وكذلك الهوى في السير اذا مضى وهما امر يجب التنبيه عليه غلط فيه ابو محمد بن حزم افتح غلط فذكر في السماء الرب تعالى الهوى بفتح الهاء واخرج في الصحيح من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده سبحان ربى الاعلى الهوى فظن ابو محمد أن الهوى صفة للرب وهذا من غلطه رحمه الله وانما الهوى في على وزن فعيل اسم قطعة من الليل يقال معنى هوى من الليل على وزن فعيل ومضى هرب منه اي طرف وجانب وكان يقول سبحان ربى الاعلى في قطعة من الليل وجانب منه وقد صرح بذلك في اللفظ الآخر فقالت كان يقول سبحان ربى الاعلى الهوى

من الليل عندنا الى قوله والجم اذ هو وقال ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة وعطية  
يعني الثريا اذا سقطت وغابت وهو الرواية الاخرى عن مجاهد والعرب اذا اطلقت الجم  
تعني به الثريا قال فباتت تعد الجم وقال ابو حنيفة يعني النجوم اذا انتشرت يوم القيامة وقال  
ابن عباس في رواية هكرمة يعني النجوم التي ترمى بها الشياطين اذا سقطت في آثارها عند  
استراق السمع وهذا قول الحسن وهو اظهر الاقوال ويكون سبحانه قد قسم بهذه الآية  
الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله سبحانه آية وحفظا للوحي من استراق الشياطين له على ان  
ما في رسوله حق وصدق لا سبيل للشيطان ولا طريق له اليه بل قد احترس بالجم اذ هو  
رسدا بين يدي الوحي وحرسه على هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية  
الظهور وفي المقسم به دليل على المقسم عليه وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالجم اذ هو  
ولا تسمية نزوله هويا ولا عهد في القرآن بذلك فجعله هذا اللفظ عليه وليس بالبين تخصيص  
هذا القسم بالثريا وحدها اذا غابت وليس بالبين ايضا القسم بالنجوم عند انتشارها يوم القيامة  
بل هذا مما يقسم الرب عليه ويدل عليه بآياته ولا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للخطاطين  
ولاسيما منكر والبعث فانه سبحانه اغا استدل بما لا يمكن جمده ولا المكابرة فيه فأظهر الاقوال  
قول الحسن والله اعلم وبين المقسم به والمقسم عليه من التماس ما لا يخفى فان النجوم التي ترمى  
الشياطين آيات من آيات الله يحفظ بها دينه ووحيه وآياته المنزلة على رسوله بها ظهر دينه  
وشعره وأسمائه وصفاته وجعلت هذه النجوم المشاهدة خدما حرسا لهذه النجوم الهاوية  
ونفى سبحانه عن رسوله اضلال المناق للهدى والغى المناق للرشاد ففي ضمن هذا البقي الشهادة  
بأنه على الهدى والرشاد فالهدى في علمه والرشاد في علمه وهذا الاصلان هما غاية كمال  
العبد وبهما سعاده وفلاحه وبهما وصف النبي صلى الله عليه وسلم خلفاءه فقال عليكم  
بسنن وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى فالراشد ضد الغاوى والمهدى ضد الضال  
وهو الذي زكت نفسه بالعلم النافع والصلح الصالح وهو صاحب الهدى ودين الحق ولا  
يشبهه الراشد المهدي باضلال الغاوى الا على اجهل خلق الله وأعماه قلبا وأبدهم  
من حقيقة الانسانية والله در القائل

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره \* اذا ستوت عند الانوار والظلم

فالناس أربعة أقسام ضال في علمه غاوى في قصده وعمله وهؤلاء شرار الخلق وهم مخالفوا الرسل  
الثاني مهتد في علمه غاوى في قصده وعمله وهؤلاء هم الأئمة الغضبية ومن تشبه بهم وهو حال  
كل من عرف الحق ولم يعمل به الثالث ضال في علمه واكن قصده الخير وهو ولا يشعر الرابع  
مهتد في علمه راشد في قصده وهؤلاء ورثة الانبياء وهم وان كانوا الاقلين عددا فهم الاكثر  
عند الله قدر اوهم صفوة الله من عباده وحزبه من خلقه وتأمل كيف قال سبحانه ماضل صاحبكم  
ولم يقل ماضل محمد تأكيدا لاقامة الحجّة عليهم بأنه صاحبهم وهو اعلم الخلق به وبما له واقواله  
واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينتمون عليه امرا واحدا قط وقد نبه  
على هذا المعنى بقوله ام لم يعرفوا رسولهم وبقوله وما صاحبكم بمجنون

فصل في ثم قال سبحانه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي بوحي ينزه نطق رسوله

ان يصدر عن هوى وبهذا الكمال هداى ورشده وقال وما ينطق عن الهوى ولم يقل وما ينطق  
 بالهوى لان نطقه عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى  
 فكيف ينطق به فتضمن نفي الامر بنفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن النطق نفسه  
 فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال ثم قال ان هو الا وحى يوحى فأما الضمير  
 على المصدر المفهوم من الفعل أى ما نطقه الا وحى يوحى وهذا احسن من قول من جعل الضمير  
 مأثرا الى القرآن فانه بم نطقه بالقرآن والسنة وان كليهما وحى يوحى وقد اخبر الشافعى لذلك  
 فقال لعل من حجة من قال به - اذا قوله وانزل الله عليك الكتاب والحكمة قال وله - ل من حجة  
 ان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي الزانى بأمره الرجل الذى صالحه على الغنم  
 والخادم والذى نفسى بيده لا قضين بينكم - بكتاب الله الغنم والخادم رد عليك الحديث  
 وفي الصحيحين ان بعلى بن امية كان يقول لعمر ليتنى ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل  
 عليه الوحي فلما كان بالجعرانة سأله رجل فقال كيف ترى في رجل احرم بعمره في جنته  
 بعدما تضحك بالخالق فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكث فجاء الوحي فأشار  
 عمر يده الى بعلى فجاء فأدخل رأسه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم محرم بغط ثم سرى عنه  
 فقال ابن السائل آخافجئى به فقال اترع عنك الجبة واغسل اثر الطيب واصنع في عمرتك ما تصنع  
 في حجك وقال الشافعى اخبرنا مسلم عن ابن جريج عن ابن طاووس عن ابيه ان عنده كتابا  
 نزل به الوحي وما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من صدقة وعقول فأنما نزل به الوحي  
 وذكر الاوزاعى عن حسان بن عطية قال كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة  
 كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياه وذكر الاوزاعى ايضا عن ابي عبيد صاحب سليمان اخبرنى  
 القاسم بن مخيمرة حدثنى ابن فضيلة قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم سمر لما قال لا تسألنى عن  
 سنة احد ثم افيكتم اى أمرنى بها ولكن سلوا الله من فضله وابن فضيلة هذا يسمى طلحة وقد صح عنه  
 انه قال الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه وهذا هو السنة بلا شك وقد قال تعالى وانزل الله عليك  
 الكتاب والحكمة وهما القرآن والسنة وبالله التوفيق

فصل في ثم اخبر تعالى عن وصف من علم الوحي والقرآن بما يعلم انه مضاد لا وصادف  
 الشيطان مع علم الضلال والغواية فقال علمه شديد القوى وهذا نظيره - وله ذى قوة عند ذى  
 العرش وذ كراهناك المرقى وصفه بالقوة - وله ذومرة أى جليل المنظر حسن  
 الصورة ذو جلاله ليس شيطانا أفع خلق الله واشوهم صورة بل هو من أجل الخلق  
 واقوامهم واعظمهم أمانة ومكانة عند الله وهذا تعديل لسند الوحي والنبوة وتزكيته  
 كما تقدم نظيره في سورة التكويد فوصفه بالعلم والقوة وجلال المنظر وجلالته وهذه كانت  
 أوصاف الرسول البشرى والملكى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشجع الناس وأعلمهم  
 وأجلهم وأجلهم والشبابين وتلامذتهم بضد من ذلك فهم أفع الخلق صورة ومعنى  
 وأجهل الخلق وأضعفهم همما ونفوسا ثم ذكر استواء هذا العلم بالافق الاعلى ودنوه  
 وتدليه وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وايضا الله ما أوحى فنصور سبحانه لاهل  
 الايمان صورة الحال من نزول جبريل من عنده الى ان استوى بالافق ثم دنى وتدلى وقرب



من رسوله فأوحى إليهما أمره الله سبحانه حتى كأنهم يشاهدون صورة الحل وبها ينوها  
هابطاً من السماء إلى أن صار بالأفق الأعلى مستويًا عليه ثم نزل وقرب من محمد صلى الله عليه  
وسلم وخاطبه بما أمره الله به قائلاً ربك يقول لك كذا وكذا وأخبر سبحانه عن مسافة  
هذا القرب بأنه قدر قوس بين أو أدنى من ذلك وليس هذا على وجه الشك بل تحقيق لتقدير  
المسافة وأنها لا تزيد على قوسين ألبتة كما قال تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فحقيق  
لهم هذا العدد وأنهم لا يتقصون عن مائة ألف رجل واحداً ونظيره قوله ثم قست قلوبكم  
من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة أي لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة بل إن لم  
ترد على قسوة الحجارة لم تكن دونها وهذا المعنى أحسن والطف وادق من قول من جعل  
أو في هذه المواضع بمعنى بل ومن قول من جعلها لك بالنسبة إلى الرأي وقول  
من جعلها بمعنى الواو فتأمل انتهى

فصل في ثم أخبر تعالى عن تصديق فؤاده لما رآه عينه وأن القلب صدق العين وليس  
كن رأى شيئاً على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره بل ما رآه بصره صدقه الفؤاد وهم  
أنه كذلك وفيها قراءتان أحدهما بتخفيف كذب والثانية بتشديد بها يقال كذبت عينه وكذب  
قلبه وكذب جسده إذا خلف ما ظنه وحده قال الشاعر

كذبت عينك أم رأيت بواسط \* غلس الظلام من الرباب خيالاً

أي أرتك ما لا حقيقة له فنفي هذا عن رسوله وأخبره أن فؤاده لم يكذب ما رآه وما لما إن تكون  
مصدرة فيكون المعنى ما كذب فؤاده رؤيته وأما إن تكون موصولة فيكون المعنى  
ما كذب الفؤاد الذي رآه بعينه وعلى التقديرين فهو أخبار عن تطابق رؤية القلب لرؤية  
البصر وتوافقهما وتصديق كل منهما لصاحبه وهذا ظاهر جلي في قراءة التشديد وقد  
استشكلها طائفة منهم المبرد وقال في هذه القراءة بعد قال لأنه إذا رأى بقلبه فقد علمه أيضاً  
بقلبه وإذا وقع العلم فلا كذب معه فانه إذا كان الشيء في القلب معلوماً فكيف يكون معه  
تكذيب قلت وجواب هذا من وجهين أحدهما أن الرجل قد يتخيل الشيء على خلاف  
ما هو به فيكذب بقلبه أذيريه صورة المعلوم على خلاف ما هو عليه كما تكذب عينه فيقال  
كذب بقلبه وكذب ظنه وكذبته عينه فنفي سبحانه ذلك عن رسوله وأخبرنا أن الفؤاد هو  
كما رآه كن رأى الشيء على حقيقة ما هو به فانه يصح أن يقال لم تكذب عينه الثاني أن يكون  
الضمير في رأى ما إذا إلى الرأي لا إلى الفؤاد ويكون المعنى ما كذب الفؤاد ما رآه البصر وهذا  
بحمد الله لا إشكال فيه والمعنى ما كذب الفؤاد ما رآه البصر بل صدقه وعلى القراءتين فالمعنى  
ما أوهمه الفؤاد أنه رأى ولم يروا أنهم بصره ثم أنكر سبحانه عليهم مكابرتهم وجسدهم  
له على ما رآه كما ينكر على الجاهل مكابرة لعالم ومما رآه على ما علمه وفيها قراءتان افتخارونه  
وافتمروا وهذه الممارسة أصلها من الحمد والدفع يقول مريت الرجل حقاً إذا جحدته كما قال  
الشاعر

لئن هجرت اخاصدق ومكرمة \* لقد مريت اخاماً كان يربكاً

ومنه الممارسة وهي المجادلة والمكابرة ولهذا هدى هذا الفعل بعلى وهي على بابها وليست  
بمعنى عن كما قاله المبرد بل الفعل منضم معنى المكابرة وهذا في قراءة ثالثة أظهر ويرجح

ابو عبيدة قراءة من قرأ افتتروا قال وذلك أن المشركين انما شأنهم الجحود لما كان يأثمهم من الوحي وهذا كان أكثر من المصاراة منهم يعني أن من قرأ افتتارونه فغناه افتجسادونه ومن قرأ افتتارونه فغناه افتجسدونه وجحدوهم لمساواة به كان هو شأنهم وكان أكثر من مجادلتهم له وخالفه ابو علي وغيره واختاروا قراءة افتتارونه قال ابو علي من قرأ افتتارونه فغناه افتجسادونه جدالا ترومون به دفعه عما علمه وشاهده ويقوى هذا الوجه قوله تعالى بجادلاتك في الحق بعدما تبين ومن قرأ افتتروا كان المعنى افتجسدوته قال والمجادلة كأنها اشبه في هذا لان الجحود كان منهم في هذا وغيره وقد جادله المشركون في الامراء قلت القوم جمعوا بين الجدال والدفع والانكار فكان جدالهم جدال جحود ودفع لاجدال امر شاد وتبين للحق واثبات الالف بدل على المجادلة والانيان يعلى بدل على المكابرة وكانت قراءة الالف منتظمة للمعنيين جميعا فهي أولى وبالله التوفيق

فصل في ثم اخبر سبحانه عن رؤيته لجبريل مرة أخرى عند مدرة المنتهى فالمرّة الاولى كانت دون السماء بالافق الاعلى والثانية كانت فوق السماء عند مدرة المنتهى وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه جبريل عليه الصلاة والسلام رآه على صورته التي خلق عليها مرتين كافي الصحيحين عن زر بن حبیش أنه سئل عن قوله تعالى وكان قاب قوسين أو أدنى قال اخبرني ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح وفي الصحيحين أيضا عن عبد الله بن مسعود ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأى جبريل في صورته التي له ستمائة جناح وقال البخاري عنه رأى رفرقا خضربسد الافق وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل عليه السلام وفي صحيحه أيضا عن مسروق قال كنت متكئا عند عائشة فقالت ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الفرية قلت ما هن قالت من زعم أن محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية قال وكنت متكئا فجلست فقلت يا أم المؤمنين انظر بني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل ولقد رآه بالافق المبين ولقد رآه نزلة أخرى فقالت انا أول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء ساد اعظم خلقه ما بين السماء والارض فقالت أولم تسمع أن الله عز وجل يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير أولم تسمع أن الله عز وجل يقول وما كان ليشركن بكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا في ربه ما يشاء انه على حكيم قالت ومن زعم أن محمدا كنم شيئا من كتاب الله فقد اعظم على الله الفرية والله عز وجل يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته قالت ومن زعم انه يخبر بما يكون في غد فقد اعظم على الله الفرية والله عز وجل يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ولو كان محمدا كائنا شيئا مما انزل عليه لكنتم هذه الآية واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما لله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وفي الصحيحين عن مسروق ايضا قال سألت عائشة رضي الله عنها هل رأى محمد ربه فقالت سبحان الله لقد كف شعري

عما قلت وفيهما ايضا قال قلت لعائشة ما بنى قوله عز وجل ثم دنى فتدلى وكان قاب قوسين  
او ادنى قالت انما ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجال وانه اناه في هذه المرة في صورته  
التي هي صورته فسد الاق وفي صحيح مسلم ان ابا ذر سأل صلى الله عليه وسلم هل رأيت  
ربك فقال نورانا اراه وفي صحيح مسلم ايضا من حديث أبي موسى الاشعري قال قام فينا رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط  
ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجاب النور لو كشفه لحرقت  
سجحات وجوه ما انتهى اليه بصره من خلقه وهذا الحديث ساقه مسلم بعد حديث أبي ذر المقدم  
عليه وهو كالتفسير له ولا ينافي هذا قوله في حديث الصحيح حديث الرؤية يوم القيامة  
فيكشف الجحباب فينظرون اليه فان النور الذي هو حجاب الرب تعالى يراد به الجحباب الادنى  
اليه وهو لو كشف لم يبق له شيء كما قال ابن عباس في قوله عز وجل لا تدركه الابصار قال ذلك نوره  
الذي هو نوره اذا تجلى به لم يبق له شيء وهذا الذي ذكره ابن عباس يقتضي ان قوله لا تدركه  
الابصار على عمومها واطلافة في الدنيا والآخرة ولا يلزم من ذلك ان لا يرى بل يرى في الآخرة  
بالابصار من غير ادراك واذا كانت ابصارنا لا تقوم لادراك الشمس على ما هي عليه وان رآها  
مع القرب الذي بين المخلوق والمخلوق فالتفاوت الذي بين ابصار المخلوق وذات الرب جل  
جلاله أعظم وأعظم وهذا ما حصل للجبل أدنى شيء من نجل الرب تعالى في الجبل وان ذلك  
لسجحات ذلك القدر من التجلي وفي الحديث الصحيح المرفوع جنتان من ذهب آيتهما وحليتهما  
وما بهما وجنتان من فضة آيتهما وحليتهما وما بهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى  
رئيسهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن فهذا يدل ان رداء الكبرياء على وجهه تبارك  
وتعالى هو المانع من رؤية الذات ولا يمنع من اصل الرؤية فان الكبرياء والعظمة امر لازم لذاته  
تعالى فاذا تجلى سبحانه لعباده يوم القيامة وكشف الجحباب بينهم وبينه فهو الجحباب المخلوق  
واما انوار الذات الذي يحجب عن ادراكها فذلك صفة للذات لا تفارق ذات الرب جل جلاله  
ولو كشف ذلك الجحباب لحرقت سجحات وجهه ما ادركه بصره من خلقه وتكفي هذه الاشارة  
في هذا المقام للمصدق الموقن واما المعطل الجهمي فكل هذا عنده باطل ومحال والمقصود  
ان الخبر عنه بالرؤية في سورة البقرة هو جبريل وأما قول ابن عباس رأى محمدا ربه بفؤاده  
مرتين فالظاهر ان مستنده هذه الآية قد تبين ان المرئي فيها جبريل فلا دلالة فيها على ما قاله ابن  
عباس وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي الاجماع على ما قاله عائشة فقال في نقضه على  
المريسي في الكلام على حديث ثوبان ومعاذ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي  
البارحة في احسن صورة فحكى نأويل المريسي الباطل ثم قال ويحك ان تأويل هذا الحديث  
على غير ما ذهبت اليه اما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في حديث أبي ذر انه لم يره  
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تروا ربكم حتى تموتوا او قالت عائشة رضي الله  
عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية وأجمع المسلمون على ذلك  
مع قول الله لا تدركه الابصار يعنيون ابصار اهل الدنيا وانما هذه الرؤية كانت  
في المنام يمكن رؤية الله على كل حال كذلك وروى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال صليت ماشاء الله من الليل ثم وضعت جنبي فأنا في ربي في أحسن صورة  
فهذا تأويل هذا الحديث عند أهل العلم وقد ظن القاضي أبو يعلى ان الرواية اختلفت  
عن الامام احمد هل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء ام لا على ثلاث  
روايات احدها انه رأى قال المروزي قلت لابي عبد الله يقولون ان عائشة قالت من زعم ان محمدا  
رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأى شيء يدفع قول عائشة فقال بقول النبي صلى الله عليه  
وسلم رأيت ربي قول النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من قولها قال وذكر المروزي في موضع  
آخر انه قال لابي عبد الله ههنا رجل يقول ان الله يرى في الآخرة ولا أقول ان محمدا رأى ربه في الدنيا  
فغضب وقال هذا أهل ان يخفى بسلم الخبر كما جاء قال فظاهر هذا انه أثبت رؤية عين ونقل حنبل  
قال قلت لابي عبد الله النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه رؤيا حلم بقلبه قال فظاهر  
هذا نفي الرؤية وكذلك نقل الاثرم وقد سأله عن حديث عبد الرحمن ابن مابس عن  
النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي في أحسن صورة فقال معمر مضطرب  
لان معمر رواه عن ابوب عن معبد عن عبد الرحمن ابن مابس عن النبي صلى الله عليه  
عليه وسلم ورواه حماد عن قتادة عن ~~مكرمة~~ عن ابن عباس ورواه يوسف  
ابن عطية عن قتادة عن انس ورواه عبد الرحمن بن يزيد عن جابر عن خالد بن  
الجباج عن عبد الرحمن بن مابس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم  
ورواه يحيى بن أبي كثير فقال عن ابن مابس عن معاذ عن النبي صلى الله عليه  
وسلم وأصل الحديث واحد قال الاثرم فقلت لابي عبد الله قال أي شيء تذهب  
فقال قال الامش عن زياد بن الحصين عن أبي العباس عن ابن عباس قال رأى  
محمدا ربه بقلبه ونقل الاثرم ان رجلا قال لاحد من الحسين الاشيب انه قال لم ير النبي  
صلى الله عليه وسلم ربه تعالى فأنا نكره عليه انسان وقال لم تقول رآه ولا تقول بعينه  
ولا بقلبه كما جاء الحديث فاستحسن ذلك الاشيب فقال ابو عبد الله حسن قال وظاهر هذا  
اثبات رؤية لا يقل معناها هل كانت بعينه ام بقلبه فهذه نصوص احمد وقد جعلها القاضي  
مختلفة وجعل المسئلة على ثلاث روايات ثم احتج للرواية الاولى بحديث ام الطفيل وحديث  
عبد الرحمن ابن مابس الحضرمي ولا دلالة فيهما لان الرواية مائة مائة فقط واحتج لاهمالا يرضى احمدان  
تخرج به وهو حديث لا يصح عن أبي عبيدة بن الجراح مرفوعا لما كانت ليلة اسرى بي رأيت ربي في  
أحسن صورة فقال فبم يختصم الملا الا على وذكر الحديث وهذا غلط قطعان القصة لما كانت  
بالمدينة كما قال معاذ بن جبل احتبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح حتى كدنا  
فترادى بين الشمس ثم خرج فصل بنا ثم قال رأيت ربي البارحة في أحسن صورة فقال يا محمد فبم  
يختصم الملا الا على وذكر الحديث فهذا كان بالمدينة والاسراء كان بمكة وليس عن الامام  
احمد ولا عن النبي صلى الله عليه وسلم نص انه رآه بعينه بقطة وانما حل القاضي كلام  
اسد مالا يحتمله واحتج لما فهم منه بما لا يدل عليه وكلام احمد يصدق بعضه بعضا والمسئلة رواية  
واحدة عندنا لم يقل بعينه وانما قال رآه واتبع في ذلك قول ابن عباس رأى محمدا ربه واغفل  
الحديث رأيت ربي وهو مطلق قد جاء بانه في الحديث الآخر ولكن في رد احمد قول عائشة

ومعارضته بقول النبي صلى الله عليه وسلم اشعار بأنه اثبت الرؤية التي انكرتها مائشذوهى لم تنكر رؤية المنام ولم تقل من زعم ان محمدا رأى ربه في المنام مقدأعظم على الله القرية وهذا يدل على احد أمرين اما ان يكون الامام احدا انكر قول من اطلق ذى الرؤية اذ هو مخالفته للحديث واما ان يكون رواية عنه باثبات الرؤية وقد صرح بأنه رآه رؤيا حلم بقلبه وهذا تقييد منه للرؤية واطلق انه رآه وانكر قول من ذى مطلق الرؤية واستحسن قول من قال رآه ولا يقول بعينه ولا بقلبه وهذه النصوص عنه متفقة لا مختلفة وكيف يقول احدا رآه بمعنى رأسه بقظة ولم يحى ذلك في حديث قط فأجدنا اتبع الفاظ الحديث كما جاءت وانكاره قول من قال لم يره أصلا لا يدل على اثبات رؤية اليقظة بعينه والله أعلم

**فصل** وقوله تعالى مازاغ البصر وماطغى قال ابن عباس مازاغ البصر بيننا ولا شمالا ولا جاوز ما امر به وعلى هذا المفسرون فنحن من نبيه ما يعرض لرائى الذى لا ادب له بين يدى الملوك والعظماء من التفاته بينا وشمالا ومجاوزة بصره لما بين يديه واخبر عنه بكمال الادب فى ذلك المقام وفى تلك الحضرة اذ لم يلتفت جانباً ولم يمد بصره الى غير ما أرى من الآيات وما هناك من العجائب بل قام مقام العبد الذى اوجب ادبه اطرافه واقباله على ما أرى دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى ما لم يره مع ما فى ذلك من ثبات الجاش وسكون القلب وطمانينته وهذا غاية الكمال وزبغ البصر التفاته جانباً وطغيانه مدامامه الى حيث ينتهى فنزى فى هذه السورة علمه عن الضلال وقصده وعمله عن الغنى ونطقه عن الهوى وفؤاده عن تكذيب بصره وبصره عن الزبغ والطغيان وهكذا يكون المدح

ذلك المكارم لا قبسان من ابن شيبا بماء فعادوا بعد ابوالا

**فصل** ولما ذكر رؤيته لجبريل عند مدرة المنتهى استطرد منها وذكرا ان جنة المأوى عندها وانه يغشاها من امره وخلقه ما يغشى وهذا من احسن الاستطراد وهو اسلوب لطيف جدا فى القرآن وهو نومان احدهما ان يستطرد من الشئ الى لازمه مثل هذا ومثل قوله وانشئتم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم ثم استطرد من جوابهم الى قوله الذى جعل لكم الارض مهدا وملك لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشربا به بلدة مينا كذلك نخرجون والذى خلق الزوجات كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره وهذا ليس من جوابهم ولكن تقرير له واقامة الجمة عليهم ومثله قوله تعالى من ربكم ايا موسى قال ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الا ولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى فهذا جواب موسى ثم استطرد سبحانه منه الى قوله الذى جعل لكم الارض مهدا وملك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فأخرجنا به ازواجاً من نبات شتى كلوا وورعوا أنعامكم ان فى ذلك لايات لاولى النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ثم عاد الى الكلام الذى استطرد منه والنوع الثانى أن يستطرد من الشخص الى النوع كقوله ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين الى آخره فالاول آدم والثانى بنوه ومثله قوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها

ليسكن اليها فلما انفسها حلت جلا خفية فارت به فلما أثقلت دعوا الله ربها لئن آتيتنا صالحا لنكونن  
من الشاكرين فلما آتاها صـالـحا جمـلـاه شـرـكا فـيـما آتـاهـما الـى آخـر الآيات فاستطرد من  
ذكر الابوين الى ذكر المشركين من اولادهمـا والله اعلم

**فصل** ومن ذلك قوله تعالى والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور  
والسقف المرفوع والبحر المبهور ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع تضمن هــذا القسم  
خسة اشياء وهى مظاهر آياته وقدرته وحكمته الدالة على ربوبيته ووحدانيته فالطور هو  
الجبل الذى كلم الله عليه نبيه وكليمه موسى بن عمران عند جهور المفسرين من السلف  
والخلف وعرفه ههنا بالام وعرفه فى موضع آخر بالاضافة فقال وطور سينين وهذا  
الجبل مظهر بر كذا الدنيا والآخرة وهو الجبل الذى اختاره الله لتكليم موسى عليه  
قال عبيد الله بن احمد فى كتاب الزهد لايه حدثنى محمد بن عبيد بن حبان قال حدثنا  
جعفر بن سليمان قال حدثنا ابو عمران الجوفى عن نوف البكالى قال اوحى الله عز وجل الى الجبل  
انى نازل على جبل منكم قال فشمخت الجبال كلها الا جبل الطور فانه تواضع وقال ارضى  
بقسم الله لى فكان الامر عليه وجبل هذا شأنه حقيقى ان يقسم الله به وانه اسيد الجبال الثانى  
الكتاب المسطور فى الرق المنشور واختلاف فى هذا الكتاب فقبل هو اللوح المحفوظ وهذا غلط  
فانه ليس برق وقبل هــ والكتاب الذى تضمن أعمال بنى آدم وقال مقاتل نخرج اليهم  
أعمالهم يوم القيامة فى رق منشور وهذا وان كان اقوى واصح من القول الاول  
واختاره جماعة من المفسرين ومنهم من لم يترك غير ما ظاهر أن المراد به الكتاب  
المنزل من عند الله واقسم الله به لعظمته وجلالاته وما تضمنه من آيات ربوبيته  
وادلة توحيده وهداية خلقه ثم قبل هو التورة التى انزلها الله على موسى وكان صاحب  
هذا القول رأى اقتراح الكتاب بالطور فقال هو التورة وليكن التورة انما انزلت فى الواح  
لا فى رق الا ان يقال هى فى رق فى السماء وانزلت فى الواح وقيل هى القرآن ولعل هذا  
ارجح الاقوال لانه سبحانه وصف القرآن بأنه فى صحف مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة  
فالصحف هى الرق وكونه بأيدى سفرة هو كونه منشورا وعلى هذا فيكون قد اقسام بسيد  
الجبال وسيد الكتب ويكون ذلك متضمنا للنبتين المعظمتين نبوة موسى ونبوة محمد وكثيرا  
ما يقرن بينهما وبين محامهما كما فى سورة التين والزيتون ثم اقسام بسيد البيوت وهو البيت  
المعمور وفى وصفه الكتاب بأنه مسطور تحقيقى لكونه مكتوبا مفروضا منه وفى وصفه  
بأنه منشور ايذانا بالاعتناء به وانه بأيدى الملائكة منشور غير معجور واما البيت المعمور  
فالشهور انه الصراح الذى فى السماء الذى رفع لنبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء بدخله  
كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه آخر ما عليهم وهو بحيال البيت المعمور فى  
الارض وقيل هو البيت الحرام ولا ريب ان كلا منهما معمورا فهذا معمور بالملائكة وعبادتهم  
وهذا معمور بالطائفين والقائمين والركع السجود وعلى كلا القولين فكل منهما سيد البيوت  
ثم اقسام سبحانه بمخلوقين عظيمين من بعض مخلوقاته وهما مظهر آياته وعجائب صنعته  
وهما السقف المرفوع وهو السماء فانها من أعظم آياته قدرا وارتفاعا وسعيا وسماكا ولونا واشراقا

وهي محل ملائكته وهي سقف العالم وبها انتظامه ومحل النيران الذين بهما قوام الليل والنهار والسنين والشهور والايام والصيف والشتاء والربيع والخريف ومنها تنزل البركات واليهما تصعد الارواح واعمالها وكلها فيها الطبيعة والثاني البحر المسجور وهو آية عظيمة من آياته وحجابه لا يصبها الا الله واختلاف في هذا البحر هل هو الذي فوق السموات او البحر الذي نشاهده على قوانين فقالت طائفة هو البحر الذي عليه العرش وبين اعلاه واسفله مسيرة خمسمائة عام كما في الحديث الذي رواه ابو داود من حديث سمك عن عبد الله بن مخيمرة عن الاحنف بن قيس قال كنت بالبصرة في مصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فرت بهم سحابة فنظر اليها فقال ما سمعون هذه قالوا السحاب قال والمزن قالوا او المزن قال والعنان قالوا والعنان قال هل ندرون ما بين السماء والارض قالوا لا ندري قال ان بعد ما بينهما اما واحدة او اثنتان او ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى سبعة سبع سموات ثم فوق السابعة بحر اربعين اسفله واعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم فوق ذلك ثمانية اومال بين اطلاقهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء ثم على ظهورهم العرش ما بين اسفله واعلاه مثل ما بين سماء الى سماء ثم الله فوق ذلك وهذا لا ينساقض ما في جامع الترمذي ان بين كل سمانين مسيرة خمسمائة عام اذا لمسافات تختلف مقاديرها باختلاف المقدرة به فالخمسمائة مقدرة بسير الابل والسبعون بسير البريد وهو يقطع بقدر ما تقطعه الابل سبعة اضعاف وهذا القول في البحر الذي تحت العرش يحكى عن علي بن ابي طالب والثاني انه بحر الارض واختلاف في المسجور فقبل المملوء هذا قول جميع اهل اللغة قال الفراء المسجور في كلام العرب المملوء يقال سحرت الانياء اذا ملأته قال ليلى

فتوسطا عرض المسمى وصدا \* مسجورة متجاوز اقلامها

وقال المبرد المسجور المملوء عند العرب وانشد للفرزدق نولب \* اذا شاء طالع مسجورة \* يريد حينئذ مملوء ماء وكذا قال ابن عباس المسجور المملوء وقال مجاهد المسجور المملوء قال الهيثم البحر ايقادك في التنوير تسجيره مسجور البحر اسم الحطب وهذا قول الضحاك وكعب وغيرهما قال البحر مسجور فيزداد في جهنم وحكى هذا القول عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال مسجور قال الفراء وهذا يرجع الى القول الاول لانك تقول سحرت التنوير اذا ملأته حطباً وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس ان المسجور اليابس الذي قد نضب مأوؤه ذهب وليس لذي الرمة رواية عن ابن عباس غير هذا الحرف وهذا القول اخيار ابي العالية قال ابو زيد المسجور المملوء والمسجور الذي ليس فيه شيء جملة من الاضداد وقد روى عن ابن عباس ان المسجور الملبوس ومنه ساجور الكلب وهو القلادة من حود او حديد قسكه والمعنى على هذا انه ملبوس بقدره الله ان يفيض على الارض فبغيرها فان ذلك مقتضى الطبيعة ان يكون الماء غامراً للارض فوقها كما ان الهواء فوق الماء ولكن امسكه الذي يمسك السموات والارض ان تزولا وفي هذا حديث ذكره احمد مرئوساً ما من يوم الا والبحر يستأذن ربه ان يفرق بين آدم وهذا الموضع مما هدم اصول الملاحدة والدهرية فانه ليس في الطبيعة ما يقتضي حبس الماء عن بعض جوانب الارض مع كون كرة الماء طافية على كرة الارض بالذات ولو فرض ان



في الطبيعة ما يقتضي بروز جوانبها لم يكن فيها ما يقتضي تخصيص هذا الجانب بالبروز دون غيره وما ذكره الطبائفيون والمتفاسفة أن العناية الالهية اقتضت ذلك لمصلحة العالم فتم هو كما ذكرنا ولكن عناية من يفعل بقدرته ومشيئته وهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وهو أحكم الحاكمين غير معقولة فإن العناية الالهية تقتضي حياته وقدرته ومشيئته وعلمه وحكمته ورجته واحسانه الى خلقه وقيام الافعال به فاثبات العناية الالهية مع نفي هذه الامور ممتنع وبالله التوفيق واقتوى الاقوال في المجهور أنه الموقد وهذا هو المعروف في اللغة من المسجور ويدل عليه قوله تعالى واذا البحار سجرت قال علي وابن عباس أوقدت فصارت نارا ومن قال بيست وذهب مأثرا فلا يناقض كونها نارا موقدة وكذا من قال ملئت فانها قلاء نارا واذا اشتهرت اسلوب القرآن ونظمه ومفرداته رايت اللفظة تدل على ذلك كانه فان البحر محبوس بقدرته الله وملوء ماء ويذهب مأثرا يوم القيامة ويضير نارا فكل من المفسرين اخذ معنى من هذه المعاني والله اعلم

**فصل في** واقسم سبحانه بهذه الامور على المعاد والجزاء فقال ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع ولما كان الذي يقع قد يمكن دفعه اخبر سبحانه انه لا دافع له وهذا يتناول امرين احدهما انه لا دافع او وقوعه والثاني انه لا دافع له اذا وقع ثم ذكر سبحانه وقت وقوعه فقال يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا والمور قد فسر بالحركة وفسر بالدوران وفسر بالتوج والاضطراب والتحقيق انه حركة في توج وجهه وتكفو وذهب وبحي ولهذا فرق بين حركة السماء وحركة الجبال فقال وتسير الجبال سيرا وقال واذا الجبال سيرت من مكان الى مكان واما السماء فانها تكفو وتوج وتذهب ونجى قال الجوهرى مارا لشيء مورا ترهيا اي تحرك وجاء وذهب كما تكفو النحلة العبدانة اي الطويلة ومنه قوله يوم تمور السماء مورا قال الضحك توج موجا وقال ابو عبيدة والاختفش تكفو وانشد للاشعث

كان مشيتها من بيت جاريتها \* مور الهابة لاريب ولا عجل

ثم ذكر وعيد المكذبين بالمعاد والنبوة وذكر اعمالهم وعلومهم التي كانوا عليها وهي الخوض الذي هو كلام باطل والعب الذي هو سعي ضائع فلا عمل نافع ولا عمل صالح بل علومهم خوض بالباطل واعمالهم لعب ولما كانت هذه العلوم والاعمال مستلزمة لدفع الحق بعنف ونهر ادخلوا جهنم وهم يدهون اليها وما اى بدفع في اقفينهم واكتافهم دفعا بعد دفع فاذا وقفوا عليها وما ينوها وقفوا وقيل لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون وتقولون لا حقيقة لها ولا من اخبر بها صادق ثم يقال افسحر هذا الاكن كما كنتم تقولون للحق اى جاء تبصركم به الرسل انه سحر وانهم سحرة فهذا الاكن سحر لا حقيقة له كما قلنا ام على ابصاركم غشاوة فلا تبصرونها كما كان عليها غشاوة في الدنيا فلا تبصروا الحق افعيت ابصاركم اليوم عن رؤية هذا الحق كما عيت في الدنيا فلا تبصروا الحق ثم سلب عنهم تقع البصر الذي كانوا في الدنيا اذا دهمتهم الشدائد واحاطت بهم لجثوا اليه ونزلوا بانقضاء البلية لانقضاء امد هان قيل لهم يومئذ اصبروا ولا تصبروا كلاهما واه عليكم لا يجدى عنكم الصبر ولا الجزع فلا الصبر يخفف عنكم حل هذا العذاب ولا الجزع يعطف عليكم

قلوب الخزنة ولا يستنزل لكم الرحمة ثم علموا بأن الرب تعالى لم يظلمهم بذلك وإنما هو نفس أعمالهم صارت عذابا فلم يجدوا من اقترانهم به بدائل صارت عذابا لازما لهم كما كانت ارادتهم وعقائدهم الباطلة وأعمالهم القبيحة لازمة لهم ووزوم العذاب لاهله في النار بحسب لزوم تلك الارادات الفاسدة والعقائد الباطلة وما يترتب عليها من الاعمال لهم في الدنيا فاذا زال ذلك الوزوم في وقت ما بضده وباتوبة النصوح زوالا كلياً لم يعذبوا عليه في الآخرة لان اثره قد زال من قلوبهم والسننهم وجوارحهم ولم يبق له اثر يترتب عليه فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له والمادة الفاسدة اذا زالت مع البدن بالكلية لم يبق هناك ألم ينشأ عنها وان لم تزل تلك الارادة والاعمال ولكن طارضا معارض أقوى منها كان التأثير للمعارض وغلب الأقوى الأضعف وان تساوى الامران ندافعا وقاوم كل منهما الآخر وكان محل صاحبه جبال الاعراف بين الجنة والنار فهذا حكم الله وحكمته في خلقه وأمره ونهيه وعقابه ولا يظلم ربك أحدا

**فصل** ثم ذكر سبحانه أرباب العلوم النافعة والاعمال الصالحة والاعتقادات الصحيحة وهم المتقون فذكر مساكنهم وهم في الجنان وحالهم في المساكن وهو النعيم وذكر نعيم قلوبهم وراحتهم بكونهم قاكين بما آتاهم ربهم والفاكهة المحبوبة بالشيء المسرور المغتبط به وفعله ففكه بالكسري ففكه فهو فكه وفاكهة اذا كان طيب النفس والفاكهة البال ومنه الفاكهة وهي المرح الذي ينشأ عن طيب النفس وتفكهت بالشيء اذا تمتع به ومنه الفاكهة التي يمنع بها ومنه قوله فظلم تفكهون قيل معناه تدمون وهذا تفسير يلزم المعنى وإنما الحقيقة تزيلون عنكم التفكه واذا زال التفكه خلفه ضده يقال تحنت اذا زال الحنث عنه ونخرج ونحوب ونأثم ومنه تفكه وهذا البناء يقال هذا خل في الشيء كتحمل الحمل وللخارج منه كخرج ونأثم والمقصود انه سبحانه جمع لهم بين تعيين نعيم القلب بالتفكه ونعيم البدن بالاكل والشرب والنكاح ووقاهم عذاب الجحيم فوقاهم عابكرهون واعطاهم ما يحبون جزاء وفاقالا لهم تركوا ما يكرهوا وأنوا بما يحب فكان جزاؤهم مطابقا لأعمالهم ثم أخبر عن دوام ذلك لهم بما أفهمه قوله هنيئا لو علموا زواله وانقطاعه لنقص عليهم ذلك نعيمهم ولم يكن هناك لهم ثم ذكر بحالهم وهياتهم فيها فقال متكئين على سرر مصفوفة وفي ذكر اصطفاها تنبيه على كمال النعمة عليهم بقرب بعضهم من بعض ومقابلة بعضهم بعضا كما قال تعالى متكئين عليها متقابلين فان من تمام اللذة والنعيم أن يكون مع الانسان في بستانه ومنزله من يحب معاشرته وبؤثر قربه ولا يكون بعيدا منه قد حبل بينه وبينه بل سريره الى جانب سرير من يحبه وذكر أزواجهم وانهم الحور العين وقد تكرر وصفهم في القرآن بهاتين الصفتين قال ابو حبيدة جعلناهم أزواجا كزوج البعل بالبعل جعلناهم اثنين اثنين وقل يونس قرناهم بهن وليس من علة الزوج والاحتج على هذا بأن العرب لا تقول تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها قال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكمها وفي الحديث زوجتكها بما معك من القرآن وقال غيره العرب تقول تزوجت بامرأة وقال الأزهرى العرب تقول زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس في كلامهم تزوجت بامرأة ومنه قوله تعالى وزوجناهم بحور عين اي قرناهم وعلى هذا فزوجناهم عند هؤلاء من الاقتران والشفع اي شفعاهم وقرناهم بهن وقالت طائفة منهم مجاهد زوجناهم

بهن أي انكسناهم اياهن قلت وعلى هذا فتلويح نعل التزويج قد دل على النكاح وتعديته  
بالباء التضمنة معنى الاقتران والضم فالقولان واحد والله أعلم وأما الحور العين فقال مجاهد  
التي يحار فيها الطرف باديا غسقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كبد احدها  
كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون وقال قتادة بحور أي بيض وكذا قال ابن عباس وقال مقاتل  
الحور البيض الوجوه العين الحسن الامين وعين حوراء شديدة السواد نقية البياض طويلة  
الاهتاب مع سوادها كاملة الحسن ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون  
الجلد فوصفهن بالبياض والحسن والملاحاة كما قال خيرات حسان قال بياض في الوانهن  
والحسن في وجوههن والملاحاة في عيونهن وقد وصف الله سبحانه نساء أهل الجنة بأحسن  
الصفات ودل بما وصف بما مكنت عنه فان شئت التفصيل فالذي يحمى ويستحب من وجه المرأة  
ويدينها واختلافها البياض في أربعة اشياء اللون وبياض العين والفرق والثغر والسواد في  
أربعة سواد العين وسواد شعر الرأس والجفن وسواد الحاجبين والحرمة في أربعة اللسان  
والشفتين والوجنتين وحرة تشوب البياض فتحسنه وتزينه ومن التدوير أربعة اشياء  
الوجه والرأس والكعب والمقعد ومن الطول أربعة القامة والعنق والشعر والحاجب  
والسعة في أربعة الجبهة والعين والوجه والصدر ومن الصغر في أربعة الثدي والفم  
والكف والقدم ومن الطيب في أربعة الفم والانف والفرق والفرج ومن الضيق في موضع  
واحد ومن الاخلاق كما قال تعالى مرأيا أترابا اذا العرب جمع عروب وهي المرأة المنحبة الى  
زوجها بأخلاقها ولطافتها وشمائلها قال ابن الاثير العروب من النساء المطيعة لزوجها  
المنحبة اليه وقال أبو عبيدة هي الحسنة التبعيل قال المبردي العاشقة لزوجها وقال البخاري في صحيحه  
هي الغيبة ويقال الشكلة فهذا وصف اخلاقهن وذلك وصف خلقهن وأنت اذا تأملت  
الصفات التي وصفهن الله بها رأيتهم مستلزمة لهذه الصفات ولما وراءها والله المستعان

فصل في ثم أخبر سبحانه عن تكميل نعيمهم بالحق ذرياتهم بهم في الدرجة وان لم يعملوا  
أعمالهم لتقرأ عينهم بهم ويتم سرورهم وفرحهم وأخبر سبحانه انه لم ينقص الآباء من عملهم من  
شيء بهذا الاخلاق فينزلهم من الدرجة العليا الى الدرجة السفلى بل ألحق الابناء بالآباء  
ووفر على الآباء أجورهم ودرجاتهم ثم أخبر سبحانه ان هذا انما هو فعله في أهل الفضل واما  
أهل العدل فلا يفعل بهم ذلك بل كل امرء بما كسب رهين ففي هذا دفع لتوهم التسوية بين الفريقين  
بهذا الاخلاق كما في قوله وما ألتناهم من عملهم من شيء دفع لتوهم حط الآباء الى درجة الابناء  
وقسمه أجور الآباء بينهم وبين الابناء فينقص أجور أعمالهم فرفع هذا التوهم بقوله وما ألتناهم من  
عملهم من شيء أي ما نقصناهم ثم ذكر امدادهم بالعم والفاكهة والشراب وانهم يتعاطون  
كؤوس الشراب بينهم يشرب أحدهم ويناووك صاحبه ليتيم بذلك فرحهم وسرورهم ثم  
نزه ذلك الشراب عن الآفات من الغو من أهله عليه ولحوق الاثم لهم فقال لا يغوفها  
ولا تأثم فتنى بالغو السباب والتخاصم والهجر والفحش في المقال والعريضة ونفى بالتأثم  
جميع الصفات الذمومة التي أثمرت شارب الخمر وقال سبحانه ولا تأثم ولم يقل ولا اثم أي  
ليس فيها ما يحملهم على الاثم ولا يؤثم بعضهم بعضا بشربها ولا يؤثمهم الله بذلك ولا الملائكة

فلأبلغون ولا يأتون قال ابن قتيبة لا يذهب بمقولاتهم فيلغوا وكم يقع منهم ما يؤثمهم ثم وصف  
خدمهم الطائفة عليهم بأنهم كالؤلؤ في باضهم والمكنون المصون الذي لا تدنسه الأيدي  
فلم تذهب الخدمة تلك المحاسن وذلك اللون والصفاء والبهجة بل مع اتصاليهم لخدمتهم  
كأنهم لؤلؤ مكنون ووصفهم في موضع آخر إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منشورا في ذكرة  
المنثور إشارة إلى تفرقهم في حوائج ساداتهم وخدمتهم وذهابهم ومجيبهم وسعة المكان بحيث  
لا يحتاجون أن ينضم بعضهم إلى بعض فيه لضيقه ثم ذكر سبحانه ما يتحدثون به هناك وإنهم  
يقولون أنا كنا قبل في أهلنا مشفقين أي كنا خائفين في محل الأمن بين أهل والأقارب  
والعشائر فأوصلنا ذلك الخوف والاشفاق إلى أن من الله علينا فأمننا مما نخاف ووقانا عذاب  
السموم وهذا ضد حال الشقي الذي كان في أهله مسرورا فهذا كان مسرورا مع أسائه  
وهؤلاء كانوا مشفقين مع أحسانهم فبدل الله سبحانه أشفائهم بأعظم الأمن وبدل أمن أولئك  
بأعظم المخاوف فبالله سبحانه المستعان ثم أخبر عن حالهم في الدنيا وإنهم كانوا يعبدون الله فيها  
فأوصلهم عبادته وحده إلى قرب وجواره ومحل كرامته والذي جع لهم ذلك كله بره  
ورحمته فإنه هو البر الرحيم فهذا هو المقسم عليه بتلك الأقسام الخمسة في أول السورة والله أعلم  
**فصل** ومن ذلك قوله والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالقسمات  
أمرا أقسم بالذاريات وهي الرياح تذروا المطر وتذروا التراب وتذروا النبات إذا نهشم كما قال  
نعماني فأصبح هشيما تذروه الرياح أي تفرقه وتشره ثم بما فوقها وهي السحاب الحاملات وقرا  
أي تقلا من الماء وهي روايا الأرض يسوقها الله سبحانه على متون السحاب الرياح كما في  
جامع الترمذي من حديث الحسن عن أبي هريرة قال بينما نبي الله صلى الله عليه وسلم  
جالس في أصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما هذا  
قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا العنان هذه روايا الأرض يسوقها الله تبارك ونعالى إلى قوم  
لا يشكرونه ولا يدعونه ثم أقسم سبحانه بما فوق ذلك وهي الجاريات يسرا وهي النجوم التي  
من فوق الغمام ويسرا أي مسخرة مذلة منقادة وقال جماعة من المفسرين أنها السفن تجري  
ميسرة في الماء جريا سهلا ومنهم من لم يذكر غيره واختار شيخنا رحمه الله القول الأول وقال هو  
أحسن في الترتيب والانتقال من السافل إلى العالي فإنه بدأ بالرياح وفوقها السحاب وفوقه  
النجوم وفوقها الملائكة المقسمات أمرا الذي أمرت به بين خلقه والصحيح أن المقسمات  
أمرا الاختصاص بأربعة وقيل هم جبريل يقسم الوحي والعذاب وأنواع العقوبة على من  
خالف الرسل وميكائيل على القطر والبرد والتلج والنبات يقسمها بأمر الله وملك الموت يقسم  
المنايين الخلق بأمر الله واسرافيل يقسم الأرواح على أبدانها عند النفخ في الصور وهم المدبرات  
أمرا وليس في اللفظ ما يدل على الاختصاص بهم والله أعلم وأقسم سبحانه بهذه الأمور الأربعة  
لمكان العبرة والآية والدلالة الباهرة على ربوبيته ووحدانيته وعظم قدرته في الرياح من  
العبر به وبها وسكونها ولينها وشدتها واختلاف طبائعها وصفاتها ومهابها وتصريفها وتنوع  
منافعها وشد الحاجة إليها فالمطر خمسة رياح ريح ينشر سحابه وريح يؤلف بينه وريح  
تلقه وريح تسوقه حيث يريد الله وريح تذروا أمامه وتفرقه والنبات ريح والسفن ريح والرحمة

ريح والعذاب ريح الى غير ذلك من انواع الرياح وذلك تقتضى بوجود خالق مصرف لها  
مدبر لها وبصرفها كيف يشاء ويجعلها رخاء نارة وحاصفة نارة ورجة نارة وعذابا نارة  
فتارة بمحي بها الزرع والثمار وتارة يغطيها بها وتارة ينجي بها السفن وتارة يهلكها بها وتارة  
ترطب الابدان وتارة تذيبها وتارة هقيما وتارة لاقحة وتارة جنوبا وتارة دهورا وتارة صبا  
وتارة شمالا وتارة حارة وتارة باردة وهى مع غاية قوتها الطفشى وأقبل المخلوقات لكل  
كيفية سريرة التأثير والتأثير لطيفة المسارق بين السماء والارض اذا قطع عن الحيوان الذى  
على وجه الارض هلك كبحر الماء الذى اذا فارقه حيوان الماء هلك بحبسها الله سبحانه  
اذا شاء ويرسلها اذا شاء تحمل الاصوات الى الاذن والرائحة الى الانف والهباب الى الارض  
الجزروهى من روح الله تأنى بالرجة ومن عقوبته تأنى بالعذاب وهى أقوى خلق الله كما رواه  
الترمذى فى جامعه من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله  
الارض جعلت تميد فخلق الجبال فقال بها عليها فاستقرت فعببت الملائكة من شدة الجبال  
وقالوا يارب هل من خلقك شئ أشد من الجبال قال نعم الحديد قالوا يارب فهل من خلقك شئ  
أشد من الحديد قال نعم النار قالوا يارب فهل من خلقك شئ أشد من النار قال نعم الماء قالوا يارب فهل  
من خلقك شئ أشد من الماء قال نعم الريح قالوا يارب فهل من خلقك شئ أشد من الريح قال نعم ابن آدم  
تصدق بصدقة يمينه يخفيها من شماله ورواه الامام أحمد فى مسنده وفى الترمذى فى حديث  
قصة عاد انه لم يرسل عليهم من الريح الا قدر حلقة الخاتم فلم تذر من شئ أتت عليه الا جعلته  
كالريم وقد وصفها الله بأنها غاية قال البخارى فى صحيحه هنت على الخزنة فلم يستطيعوا ان  
يردوها والمقصود أن الرياح من أعظم آيات الرب الدالة على عظمته وربوبيته وقدرته  
فصل فى أقسام الهباب وهو من أعظم آيات الله فى الجوفى غاية الخف ثم يحمل الماء  
والبرد فيصير أثقل شئ فىأمر الرياح فيحمله على متونها وتسير به حيث أمرت فهو مسخر  
بين السماء والارض حامل لارزاق العباد والحيوان فاذا أفرغه حيث أمر به اضمحل وتلاشى  
بقدره الله فانه لو بقى لأضر النبتات والحيوان فأنشأ سبحانه فى زمن يصلح انشاؤه فيه وحله  
من الماء ما يحمل به وساقه الى بلد شديد الحاجة اليه فسل الهباب من أنشأ بعده عدمه وحله  
الماء والتلج والبرد ومن حله على ظهور الرياح ومن أمسكه بين السماء والارض بغير عساد  
ومن أفاض بقطره العباد واحيى به البلاد وصرفه بين خلقه كما أراد وأخرج ذلك القطر  
بقدر معلوم وأترله منه وافناه بعد الاستغناء عنه ولو شاء لادامه عليهم فلم يستطيعوا الى دفعه  
سبيلا ولو شاء لأمسكه عنهم فلا يجدون اليه وصولا فان لم يحببك جوارح بابك اعتبار الرسل  
الرياح من أنشأها بقدرتها وصرفها بحكمته ومخبرها بمشيئته وارسلها بشرايين يدي رحته جعلها  
سببا لتقام نعمته وسلطانا على من شاء يعقوبته ومن جعلها رخاء وذارية ولاقحة ومثيرة ومؤلفة  
ومغذية لابنان الحيوان والشجر والنبات وجعلها قاصفا وحاصفا ومهلكة وطانية الى غير  
ذلك من صفاتها فهل ذلك لها من نفسها وذاتها ام تدبير مدبر شهدت الموجودات برؤيته  
واقرت المصنوعات بوحديته يده النفع والضرر ولما خلقها بالامر تبارك الله رب العالمين  
وسل الجاريات سيرا من السفن من أمسكها على وجه الماء ومخبر لها البحر ومن أرسل لها الرياح

التي تسوقها الى الماء سوق السحاب على متون الرياح ومن حفظها في مجراها ومرسأها  
من طغيان الماء وطغيان الريح فمن الذي جعل الريح لها بقدر لو زاد عليها لا تخرقها ولو نقص عنه  
لعاقها ومن الذي أجرى لها ريحا واحدة نسير بها ولم يسلط على تلك الريح ما يصادمها أو يبقاؤها  
فتتوج في البحر يمينا وشمالا تتلاعب بها الريح ومن الذي علم الخلق الضعيف صنعة هذا  
البيت العظيم الذي يمشى على الماء فيقطع المسافة البعيدة ويعود الى بلده يشق في الماء ويمخره  
مقبلا ومدبرا بريح واحدة تجري في موج كالجبال ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ان يشأ  
يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور أو يوقن  
بما كسبوا ويعفو عن كثير ومن الذي جد في هذا البيت نبيه وأولياءه خاصة وأغرق جميع  
أهل الأرض سواهم وصل الجاريات يسرا من الكواكب والشمس والقمر ومن الذي خلقها  
وأحسن خلقها ورفع مكانها وزين بها قبة العالم وقلوب بين أشكالها ومقاديرها وألوانها  
وحرارتها وأما كنهها من السماء فمنها الكبير ومنها الصغير والمتوسط والابيض والاحمر والزجاجي  
اللون والدرى اللون والمتوسط في قبة الفلك والمنطرف في جوانبها وبين ذلك ومنها ما يقطع  
الفلك في شهر ومنها ما يقطعه في عام ومنها ما يقطعه في ثلاثين عاما ومنها ما يقطعه في أضعاف  
ذلك ومنها ما لا يزال ظاهرا لا يغيب بحال فهو أبدي ومنها أبدي الخفاء ومنها ماله حالتان  
ظهور واختفاء ومنها ماله حركتان حركته هرضبة من المشرق الى المغرب وحركة ذاتية  
من المغرب الى المشرق فخال ما يأخذ الكوكب في الغروب فاذا كوكب آخر في مقابلته وكوكب  
آخر قد طلع وهو أخذ في الارتفاع والنصاع وكوكب آخر في الربع الشرقي وكوكب آخر  
في وسط السماء وكوكب آخر قد مال من الوسط وآخر قد دنا من الغروب وكان رقبته ينتظر  
بطلوعه غيبته وأنت اذا تأملت أحوال هذه الكواكب وجدتها تدل على المعاد كاندل  
على المبدأ وتدل على وجود الخالق وصفات كماله وربوبيته وحكمته ووحدانيته أعظم دلالة  
وكمدل على صفات جلاله ونعوت كماله دل على صدق رساله فكما جعل الله النجوم هداية  
في طريق البر والبحر فهي هداية في طرق العلم بالخالق سبحانه وقدرته وعلمه وحكمته والمبدأ  
والمعاد والنبوة ودلائلها على هذه المطالب لا تنقص من دلائلها على طرق البر والبحر بل دلائلها  
للعقول على ذلك أظهر من دلائلها على الطرق الحسية فهي هداية في هذا وهذا

فصل في أمادلالة المقسمات أمراهم الملائكة فلا تمان ما يشاهد من تدبير العالم العلوي والسفلي  
وما لا يشاهد انما هو على أيدى الملائكة قال رب تعالى يدبر بهم امر العالم وقد وكل بكل عمل من الاعمال  
طائفة منهم فوكل بالشمس والقمر والنجوم والافلاك طائفة منهم ووكل بالقطر والسحاب طائفة  
ووكل بالنبات طائفة ووكل بالاجنة والحيوان طائفة ووكل بالموت طائفة وبمحفظي آدم طائفة  
وباحصاء اعمالهم وكتابتها طائفة وبالوحى طائفة وبالجمال طائفة وبكل شأن من شؤون العالم طائفة  
هذا مع ما في خلق الملائكة من البهاء والحسن وما فيه من القوة والشدة ولطافة الجسم  
وحسن الخلقة وكمال الانقياد لامره والقيام في خدمته وتنفيذ أوامره في اقطار العالم ثم اقسام  
سبحانه بهذه الامور على صدق وعده ووفوع جزائه بالثواب والعقاب فقال انما توعدون  
لصادق أي ما توعدون من امر الساعة والثواب والعقاب لخلق كائن وهو وعد صدق

لا كذب وان الدين لو اقع أى ان الجزاء لكائن لا محالة ويحـوز ان تكون مامو صولة والعائد  
مـذوق والمعنى ان الذى نوءـدونه لصادق أى كائن وثابت وان تكون مصـدريه أى ان  
وعدكم لخلق وصدق ووصف الوعد بكونه صادقا ابلغ من وصفه بكونه صدقا ولا حاجة  
الى تكلف جعله بمعنى مصدوقا فيه بل هو صادق نفسه كما يوصف المتكلم بأنه صادق  
في كلامه فوصف كلامه بأنه صادق وهذا مثل قولهم سركاثم وليل قائم ونهار صائم وماء  
دافق ومنه عيشة راضية وليس ذلك بمجاز ولا محال لمقتضى التركيب واذا تأملت  
هذا التناسب والارتباط بين المقسم به والمقسم عليه وجدته دالا عليه مرشدا اليه ثم اقدم  
سبحاته بالاسماء ذات الحبك اصل الحبك في اللغة اجادة النسيج يقال حبك الثوب  
اذا اجاد نسجه وحبل محبوك اذا كان شديد القتل وفرس محبوك الكفل أى مدبجه وقال سهر  
المحبوك في اللغة ما اجيد عمله ودابة محبوكة اذا كانت مدبجة الخلقى وقال ابو عبيدة والمبرد  
الحبك الطريق واحدها حباك وحباك الحمام طرائق على جناحيه وحبك الماء طريقه  
وقال الفراء الحبك تكسير كل شئ كالرمل اذا مررت به الريح والماء الدائم اذا مررت به الريح  
وتجمد الشعر حبك ايضا واحدها حبيكة مثل طريقه وحباك مثل مثال ومثل  
والمقصود بهذا كله ما افصح به ابن عباس فقال يريد الخلق الحسن وروى سعيد بن جبـير  
عنه قال الحبك حسنها واستواؤها وقال فتادة ذات الخلق الشديد وقال مجاهد متقنة  
البنيان وقال ايضا ذات الطرائق ولكنها بعيدة من العباد فلا يرونها كحبك الماء اذا ضربته  
الريح وكحبك الرمل وكحبك الشعر وقال حكرمة يبينها كالبرد المسلسل قلت وفي الحديث  
في صفة الدجال شراعه حبك أى جمع الشعر ومن أحسن ما قيل في تفسير الحبك ما ذكره  
الترمذى في تفسير الجامع من حديث الحسن عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال هل ندرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم قال فانها الرقع سقف محفوظ ومـوج  
مكفوف وذكر الحديث

فصل ثم ذكر المقسم عليه فقال انكم لى قول مختلف يؤفك عنه من أفك فالتـول  
المختلف أقوالهم في القرآن وفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو خرس كله فانهم لما كذبوا بالخلق  
اختلفت مذاهبهم وآراؤهم وطرائقهم وأقوالهم فان الخلق شئ واحد وطريق مستقيم فن  
خالفه اختلفت به الطرق والمذاهب كما قال تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر مريج  
أى مختلط ملتبس وفي ضمن هذا الجواب انكم في أقوال باطلة متناقضة يكذب بعضها  
بعضا بسبب تكذيبهم بالحق ثم اخبر سبحانه أنه يصرف بسبب ذلك القول المختلف من  
صرف فمن ههنا فيها طرق من معنى التسبيب كقوله وما نحن بتاركي آلهتنا عن  
قولك وقوله من أفك أى من سبق في علم الله انه يضل ويؤفك كقوله فانكم وما تعبدون ما انتم  
عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وقالت طائفة الضمير يرجع الى القرآن وقيل الى الايمان وقيل  
الرسول والمعنى يصرف عنه من صرف حتى يكذب به ولما كان هذا القول المختلف خرسا  
وباطلا قال قتل الخراصون أى المكذبون الذين هم في غمرة ساهون وجهـالة قد غر قلوبهم  
أى غطاها وغشاها كغمرة الماء وغمرة الموت فغمرات ما غطاها من جهل أو هوى أو سكر



أو غفلة أو حب أو بغض أو خوف أو غم ونحو ذلك قال تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا أي غفلة وقيل جهالة ثم وصفهم بأنهم ساهون في غمرتهم والسهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه والفرق بينه وبين النسيان أن النسيان الغفلة بعد الذكر والمعرفة والسهو لا يستلزم ذلك ثم قال يستلون أيان يوم الدين استبعادا للوقوع وجمدا فأخبر تعالى أن ذلك يومهم على النار يفتنون والمشهور في تفسير هذا الحرف أنه بمعنى يحرفون ولكن لفظة على تعطى معنى زائدا على ما ذكره ولو كان المراد نفس الحرف لقبل يومهم في النار يفتنون وله هذا لما لم هؤلاء ذلك قال كثير منهم على بمعنى في كما تكون بمعنى على والظاهر أن فتنتهم على النار قبل فتنتهم فيها لهم عند عرضهم عليها ووقوفهم عليها فتنة وعند دخولهم والتعذيب بها فتنة أشد منها فهم ومن جعل الفتنة ههنا من الحريق أخذ من قوله تعالى إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا واستشهدوا على ذلك أيضا بهذه اللفظة التي في الذاريات وحقيقة الأمر أن الفتنة تطلق على العذاب وسببه وله هذا سمي الله الكفر فتنة فهم لما أنوا بالفتنة التي هي أسباب العذاب في الدنيا سمي جزاءهم فتنة وله هذا قال ذو قوا فتنكم وكان وقوفهم على النار وعرضهم عليها من أعظم فتنهم وآخر هذه الفتنة دخول النار والتعذيب بها ففتنوا أولا بأسباب الدنيا وزينتها ثم فتنوا بارسال الرسل إليهم ثم فتنوا بمخاض الفتنة وتكذيبهم ثم فتنوا بعذاب الدنيا ثم فتنوا بعذاب الموت ثم يفتنون في موقف القيامة ثم إذا حشروا إلى النار وقفوا عليها وعرضوا عليها وذلك من أعظم فتنهم ثم الفتنة الكبرى التي أنستهم جميع الفتن قبلها

فصل في ثم ذكر سبحانه جزاء من خلص من هذه الفتن بالتقوى وهو الجنات والعيون وأنهم آخذون ما آتاهم ربهم من الخير والكرامة وفي ذلك دليل على أمور منها قبولهم له ومنها إرضاهم به ومنها وصولهم إليه بلا مانع ولا معاقق ومنها أن جزاءهم من جنس أعمالهم فكما أخذوا من أمرهم به في الدنيا وقابلوه بالرضا والتسليم وانشرح الصدر أخذوا ما آتاهم من الجزاء كذلك ثم ذكر السبب الذي أوصلهم إلى ذلك وهو أحسانهم المتضمن لعبادته وحده لا شريك له والقيام بحقوقه وحقوق عباده ثم ذكر إيلهم وأنهم قليل هجوعهم منه وقد قيل إن ما نافية والمعنى ما يهجعون قليلا من الليل فكيف بالكثير وهذا ضعيف لوجوه أحدها أن هذا ليس بالأمر الوصف المتقين الذين يستحقون هذا الجزاء الثاني أن قيام من نام من الليل نصفه أحب إلى الله من قيام من قامه كله الثالث أنه لو كان المراد بذلك أحياء الليل جميعه لكان أولى الناس بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قام ليلة حتى الصباح الرابع أن الله سبحانه إنما أمر رسوله أن يتعبد بالقرآن من الليل لافي الليل كله فقال ومن الليل فتعبد به الخامس أنه سبحانه لما أمره بقيام الليل في سورة المزمل إنما أمره بقيام النصف أو التقصان منه أو الزيادة عليه فذكر له هذه المراتب الثلاثة ولم يذكر قيامه كله السادس أنه صلى الله عليه وسلم لما بلغه عن عثمان بن مظعون أنه لا ينام من الليل بعث إليه فجاء فقال يا عثمان أرغبت عن مني قال لا والله يا رسول الله ولكن ستك أطلب قال فاني انام وأصلي وأصوم وأفطر وانكح النساء فأتى الله يا عثمان فان لاهلك عليك حقا

وان اضيفك عليك حقا وان لنفسك عليك حقا فصم وافطر وصل ونم ولما بلغه من زينة  
بنت جمش أنها تصل الليل كله حتى جعلت حبلا بين ساريتين اذا فترت تعلقت به أنكر  
ذلك وأمر بحله السابع أن الله أنى عليهم بأنهم كانت تجمش في وتلقى عنها حتى يقوموا الى  
الصلاة واهـ اذا جازاهم من هذا الجمش في الذي سببه قلبي القلب واضطرابه حتى يقوم الى  
الصلاة بقرة الا عين الثامن أن المحاسبة الذين هم أول وأولى من دخل في هذه الآية لم  
يفهموا منها عدم نومهم بالليل أصلا فروى بحير بن سعد عن سعيد عن قتادة عن أنس في  
قوله كانوا قليلين من الليل ما يهجعون قال كانوا يصلون ما بين المغرب والعشاء التاسع أن في  
هـذا التقرير تكبيـ كما في الكلام وتقدما للمعمول العامل المنفي عليه لانه يجعل قليلا مفعول  
يهجعون وهـ ومن في والبصريون لا يجيزون ذلك وان أجازة الكوفيون وفصل  
بعضهم فأجازة في الظرف ولم يجزه في غيره

فصل في وقيل ما زائدة وخبر كان يهجعون وقليلا منصوب اما على المصدرية أى  
هجموا قليلا واما على الظرف أى زمنا قليلا واستشكل هذا بأن نوم نصف الليل وقيام  
ثلثه ثم نوم سده أحب القيام الى الله فيكون وقت الهجوع أكثر من وقت القيام فكيف  
يبنى عليهم بما الأنفل خلافه وأجيب عن ذلك بأن من قام هذا القيام فز من هجموعه أقل  
من زمن يقظته قطعا فانه مستبـ ظ من المغرب الى العشاء ومن الفجر الى طلوع الشمس  
فيبقى ما بين العشاء الى طلوع الفجر فيقومون نصف ذلك الوقت فيكون زمن الهجوع  
أقل من زمن الاستيقاظ وقيل ما مصدرية وهى في موضع رفع بقليل أى كانوا قليلين هجموعهم  
وهو قول الحسن وقيل انها موصولة بمعنى الذى والعائد محذوف أى قليل من الليل  
الوقت الذى يهجعون وفيه تكلف وقيل ما يهجعون بدل اشتغال من اسم كان والنعـ دبر كان  
هجموعهم من الليل قليلا ويرد عليه أن من الليل متعلق يهجعون ومعمول المصدر لا ينعـ دم  
عليه وأجيب عنه أنه منصوب على التفسير ومعناه أن يقدر له فعل محذوف ينصبه مفسره  
هذا المذكور وقليلا خبر كان ونم الكلام بذلك والمعنى كانوا صنفين أو جنسا قليلا ثم قال من  
الليل ما يهجعون واصحاب هذا القول يجعلون ما نافية فيعود الكلام الى نفي هجموعهم شيئا  
من الليل وقد تقدم ما فيه ثم اخبر عنهم بأنهم مع صلاتهم بالليل كانوا يستغفرون الله عند السحر  
فختتموا صلاتهم بالاستغفار والتوبة فباتوا لربهم سجدا وقياما ثم نابوا اليه واستغفروه  
عقيب ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا لم من صلاته استغفر ثلاثا وأمره الله سبحانه  
أن يختتم عمره بالاستغفار وأمر عباده أن يختتموا افاضتهم من عرقات بالاستغفار وشرع  
صلى الله عليه وسلم للمتوضي أن يختتم وضوءه بالتوبة فأحسن ما ختمت به الاعمال التوبة  
والاستغفار ثم اخبر سبحانه عن احسانهم الى الخلق في مع اخلاصهم لربهم فجمع لهم بين  
الاخلاص والاحسان ضد الذين هم براؤن ويمنعون الماعون وأكد اخلاصهم في هذا  
الاحسان بأن مصرفه للمساائل والمحروم الذى لا يقصد باعطائه الجزاء منه ولا الشكور  
والمحروم المتعفف الذى لا يسأل وتأمل حكمة الرب تعالى في كونه حرمه بقضائه وشرع لاصحاب  
الجداء اعطائه وهو أغنى الاغنياء واجود الاجودين فلم يجمع عليه بين الحرمان بالقدر وبالشرع

شرع عطاءه بأمره وحرمة بقدرته فلم يجمع عليه حرمانين

فصل ثم ذكرهم سبحانه بآياته الأفقية والفضائية فقال وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون فأيات الأرض أنواع كثيرة منها خلقها وحدوثها بعد عدمها وشواهد الحدوث والافتقار إلى الصانع عليه السلام لا يحمد فانها شواهد قائمة بها ومنها بروز هذا الجانب فيها من المانع كون مقتضى الطبيعة ان يكون مغمورا به ومنها سمعها وكبر خلقها ومنها تسطحها كما قال تعالى وإلى الأرض كيف سطحت ولا ينافي ذلك كونها كثيرة فهي كرة في الحقيقة لها سطح يستقر عليه الحيوان ومنها انه جعلها فراشا لتكون مقر الحيوان ومساكنه وجعلها اقارارا وجعلها اهادا وجعلها اذوا لا توطأ بها الاقدام وتضرب بالعاول والنفوس وتحمل على ظهرها الابنية الثقال فهي ذلول مسخرة لما يريد العبد منها وجعلها بساطا وجعلها كفاتا الاحياء تضمنهم على ظهرها والاموات تضمنهم في بطنها وطعامها فدها وبسطها ووسعها ودحاها فتهيئها لما يراد منها بأن اخرج منها ماءها ومرطابها وشقي فيها الانهار وجعل فيها السبل والنجاسات ومنه يجعلها مهادا وفراشا على حكمته جعلها الله ساكنة وذلك آية اخرى اذ لا دمامة تحتمل ثقلها ولا علاقة فوقها ولكنها لما كانت على وجه الماء كانت تكفأ فيه تكفأ السفينة فاقضت العناية اللازمة والحكمة الالهية ان وضع عليها رواء يثبتها به التلاقيد وتستقر عليها الانام وجعلها اذولا على الحكمة في أن لم تكن في غاية الصلابة والشدّة كالحديد فيمتنع حفرها وشقها والبناء فيها والغرس والزرع وبعث النوم عليها والمشي فيها ونبيه بكونها قرارا على الحكمة في أنها لم تختلف في غاية اللين والرخاوة والدمامة فلا تمك بنا ولا يستقر عليها الحيوان ولا الاجسام الثقيلة بل جعلها بين الصلابة والدمامة وأشرف الجواهر عند الانسان الذهب والفضة والياقوت والزمرد فلو كانت الأرض من هذه الجواهر لفاتت مصالح العباد والحيوان منها وتعللت المنافع المقصودة منها وبهذا يعلم ان جواهر التراب اشرف من هذه الجواهر وأنفع وأبرك وان كانت تلك اعلى وأحر فغلاؤها وحزنها لقلتها والافا لثواب انفع منها وأبرك وأنفس وكذلك لم يجعلها شفافة فان الجسم الشفاف لا يستقر عليه النور وما كان كذلك لم يقبل الضخونة فيبقى في غاية البرد فلا يستقر عليه الحيوان ولا يتأني فيه النبات وكذلك لم يجعلها صقيلة برافة لئلا يحترق علم بسبب انعكاس اشعة الشمس كما يشاهد من احتراق القطن ونحوه عند انعكاس شعاع الجسم الثقيل الشفاف فاقضت حكمته سبحانه ان جعلها كثيفة خيرا فصلمت ان تكون مستقرا للحيوان والانام والنبات ولما كان الحيوان الهوى لا يمكنه ان يعيش في الماء كالحيوان المائي ابرز له جانبها كما تقدم وجعله على أوفق الهيئات لمصالحه وانشا منها طعامه وقوته وكذلك خلق منها النوع الانساني وأطاعه اليها وبخرجه منها

فصل ومن آياتها أن جعلها مختلفة الاجناس والصفات والمنافع مع أنها قطع مجاورات متلاصقة فهذه سهلة وهذه حزنة تجاورها وتلاصقها وهذه طيبة تثبت وتلاصقها أرض لا تثبت وهذه ريفة وتلاصقها رمال وهذه صلبة وتلاصقها ويلها رخوة وهذه سوداوية يلها أرض بيضاء وهذه حصي كها وبجوارها أرض لا يوجد فيها حجر وهذه تصلح لنبات كذا وكذا وهذه لا تصلح له

بل تصلح لغيره وهذه سبخة مالحه وهذه بضدها وهذه ليس فيها جبل ولا معلم وهذه مسجرة بالجبال وهذه لا تصلح الا على المطر وهذه لا ينفعها المطر بل لا تصلح الا على سقى الانهار فيمطر الله سبحانه الارض البعيدة ويسوق الماء اليها على وجه الارض فلو سألنا من نوعها هذا التنوع ومن فرق اجزاءها هذا التفريق ومن خصص كل قطعة منها بما خصها به ومن ألقى عليها رواسيها وقح فيها السبل وأخرج منها الماء والمرعى ومن أمسكها عن الزوال ومن بارك فيها وقدر فيها اقواتها وأنشأ منها حيوانا ونباتا ومن وضع فيها معادن وأجواهرها ومنافعها ومن هبها مسكنا ومستقرا للانام ومن يبدأ الخلق منها ثم يعيده اليها ثم يخرجها منها ومن جعلها ذلولا لغير مستعينة ولا ممتلئة ومن وطأ منا كبرا وذل مسالكها ووسع مخارجها وشق أنهارها وأبنت أشجارها وأخرج ثمارها ومن صدعها عن النبات وأودع فيها جميع الاقوات ومن بسطها وفرشها ومهدا وذللها وطحاها ودحاها وجعل ماعليها زينة لها ومن الذي يمسكها ان تتحرك فتزازل فيسقط ماعليها من بناء ومعلم او ينحسفها بمن عليها فاذا هي تمور ومن الذي أنشأ منها النوع الانساني الذي هو أبداع المخلوقات وأحسن المصنوعات بل أنشأ منها آدم ونوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وأنشأ منها اوليائه واحبيائه وعبياده الصالحين ومن جعلها حافظة لما استودع فيها من المياه والارزاق والمعادن والحيوان ومن جعل بينها وبين الشمس والقمر هذا القدر من المسافة فلو زادت على ذلك لضعف نأثرها بحرارة الشمس ونور القمر فتعطلت المنفعة الواصلة الى الحيوان والنبات بسبب ذلك ولو زادت في القرب لاشتدت الحرارة والسخونة كما نشاهده في الصيف فاحترقت أبدان الحيوان والنبات وبالجمل فكانت نفوت هذه الحكمة التي بها انتظام العالم ومن الذي جعل فيها الجنات والحدائق والعيون ومن الذي جعل باطنها بيوتا للاموات وظاهرها بيوتا للاحياء ومن الذي يحييها بعد موتها فينزل عليها الماء من السماء ثم يرسل عليها الريح وبطلع عليها الشمس فتأخذ في الحبل فاذا كانت وقت الولادة مخضت الوضع واهتزت وأبنتت من كل زوج بهيج فسبحان من جعل السماء كالأب والارض كالأم والقطر كالأم الذي ينعد منه الولد فاذا حصل الحب في الارض ووقع عليه الماء أثرت نداوة الطين فيه وأمانتها السخونة الخفية في باطن الارض فوصلت الندوة والحرارة الى باطن الحبة فأنسعت الحبة وربت وانتضحت وانتقلت عن ساقين ساق من فوقها وهو النجرة وساق من تحنها وهو العرق ثم عظم ذلك الولد حتى لم يبق لآبيه نسبة اليه ثم وضع من الاولاد بعدد آياته آلافا مؤاندة كل ذلك صنع الرب الحكيم في حبة واحدة لعلها تبلغ في الصغر الى الغاية وذلك من البركة التي وضعها الله سبحانه في هذه الام فيا لها من آية تكفي وحدها في الدلالة على وجود الخالق وصفاته كآله وافعاله وعلى صدق رساله فيما أخبر وابه عنه باخراج من في القبور ليوم البعث والنشور فتأمل اجتماع هذه العناصر الاربعة ونجاورها وامتزاجها وحاجة بعضها الى بعض وانفعال بعضها من بعض ونأثيره فيدوت أثره به بحيث لا يمكنه الاتباع من التأثر والانفعال ولا يستقل الآخر بالتأثير ولا يستغنى عن صاحبه وفي ذلك أظهر دلالة على انها مخلوقة مصنوعة مبروبة مدبرة حادثة بعد عدمها فقيرة الى موجد خفي عنها مؤثر غير متأثر قديم غير حادث نقاد المخلوقات كلها لقدرة وتجبب داعي مشيئته

وتلج داعي وحدايته وربوبيته وتشهد بعلمه وحكمته ونذعو عباده الى ذكره وشكره  
وطاعته وعبوديته ومحبه ونحدرهم من بأسه وتقمته ونحشهم على المبادرة الى رضوانه ووجته  
فانظر الى الماء والارض كيف لما أراد الرب تعالى امتزاجهما وزدواجهما انشأ الريح فحركت  
الماء وساقته الى ان قدفته في عمق الارض ثم أنشأ لها حرارة لطيفة سماوية وحصل بها  
الانبات ثم أنشأ لها حرارة أخرى اقوى منها حصل بها الافتتاح وكانت حاله الاولى  
تضعف عن الحرارة الثابتة فادخرت الى وقت قوته وصلابته فحرارة الربيع للاخراج وحرارة  
الصيف للانضاج هذا وان الام واحدة والاب واحد واللقاح واحد والاولاد في غاية  
التباين والتنوع كما قال تعالى وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل  
صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك  
لايات لقوم يعقلون فهذا بعض آيات الارض ومن الآيات التي فيها وقائمه سبحانه التي اوقعها  
بالام المكذبين لرسولهم المخالفين لامره وأبقى آثارهم دالة عليهم كما قال تعالى وماذا وعد  
وقد تبين لكم من مساكنهم وقال في قوم لوط وطوانكم لترون عليهم مصعبين وباليل أفلاتعقلون  
وقال تأخذتهم الصبحه مشرقين فجعلنا مالبها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في  
ذلك لايات للمؤمنين وانها بسبيل مقبم اى بطريق ثابت لا يزول عن حاله قال وان كان  
اصحاب الايكة اظالمين فأتقننا منهم وانهم ابا امام مبین اى ديار هاتين الامتين بطريق  
واضح يمر به السالكون وقال تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف  
فعلنا بهم وقال عن قوم عاد فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم وقال ألم بهداهم كم اهلكنا من قبلهم  
من القرون يمشون في مساكنهم هأى دلالة رجل يخرج وحده لاعدته ولا عدد ولا مال  
فيدعو الامة العظيمة الى توحيد الله والايان به ووطاعته ونحدرهم من بأسه وتقمته وتنفي كلهم  
او اكثرهم على تكذيبه ومعاداته فنذكرهم انواع العقوبات الخارجة عن قدرة البشر فتفرق  
المكذبين كلهم نارة ونحسف بغيرهم الارض نارة وبهلك آخرين بالريح وآخرين بالصبحه  
وآخرين بالمسخ وآخرين بالحجارة وآخرين بظلمة من النار من فوقهم وآخرين بالصواعق  
وآخرين بأنواع العقوبات وينجو داعيهم ومن معه والهالكون اضعاف اضعافهم  
هددا وقوة ومنعة واموالا

فيا لك من آيات حق لو اهتدى \* بهن مرید الحق لیكن هو ادیا

واكن على تلك القلوب اكنة \* فلیست وان اضعفت نجیب المنادیا

فهل امتنعوا ان كانوا على الحق وهم اكثرهم عددا واقوى شوكة بقوتهم وعددهم من بأسه  
وسلطانه وهلا اعتصموا من عقوبته كما اعتصم من هو اضعف منهم من اتباع الرسل ومن الآيات  
التي في الارض مما بحمدته الله فيها كل وقت مما يصدق رسوله فيما اخبرت به فلا تزال آيات الرسل  
واملام صدقهم وأدلة نبوتهم بحمدته الله سبحانه وتعالى في الارض اقامة الحجج على من لم يشاهد  
تلك الآيات التي قاربت عصر الرسل حتى كأن اهل كل قرن يشاهدون ما يشاهدونه  
الاولون او لانظيره كما قال سبحانه آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وهذه الارادة  
لا تختص بقرن دون قرن بل لا بد ما يرى الله سبحانه اهل كل قرن من الآيات ما يبين لهم انه الله الذي

لا اله الا هو وان رساله صادقة ونوآيات الارض اعظم مما ذكرنا اكثر نبيه باليسير منها على الكثير  
 فصل ثم قال وفي انفسكم افلا تبصرون لما كان اقرب الاشياء الى الانسان نفسه دطاء خالقه  
 وباريه ومصوره وقطره من قطرة ماء الى التبصر والتفكير في نفسه فاذا تفكر الانسان في نفسه  
 امتنارت آيات الربوبية وسطعت له انوار اليقين واضمحلت عنه غمرات الشك والريب وانقشعت  
 عنه ظلمات الجهل فانه اذا نظر في نفسه وجد آثار التدبير فيه قائمات وأدلة التوحيد على ربه  
 ناطقات شاهدة لمديره دالة عليه مرشدة اليها اذ يجده مكوّنا من قطرة ماء حلوا منضدة وعظاما  
 مركبة واوصالا متعددة مأسورة مشددة بحبال العروق والاعصاب قد سقطت وشدت ووجعت  
 بجلد متين مشتمل على ثلاث مائة وستين مفصلا ما بين كبير وصغير ونخين ودقيق ومستطيل  
 ومستدير ومستقيم ومنحن وشدت هذه الاوصال ثلاث مائة وستين عرقا لا اتصال والاتصال  
 والقبض والبسط والمد والضم والصنائع والكتابة وجعل فيه تسعة أبواب فبابان للسمع وبابان  
 للبصر وبابان للشم وبابا لظهور الكلام والطعام والشراب والتنفس وبابان لخروج الفضلات  
 للذي يؤذى احتباسها وجعل داخل بابي السمع مراقنا لا ثلاث لا يلج فيها دابة تخاص  
 الى الدماغ فتؤذيه وجعل داخل بابي البصر مالحا لا ثلاث لا تذيب الحرارة الدائمة  
 ما هناك من الشحم وجعل داخل باب الطعام والشراب حلوا لا يسبغ به ما يأكله ويشربه  
 فلا يتنفس به لو كان مرا أو مالحا وجعل له مصباحين من نور كاسراج المضي مركبين  
 في أعلى مكان منه وفي أشرف عضو من أعضائه طبيعة له وركب هذا النور في جزء صغير جدا  
 يبصر به السماء والارض وما بينهما وخشاوة بسبع طبقات وثلاث رطوبات بعضها فوق بعض  
 حامية له وصيانة وحراسة وجعل على محله خلقة مصرعين اعلا واسفل وركب في ذيل المصراعين  
 اهدابا من الشعر وقاية للعين وزينة وجمالا وجعل طرف فوق ذلك كله حاجبين من الشعر  
 يحجبان العين من الفرق النازل وبلنقيان عنها ما ينصب من هناك وجعل سبحانه لكل طبقة  
 من طبقة العين شغلا مخصوصا ولكل واحد من الرطوبات مقدار مخصوصا لو زاد على ذلك  
 أو نقص منه لاختلت المنافع والمصالح المطلوبة وجعل هذا النور الباصر في قدر عدسة ثم  
 أظهر في تلك العدسة صورة السماء والارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والاعمال العلوي  
 والسفلي مع اتساع اطرافه وتباها دق طاره واقتضت حكمته سبحانه ان يجعل فيها باضا وسودا  
 وجعل القوة الباصرة في السواد وجعل البياض مستقر لها ومسكنها وزين كلا منهما بالآخر  
 وجعل الحدقة مصونة بالاجفان والحواجب كما تقدم والحواجب بالاهداب وجعلها سودا  
 اذ لو كانت بيضا لتفرق النور الباصر فضف الادراك فان السواد يجمع البصر ويمنع من تفرق  
 النور الباصر وخلق سبحانه لحرريك الحدق وتقليبها اربعا وعشرين عضلة لو نقصت عضلة  
 واحدة لاختل أمر العين ولما كانت العين كالمرآة التي انما تنطبق فيها الصور اذا كانت في  
 غاية الصقالة والصفاء جعل سبحانه هذه الاجفان متحركة جدا بالطبع الى الانطباق  
 من غير تكلف لتبقى هذه المرآة نقية صافية من جميع الكدورات ولهذا لما لم يخلق لعين الذبابة  
 اجفانا لاتزال تراها تنظف عينها يدها من آثار القبار والكدورات  
 فصل وكما جعل سبحانه العينين مؤديتين للقلب ما يريانه فهو صلاته اليه كما تراه جعلهما

مرآة القلب يظهر فيهما ما هو مودع فيه من الحب والبغض والخير والشر والبلادة والفطنة والزيف والاستقامة فيستدل باحوال العين على احوال القلب وهو احد انواع الفراسة الثلاثة وهي فراسة العين وفراسة الاذن وفراسة القلب فالعين مرآة للقلب وطلبة ورسول ومن عجيب امرها انها من الطلغ الاعضاء وابعد هاتين اثرا بالحر والبر دعلى أن الدهن على صلابتها وحافظها ايتا ثر بهما اكثر من تأثر العين على لطافتها وليس ذلك بسبب الغطاء الذي عليها من الاجفان فانها ولو كانت منقصة لم تتأثر بذلك تأثر الاعضاء اللطيفة

**فصل** ومن ذلك الاذنان شقهما تبارك وتعالى في جانبي الوجه واودعهما من الرطوبة ما يكون معينا على ادراك السمع واودعهما القوة السمعية وجعل سبحانه في هذه الصدفة انحرافات واحوجاجات لتطول المسافة قليلا فلا يصل الهواء الا بعد انكسار حده فلا يصدمها واحدة فيؤذيها وايضا قليلا يفجأها الداخل اليها من الديدب والحشرات بل اذا دخل الى حوجة من تلك الانعطافات وقف هناك فسهل اخراجه وكانت العينان في وسط الوجه والاذنان في جانبيه لان العينين محل الملاحظة والزينة والجمال وهما بمنزلة النور الذي يمشى بين يدي الانسان وايضا مكان جعلهما في الجانبين ليكون ادراكهما لما خلف الانسان وامامه وعن يمينه وعن شماله سواء فتأثر في المسموعات اليهما على نسبة واحدة وخلقت العينان بغطاء والاذنان بغير غطاء وهذا في غاية الحكمة اذ لو كان للاذنين غطاء لمنع الغطاء ادراك الصوت فلا يحصل الا بعد ارتقائهم الغطاء والصوت عرض لاثباته فكان يزول قبل كشف الغطاء بخلاف ما تراه العين فانه اجسام واصراض لا تزول فيما بين كشف الغطاء وقطع العين وجعل سبحانه الاذن عضوا غضروفييا ليس بلحم مسترخ ولا عظم صلب بل هي بين الصلابة واللين فتقبل بليتها وتحفظ بصلابتها ولا تصدع انصداع العظام ولا تتأثر بالحر والبرد والشمس والسموم تأثر اللحم اذ المصلحة في بروزها لتتلقى ما يرد عليها من الاصوات والاعخبار

**فصل** ومن ذلك الانف نصبه سبحانه في وسط الوجه قائما معتدلا في احسن شكل واوقعه للمنفعة واودعه حاسة الشم التي يدرك بها الارائح وانواعها وكيفياتها ومنافعها ومضارها ويستدل بها على مضار الاغذية والادوية ومنافعها وايضا فانه ينشق بالمخبرين الهواء البارد الرطب فيؤديه الى القلب فيتروح به فيستغنى بذلك عن قبح الفم أبدا وجعل تجويفه بقدر الحاجة فلم يوسع من ذلك فيدخله هواء كثير ولم يضيقه فلا يدخله من الهواء ما يكفيه وجعل ذلك الجوف مستطبلا لينحصر فيه الهواء ويشكس برده وحدته قبل ان يصل الى الدماغ فلو لا ذلك لصدمه بحدته وقوته والهواء الذي يستنشقه الانف ينقسم شطرين شطرا يصعد الى الدماغ وشطرا ينزل الى الرئة وهو اكثر من آلات النطق فانه امانة على تقطيع الحروف وكما أن تجويفه جعل لاستنشاق الهواء فانه جعل مصبا لفضلات الدماغ فيصدر منه في تلك القصبة فيخرج فيستريح الدماغ وذلك جعل عليها ستر ولم يجعلها بارزة فتستقبها العيون وجعل فيها تجويفا فانه قد ينسد احدهما او يعرض له آفة تمنعه من الادراك والاستنشاق فيبقى التجويف الثاني قائما عند عمله كما اقتضت



الحكمة مثل ذلك في العينين ثم تأمل الهواء الذي يستنشقه هناك الأنف كيف يدخل اولاً من  
 المنخرين وينكمس برده هناك ثم يصل الى الخلق فيعتدل مزاجه هناك ثم يصل الى الرئة اللطيفة  
 ما يكون ثم تبعثه الرئة الى القلب فيروح من الحرارة الغريزية التي فيه ثم ينفذ من القلب  
 الى العروق المتحركة ويبلغ الى أقاصى اطراف البدن ثم اذا سخن في الباطن وخرج عن  
 حد الانتفاع من تلك الاقاصى الى البدن ثم الى الرئة ثم الخلقوم ثم الى المنخرين خارجاً فيخرج منهما  
 ويعود موضعه هواء بارد نافع والنفس الواحد من انفس العبد اغايبهم بمجموع هذه الامور  
 والقوى والافعال وهو في اليوم واليلة أربعة وعشرون الف نفس لله في كل نفس عدة نعم  
 قد وقف على القليل منها فاطنك بما وراء النفس من الاعضاء والقوى ومنافعها وقام النعمة بها  
 فصل في واما الفم فعمل العجائب وباب الطعام والشراب والنفس والكلام ومسكن  
 اللسان الناطق الذي هو آلة العلوم وترجمان القلب ورسوله المؤدى عنه ولما كان القلب  
 ملك البدن ومعدن الحرارة الغريزية فاذا دخل الهواء البارد وصل اليه فاعتدلت حرارته  
 وبقي هناك ساعة فسخن واحترق فاحتاج القلب الى دفعه واخراجه فجعل احكام الحاكمين  
 اخراجه سبباً لحدوث الصوت في الخجيرة والحنك واللسان والشفيتين والاسنان مقاطع  
 ومخارج مختلفة بسبب اختلافها تميزت الحروف بعضها عن بعض ثم ألهم العبد تركيب  
 تلك الحروف ليؤدى بها عن القلب ما يأمربه فتأمل الحكمة الباهرة حيث لم يضع سبحانه  
 ذلك النفس المستغنى المحتاج الى دفعه واخراجه بل جعل فيه اذا استغنى عنه منفعة ومصلحة  
 هي من اكل المنافع والمصالح فان المقصود الاصلى من النفس هو اتصال الشم البارد  
 الى القلب فاما اخراج النفس فهو جار مجرى دفع الفضلة الفاسدة فصرف ذلك سبحانه الى  
 رعاية تصلحه ومنفعة اخرى فجعله سبباً للاصوات والحروف والكلام ثم انه سبحانه جعل  
 الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة لتختلف الاصوات باختلافها  
 فلا يشابه صوتان كما لا تشابه صورتان وهذا من اظهر الادلة فان هذا الاختلاف الذي بين  
 الصور والاصوات على كثرتها وتعددتها فقل ما يشبه صوتان أو صورتان ليس في الطبيعة  
 ما يقضي به وانما هو صنع الله الذي اتقن كل شئ واحسن كل شئ خلقه فتبارك الله رب  
 العالمين واحسن الخالقين غير سبحانه بين الاشخاص بما يدركه السمع والبصر

فصل في وأودع اللسان من المنافع منفعة الكلام وهي أعظمها ومنفعة الذوق  
 والادراك وجعله دليلاً على اعتدال مزاج القلب وانحرافه كما جعله دليلاً على استقامته واعدوا جاجه  
 فترى الطبيب يستدل بما يبدو البصر على اللسان من الخشونة والملاسة واليباض والحمرة  
 والتشقق وغيره على حال القلب والمزاج وهو دليل قوي على احوال المعدة والامعاء كما يستدل  
 السامع بما يبدو عليه من الكلام على ما في القلب فيبدو عليه صحة القلب وفساده بمعنى وصورة  
 فصل في وجعل سبحانه اللسان عضواً لاجزاء الاعضاء فيه ولا عصب اتسهل حركته  
 ولهذا لا يجد في الاعضاء من لا يكثر بكثرة الحركة سواء فانه أى عضو من الاعضاء حركته كما تحرك  
 اللسان لم يعطك لذلك ولم يلبث ان بكل ويخلو الى السكون الا اللسان وايضاً فانه من أعدل  
 الاعضاء والطفها وهو في الاعضاء بمنزلة رسول الملك ونائبه فزاجه من أعدل أمزجة البدن

وبحتاج الى قبض وبسط وحركة في اقاصى الفم وجوانبه فلو كان فيه عظام لم ينتهيا منه ذلك ولم ينتهيا منه الكلام التام ولا الذوق التام فكونه كما اقتضاء السبب الفاعلى والفاعل والله اعلم  
 فصل وجعل سبحانه على اللسان خلقين أحدهما الاسنان والثانى الفم وجعل حركته اختيارية وجعل على العين غطاء واحدا ولم يجعل على الاذن غطاء وذلك بخاطر اللسان وشرفه وخطر حركته وكونه في الفم بمنزلة القلب في الصدر وذلك من اللطائف ان آفة الكلام اكثر من آفة النظر وآفة النظر اكثر من آفة السمع فجعل للاكثر آفات طبقتين والمتوسط طبقة واحدة لئلا يلقى آفة بلا طبقة

فصل وجعل سبحانه الفم اكثر الاعضاء رطوبة والريق يتحمل اليه دائما لا يفارقه وجعله حلوا لاما لحا كما العين ولا مراً كالذى في الاذن والاعفنا كالذى في الانف بل هو عذب مياه البدن واحلاها حكمة بالغة فان الطعام والشراب يخسأ طه بل هو الذى يحيل الطعام ويمزج به امتزاج العجين بالماء فلولانه حلوا لما التذالانسان بل والحى وان بطعام ولا شراب ولا ساغه الا على كره وتغيبص ولما كان كثير من الطعام لا يمكن حيله الا بعد طبخه جعل الرب تعالى له آلة لقطع والتفصيل وآلة للطحن فجعل آلة القطع وهى الشاوي وما يليها حادة الرأس ليسهل بها القطع وجعل النواجذ وما يليها من الاضراس مسطحة الرأس عريضة ليتأنى بها الطحن ونظمها احسن نظام كالواو والمنظم فى ذلك وجعلها من الجانب الاعلى والاسفل ليتأنى بها القطع والطحن وجعلها من الجانب الايمن والايسر اذ رجا كات احدى الاكتفين او تعطلت او عرض لها عارض فينتقل الى الآلة الاخرى وايضا لو كان العمل على جانب واحد دائما أو شك أن يتعطل ويضعف وتأمل كيف أنبتها سبحانه من نفس اللحم وتخرج من خلاله نابتة كما نبت الزرع فى الارض ولم يكسها سبحانه لحما كسائر العظام سواها اذ لو كسها اللحم لتعطلت المنفعة المقصودة ولما كانت العظام محتاجة الى لحم يكسوها ويحفظها ويلتقى عنها الحرارة والبرد ويحفظ عليها رطوبتها لم تكمل مصلحة الحيوان الا بهذه الكسوة ولما كانت عظام الانسان محتاجة الى ذلك من وجه مستغنية عنه من وجه جعلت كسوتها منفصلة عنها وجعلت هى المكتسبة العارية لتتام المنفعة بذلك ولما كانت آلة القطع والكسر والطحن لم تشأ مع الطفل من اول نشأة كسائر عظامه لعدم حاجته اليها فعطل عنها وقت استغنائها عنها بالرضاع واعطى بها وقت حاجته اليها وفيه حكمة أخرى وهى أنه لو نشأت معه من حين يولد لاضرت بحلمة الثدي اذ لا عقل له يحرزه عن عضها فكانت الام تمتنع من رضاعه ومن عجيب أمرها الاتفاق والموا الة التى بينها وبين المعدة فانه يسلم اليها الشئ اليابس والصلب فتطحنه ثم تسلمه الى اللسان فيعجنه ثم يسلمه الى الحلق فيوصله الى المعدة فتنضجه وتطبخه ثم يرسل اليها منه معلومها المقدر لها فاذا هجرت عن قطع شئ وطحنه هجرت المعدة عن انضاجه وطبخه واذا اكلت الاسنان كات المعدة واذا ضعفت ضعفت وهى تصعب الانسان وتخدمه ما لم يرها فاذا وقت عينه عليها فارقه الابد وهى ملاح ومنشار وسكين وروح وزينة وفيها منافع ومصالح غير هذه

فصل ثم تأمل حال الشعر ومنبته وسببه فان البدن لما كان حار رطبا والحرارة اذا عملت فى الرطوبة فلا بد أن تثير بخارا وتلك البخيرة تنصاعد من عمق البدن الى سطحه ويزايد

الانفصال من هناك فلا بد أن يحدث مسامو منافذ في ظاهر الجلد وتلك الابخرة اما أن تكون رطبة لطيفة فحينئذ تنفصل من المسام ولا تحدث شيئا واما أن تكون دخانية يابسة غليظة فالجلد حينئذ اما أن يكون في نهاية النعومة والنضارة كجلد الصبيان أو في غاية اليبس والفشف أو يكون معتدلا فاذ ذاك لا يتولد فيه الشعر لان البخار اذا شق سطح الجلد وانفصل ما بالجلد في الحال الى اتصاله الاول بسبب كثرة رطوبته ونعومته مثله السمك اذا رفع رأسه من الماء انشقق له الماء فاذا ما دالى الماء ما دام الماء الى اتصاله الاول وكذلك نشاهد الاشياء الرطبة كالنشاء مثلا اذا أغلى فخرج البخار من موضع الغليان طادت الرطوبة الى الموضع الذي خرج منه ذلك البخار فسدته فان كان الجلد في غاية اليبس لم يتولد الشعر لان الجلد اليابس اذا انتقب بقيت تلك النقب مفتوحة ليبس الجلد فيفرق أجزاء البخار ولا يجتمع بعضها الى بعض فان الجلد متوسط بين النعومة والكثافة فانه ينفتح فيه المسام بسبب تلك الابخرة ولا يعود يفسد بعد خروج البخار ولكن لانبقى المسام شديدة الانفتاح حينئذ يبقى ذلك البخار الدخاني في تلك الثقبة لا يزال يده بخار آخر يدفعه أولا فاولا الى خارج من غير ان ينقطع اصله فيبقى بعضه مكرورا في الجلد منزلة منزلة اصل النبات وبعضه يطلع الى خارج منزلة منزلة مساقي النبات وكذلك هو الشعر فمادته الشعر هو البخار الدخاني اليابس وسببه هو الحرارة الطبيعية المحرقة لذلك البخار والآلة التي بها يتم امره هي المسام التي ارتكبت فيها البخار فتلبد هناك فصار شعرا باذن الله تعالى والغاية التي لاجلها وجد شيئا واحدا هما طام وهو تقيية البدن من الفضول الدخانية الغليظة والاخر خاص وهو اما للزينة واما الوقاية واذا بان الشعر انما يتولد مع الحرارة واليبس المعتدل بقيت ثلاثة اقسام احدها حرارة خالصة على اليبس كالصبيان الثاني عكسه وهو يبس غالب على الحرارة كالمشايخ الثالث حرارة ضعيفة ويبس ضعيف كأبدان النساء ففي هذه الاقسام يقل الشعر واما الشباب فان حرارة ابدانهم ويبسهم معتدل فيقوى تولد الشعر فيهم وفي شعر الرأس منافع ومصلح منها وقاينه من الحر والبرد والمرض ومنها الزينة والحسن السبب الذي صار به شعر الرأس اكثر من شعر البدن ان البخار شأنه ان يصعد من جميع البدن الى الدماغ ومن الدماغ الى فوق وكان هذا الشعر ناميا على الدوام لان البخار يتصاعد الى الرأس ابدا وهو مادة الشعر فينبهما الشعر ينمو والبخار وكان فيه تخلص للبدن من تلك المواد وتكثير اوقايته وغطائه

**فصل في** واما شعر الحاجبين ففيه مع الحسن والزينة والجمال وقاية العين فيما ينحدر من الرأس وجعل هذا المقدار قلو نقص عنه لزال منفعه الجمال والوقاية ولو زاد عليه لغطى العين واضربها وحال بينها وبين ما تدركه وقد ذكرنا منفعه شعر الهدب ولما كان الانفع والاصلح ان يكون شعر الهدب قائما منتصبا وان يكون باقيا على حال واحد في مقدار واحد جعل منبت هذا الشعر في جرم صلب شبيه بالغضروف يمتد في طول الجفن ثلاثا بطول وينمو وهذا كما نشاهد النبات الذي ينبت في الارض الرخوة اللينة كيف يطول ويزداد والذي ينبت في الارض الصخرية الصلبة لا ينمو الاغوا يسيرا فكذلك الشعر النابت في الاعضاء اللينة الرطبة فانه سريع النمو كشعر الرأس والعانة

**فصل** في وأما شعر اللحية ففيه منافع منها الزينة والوقار والهيئة ولهذا لا يرى على الصبيان والنساء من الهيئة والوقار ما يرى على ذوي اللحية ومنه التمييز بين الرجال والنساء فإن قيل لو كان شعر اللحية زينة لكان النساء أولى به من الرجال لحاجتهم إلى الزينة وكان التمييز يحصل بخلو الرجال منه وإمكان أهل الجنة أولى به وقد ثبت أنهم جرد مرد قيل الجواب أن النساء لما كن محل الاستمتاع والتقبيل كان الأحسن والأولى خلوهن عن اللحية فإن محل الاستمتاع إذا خلا عن الشعر كان أتم ولهذا المعنى والله أعلم كان أهل الجنة مردا ليكمل استمتاع نسائهم بهم كما يكمل استمتاعهم بهم وأيضاً فإنه أكشف لمحاسن الوجوه فإن الشعر يستر ما تحته من البشرة إن عيس بشرة المرأة والله أعلم بحكمته في خلقه

**فصل** في وأما شعر العانة والأبط والأنف فنفعتها تنقية البدن عن الفضلة ولهذا إذا أزيل من هذا الموضع وجد البدن خفة ونشاطاً وإذا وفر وجد ثقلًا وكسلًا وغماً ولهذا جاءت الشريعة بحلق العانة وتنف الأبط وكان حلق العانة أولى من تنفها لصلافة الشعر وتأذي صاحبها بفتفه وكان تنف الأبط أولى من حلقه لضعف الشعر هناك وشدته وتجهله بالحلق فجاءت الشريعة بالانفع في هذا وهذا

**فصل** في وتأمل حكمة الرب تعالى في كونه أخلاً للكافرين والجبهة والأخصيين من الشعر فإن الكافرين خلقا حاكين على الملوسات فلم يحصل الشعر فيهما لاخل بذلك وخلقا للقبض والصاق اللحم على المقبوض أهون على جودته من التصاق الشعر به وإيضاً فإنهما آله الأخذ والعطاء والاكل ووجود الشعر فيهما يخل بتمام هذه المنفعة وأما الأخصيان فلم يثبت الشعر فيهما لاضرر الماشي وإماقه في المشي كثيراً مما يعلق شعره مما على الأرض ويتعلق شعره بما عليها أيضاً هذا مع أن كثرة الأوتار والأغشية في الكافرين مانع من نفوذ الأنجرة فيها وأما الأخصيين فإن الأنجرة تصاعد إلى علو وكل ما تصاعد كان الشعر أكثر وأيضاً في كثرة وطء الأرض بالأخصيين يصلبها ويجعل سطحها أملس لا يثبت شيئاً كما أن الأرض التي توطأ كثيراً لا تثبت شيئاً وأما الجبهة فلم يثبت الشعر عليها لستر محاسنها وإظلم الوجه وتدلى على العين وكان يحتاج إلى حلقه دائماً ومنع العينين من كمال الإدراك والسبب المؤدى لذلك أن الذي تحت عظم الجبهة هو مقدم الدماغ وهو بارد رطب والبحار لا تتحرك منحرفاً إلى الجبهة بل صاعداً إلى فوق فإن قيل لم يثبت شعر الصبي على رأسه وحاجبيه واجفانه معه مع الصغر دون سائر الشعور قبل لشدة الحاجة إلى هذه الشعور الثلاثة أوجدها الله سبحانه معه وهو جنين في بطن أمه فإن شعر الرأس كالغطاء الواقف له من الآفات والاهتداب والأجفان وقاية للعين فإن قيل فلم يثبت له اللحية إلا بعد بلوغه قيل لأنه عند البلوغ يجتمع الحرارة في بدنه وتكون أقوى ما هي ولهذا يعرض له في مثل هذا الطور البثرات والدمل وكثرة الاحتلام وإذا كثرت الحرارة كثرت الأنجرة بسبب التهلل وزادت على القدر المحتاج إليه في شعر الرأس فصرفها أحكم الحساكين إلى نبات اللحية والعانة وإيضاً فإن بين أوعية المنى وبين اللحية ارتباط إذا العروق والمجاري متصلة بينهما فإذا تعطلت أوعية المنى ويهدمت تعطل شعر اللحية وإذا قلت الرطوبة والحرارة هناك قل شعر اللحية وله هذا الخصيان لا يثبت لهم لحى فإن قيل فما العلة في الكوسج قيل برد مزاجه

ونقصان حرارته فان قيل فما السبب في الصلح قيل عدم احتباس الانخزة في موضع الصلح فان قيل فلم كان في مقدم الرأس دون جوانبه ومؤخره قيل لان الجزء المقدم من الرأس بسبب رطوبة الدماغ يكون أكثر لياناً وتحللاً فتصل الفضلات التي يكون منها الشعر فلا يبقى للشعر مادة هناك فان قيل فلم يحدث في الاصداع قيل ان الرطوبة في الاسفل أكثر منها في الاعلى وشاهده الارض العالية والمنخفضة فان قيل فلم تصلح المرأة الانادرا وكان الاصلح في الرجال أكثر قيل لان الاصل يحدث من يبس في الجلد بمنزلة احتراقه وذلك لقوة الحرارة والنساء طارطوية والبرودة أغلب عليهن ولهذا جلودهن أرطب من جلود الرجال فالانحطاف جلود رؤسهن فلا يعرض لهن الصلح ولهذا لا يعرض للصبيان وان عرض للمرأة صلح فذلك في من يبسها وبلوغها من الكبر عتيا فان قيل فما السبب في شدة - واد الشعر قبل شدة البخارات الخارجة من البدن واعتدالها وصحة مادة كخضرة الزرع فان قيل ما سبب الصهوبة قبل برد المزاج فتضعف الحرارة عن صبغ الشعر وتسويده فان قيل ما سبب الشقرة والحجرة قبل زيادة الحرارة فتصبغ الشعر ولهذا تجد الشقرة أشد حرارة وأكثر حركة وهمية فان قيل فما سبب البياض قبل البياض نومان احدهما طبيعي وهو الشيب والثاني خارج عن الطبيعة وهو ما يوجد في أواخر الامراض المجففة بسبب تحلل الرطوبات كما يعرض للنبات عند الجفاف فان قيل فما سبب الطبيعي قيل اختلف في ذلك فقالت طائفة سببه الاصلحالة الى لون الباهم بسبب ضعف الحرارة في أبدان الشيوخ وقالت طائفة سببه ان الغذاء الصائر الى الشعر يصير باردا بسبب نقصان الحرارة ويكون بطيئ الحركة مدة تعوده الى المسام واصطلحت طائفة بين القولين وقالوا العلة في الامر بين واحدة وسببها نقصان الحرارة فان قيل فلم اختص الشيب بالانسان من بين سائر الحيوان قيل لحم الانسان وجلده رخولين وجلود الحيوانات ولحومها أقوى وأصلب فلما غلظت مادة الشعر فيها لم يعرض له ما يعرض لشعر الانسان ولهذا يكون شعرها كلها معها من حين ولادتها بخلاف الانسان وأيضاً فان الانسان يستعمل المطاعم المركبة المتنوعة وكذا المشارب ويتناول أكثر من حاجته فتجتمع فيه فضلات كثيرة فتدفعها الطبيعة الى ظاهر البدن فادامت الحرارة قوية فانها تقوى على احراق تلك الفضلات فيتولد من احراقها الشعر الاسود فاذا بلغ الشيخوخة ضعفت الحرارة وهجرت عن احراق تلك الفضلات فتعمل فيها عملاً ضعيفاً وأما سائر الحيوانات فلا تتناول الاغذية المركبة وتتناول منها على قدر الحاجة فلا يشيب شعرها كما يشيب شعر الانسان وأيضاً فان في زمن الشيخوخة يكون أقل حرارة وأكثر رطوبة فيتولد والحيوانات فالبس غالب عليها فان قيل فلم كان سبب تشيب الاصداع في الأكثر مقدماً على غيره قيل لقرب هذا الموضع من مقدم الدماغ والرطوبة في مقدم الدماغ كثيرة لان الموضع مفصل والمفصل يجتمع فيه الفضلة الكثيرة فيكثر البرد هناك فيسرع الشيب فان قيل فلم يسرع الشيب في شعور الخصبان والنساء فليبرد مزاجهن في الاصل ولا اجتماع الفضلات الكثيرة فيهن وأما الخصبان فلتوافر المنى على أبدانهم يصير دهم غليظاً بلغمياً ولهذا لا يحدث لهم الصلح فان قيل فلم كان شعر الابط لا يبيض قبل قوة حرارة هذا الموضع بسبب قرب من القلب ومنامه كثيرة بلغمية لانها تتحلل

بالعرق الدائم فان قيل فلم أبطأ يساخص شعر العانة قيل لان حرصكة الجماع تحمل الباهم  
الذي في مسامه فان قيل فلم كانت الحيوانات تتبدل شعورها كل سنة بخلاف الانسان  
قيل لضعف شعورها عن الدوام والبقاء بخلاف شعر آدمي فان قيل فاسبب الجمودة  
والسبوطه قيل اما الجمودة من شدة الحرارة او من التواء المسام فالذي من شدة الحرارة فانه يعرض  
منه الجمودة كما يعرض الشعر عند تعرضه على النار وأما الذي لالتواء المسام فلان البخار  
يضعفه لا يقدر ان ينفذ على الاستقامة فيلتوى في المنافذ فتحدث الجمودة فان قيل فما السبب  
في طول شعر الميت واطفاره بعد موته اذ ابقى مدة قيل عنه جوابان أحدهما أنها لا تطول ولكن  
لما ينقص ما حولها بطن أنها زادت الثاني وهو اصبوب أن ذلك الطول من الفضلات البخارية  
التي تحمل وهلة من الميت فبتمدهمها الشعر والظفر فان قيل فلم كان المريض وخاصة المحموم  
ينقص لحمه ويزيد شعره قيل ان في المرض تكثر الفضلات فتكون الشعور والاطفار فيها  
ويثقل الغذاء فيذوب اللحم واما في الصحة فنقل الفضلات فلا تحتاج الطبيعة الى الغذاء وهضمها  
واذا قلت الفضلات تغذت مادة الشعر فيبطئ فان قيل فالعلة في انتصاب شعر الخائف  
والقرون حتى يبقى كشعر القنفذ قبل العلة فيه أن الجلد ينقبض ويتجمع المسام على الشعر  
وتتضيق عليه فينتصب فان قيل فلم انتصب شعر البدن والحية والحيوان فان قيل فلم كان  
كثرة الجماع تزيد في شعر الحية والجسد وينقص من شعر الرأس والاجفان قيل لان الشعر فيه  
ما يكون طبيعيا من اول الخلقة كاللحية وسائر شعر البدن والاول يكون من قوة الحرارة الاصلية  
والثاني من قوة الحرارة الخارجية فلا جرم نقصت بسببه الشعور الاصلية وقرت العرضية  
فان قيل فلم كان الشعر في الانسان في الجزء المقدم اكثر منه في المؤخر وباقي الحيوانات بالعكس  
قيل لان الشعر انما يكون حيث تكون الحرارة قوية ويكون تحمل الجلد اكثر وهذا في الانسان  
في ناحية الصدر والبطن واما جلدة الظهر فتكثف واما ذوات الاربع ففي الخلف شعورها اكثر  
لان البخار فيها يرقى الى الخلف وأن تلك المواضع هي التي تلقي الحار والبرد فتحتاج الى وقاء اكثر  
فان قيل فلم كان الرأس بالشعر احق الاعضاء وبنائه اكثر قيل لان البخار يتصاعد ويطلب جهة  
الفوق وهو الرأس ولا تستطيل هذا الفصل فان امر الشعر من السمات والفضلات وهذا شأنه  
فما الظن بغيره من الاجزاء الاصلية فاذا كانت هذه قليلة من كثير من حكمة الرب تعالى في الشعور  
ومواضعها ومنافعها فكيف يحكمته في الرأس والقلب والكبد والصدر وغيرها ولا تضجر  
من ذلك فان الخلق فيه من الفقه والحكم نظير ما في الامر فالرب تعالى حكيم في خلقه وامره وبحب  
من يفقهه عنه عند ذلك ويستدل على كمال حكمته وعلمه ولطفه وتديره فاذا كان لم  
يضع هذه الفضلات سدى فما الظن بغيرها

فصل في ونحن تذكر فصلا مختصرا في حال الانسان في مبدئه الى نهايته ليجعله مرآة له  
ينظر فيها قول خالقه وباريه وفي أنفسكم أفلا تبصرون لما اقتضى كمال الرب تعالى جل جلاله  
وقدرته التامة وعلمه المحيط ومشيتته النافذة وحكمته البالغة تنويع خلقه من المواد المتباينة  
وأنشأهم من الصور المختلفة والتباين العظيم بينهم في المواد والصور والصفات والهيئات  
والاشكال والطبائع والقوى اقتضت حكمته أن اخذ من الارض قبضة من التراب ثم ألقى عليها

الماء فصارت مثل الجمأ المسنون ثم ارسل عليها الريح فجففها حتى صارت صلصالا كالقحار  
ثم قدر لها الاعضاء والمفاذ والواصلات والرطوبات وصورها بأبداع في تصويرها واظهرها  
في احسن الاشكال وفصلها احسن تفصيل مع اتصال اجزاءها وهياكل جزء منها لما اراد  
منه وقدره لما خلق له على ابلغ الوجوه ففصلها في توصلها وابدى في تصويرها وتشكيلها  
واللائكة تراها ولا تعرف ما يراد منها وابليس يطيف بها ويقول لامر ما خلقت فلما تكمل  
تصويرها وتشكيلها وتقدير اعضائها وواصلاتها وصار جسدا مصورا مشكلا كأنه ينطق  
الا انه لا روح فيه ولا حياة وارسل اليه روحه فنفخ فيه نفخة وانقلب ذلك الطين الجماد وما وعظما  
وعروق وسمما وبصر وشمما ولسنا وحركة وكلاما فأول شيء بدأ به أن قال الحمد لله رب العالمين  
فقال له خالقك وبارؤك ومصورك الله يا آدم فاستوى جالسا أجل شيء وأحسنه منظره وأتمه  
خلقا وأبدعه صورة فقال الرب تعالى لجميع ملائكته اسجدوا لآدم فسجدوا بالسجود  
تعطيا وطاعة لامر الواحد المعبود ثم قال لهم لناني هذه القبضة في التراب شرع ابدع مما  
ترون وجمال باطن أحسن مما تبصرون فلترين باطنه أحسن من زينة ظاهره ولجماله من  
أعظم آياتنا فعلمه أسماء كل شيء مما لا تحسبه الملائكة فكان التعليل زينة الباطن وجماله  
وذلك التصوير زينة الظاهر في أكل شيء وأجله صورة ومعنى كل ذلك صنعته تبارك  
وتعالى في قبضة من تراب ثم اشتق منه صورة هي مثله في الحسن والجمال ليسكن البها  
وتقر نفسه وليخرج من بينهما من لا يحصى عدده من الرجال والنساء سواء

**فصل** ثم لما أراد الله سبحانه أن يذر نسلهما في الارض وبكثرة وضع فيهما حرارة  
الشهوة ونار الشوق والطلب أهم كلا منهما اجتماعه بصاحبه فاجتمعا على أمر قد قدر  
فسمع الآن عجائب ما هناك لما شاء الرب تعالى أن يخرج نسختة هذا الانسان منه أودع جسده  
حرارة وعلط عليه هيجانها فصارت شهوة غالبة فاذا هاجت حرارة الجسد انحلت الرطوبات  
من جميع اجزاء الجسد وابتدأت نازلة من خلف الدماغ في صروق خلف الاذنين الى قفا  
الظهر ثم تخرج الى الكتبتين ثم مجتمع في أوعية المني بعد أن طبختها نار الشهوة وعقدتها حتى  
صار لها قوام وغلظ وقصرتها حتى ابيضت وقدر لها مجاري وطرق تنفذ فيها ثم اقتضت  
حكيمته سبحانه ان قدر بخروجها أقوى الاسباب المستفردة لها من خارج ومن داخل  
فقبض لها صورة حسنة في عين الناظر وشوق اليها وما في أحدهما الى الآخر بسلسلة الشهوة  
والهبة فخن كل منهما الى امتزاجه بصاحبه واختلاطه به يقتضي الله أمرا كان مفعولا وجعل  
هذا محل الحرث وهذا محل البذر وقال أيضا والقدر ليشتمل كلا منه على صاحبه ليتلقى  
الما آن على أمر قد قدر وقد بينهما تلك الحركات لتعمل الحرارة في تلك الرطوبة والفضلة  
عملها واستخراجها من تحت الشعر والبشر والظفر لتوافق لنسختة الاصل ويكون الداعي  
الى التماسل في غاية القوة فلا ينقطع النسل ولهذا لا نجد في منى الاحتلام من القوة ما في منى  
الجماع وانما هو من فضلة حرارة تذيب الرطوبة فتنفذ فيها الطبيعة الى خارج من نوع تصور  
خيال بواطة الشيطان كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا الصالحة  
من الله والحلم من الشيطان فان قيل فهذا اختيار منكم لقول من قال ان المني يخرج من



جميع اجزاء البدن وهذا وان كان قد قاله كثير من الناس فقد خالفهم آخرون وزعموا انه  
فضلة تولد من الطعام وهي من اعدل الفضلات ولهذا صلت ان تكون مبدأ الانسان  
وهو جسم متشابه الاجزاء في نفسه قبل القول الاول هو الصواب ويدل عليه وجوه  
منها عموم اللذة بجميع اجزاء البدن ومنها مشاكلة اعضاء المواد لاعضاء الوالدين  
ومنها المشابهة الكلية تدل على ان البدن كل ارسـل المني ولولا ذلك لكانت المشابهة  
بحسب محل واحد فدل ان كل عضو ارسـل قسطه ونصيبه فلما انعقد وصلب ظهرت محاذاته  
ومشابهته ومنها ان الامر لو كان كما زعمه اصحاب المقالة الثانية من ان المني جسم واحد  
متشابه في نفسه لم تولد منه الاعضاء المختلفة المتشكلة بالاشكال المختلفة لان القوة الواحدة  
لا تفعل في المادة الواحدة الا فعلا واحدا فدل على ان المادة في نفسها ليست متشابهة الاجزاء  
ومنها ان المني فضل الهضم الاخر وذلك انما يكون عند نضج الدم في العروق وصورته  
مستعدا استعدادا تاما لان يصير من جوهر الاعضاء وكذلك عقيب استفراغه من الضعف  
اكثر مما يحصل من استفراغ امثاله من الدم ولذلك يورث الضعف في جوهر الاعضاء  
الاصلية فدل على انه مركب من اجزاء كل منهما قريب الاستعداد لان يصير جزء من عضو  
ولذلك سماء الله سلاله والسلالة فعالة من السل وهو ما يسيل من البدن كالبحار والبحارة كما  
سمى اصله سلاله من طين لانه استلهم من جميع الارض كما في جامع الترمذي حديث عن النبي  
صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض قال اصحاب القول الاخر  
وهم جمهور اطباء وغيرهم لو كان الامر كما زعمهم وان المني يستل من جميع الاعضاء لكان اذا  
حصل مني الذكرو مني الانثى في الرحم تشكل المواد تشكلها معا وكان الرجل لا يولد الا  
ذكرا دائما لان المني قد استل عندكم من جميع اجزاءه فاذا انعقد وجب ان يكون مثله وايضا فان  
المرأة تضع من وطء الرجل في البطن الواحد ذكرا وانثى ولا يمكن ان يقال ان ذلك بسبب اختلاف  
اجزاء المني قالوا ولا نسلم عموم اللذة لانها انما حصلت حال الاندفاع بسبب سيلان تلك المادة  
الحارة جارية على تلك المجاري السخوية التي لجنها رخوة شبيهة باللحم القريب العهد بالاندمال  
اذا سال عليه وهي معدلة السخونة وكانت اللذة انما حصلت بسبب ساكن تلك المادة لحصلت  
قبل الاندفاع قالوا وما احتجنا بكم بالتشابه المذكور بين الوالد والموالود فالمشابهة قديمة الظفر  
والشعر ولبس يخرج منهما شيء وايضا فالموالود قد يشبه جدا بعيدا من اجداده كما ثبت بالصحاح  
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا سأل عنه فقال ان امرأتي ولدت غلاما اسود قال هل لك من  
ابل قال نعم قال فما لوانها قال سود قال هل فيها من اوراق قال نعم قال فاني له ذلك قال عسى ان يكون  
نزع عرق قال وهذا عسى ان يكون نزع عرق قالوا ولو كان في المني من كل عضو اجزاء فلا  
نخلو تلك الاجزاء اما ان تكون موضوعة في المني وضعتها الواجب اولا تكون كذلك فان  
كانت موضوعة وضعتها الواجب كان المني حيوانا صغيرا ولم يكن كذلك استهالة المشابهة  
قالوا وايضا فان المني امان يكون مركبا على تركيب هذه الاعضاء وترتيبها اولا يكون كذلك  
قالوا باطل قطعا لان المني رطوبة سيالة فلا تحفظ الموضع والترتيب وان كانت ثقيلة فتعين  
الثاني ولا بد قطعا ان يحال ذلك الترتيب والتصوير والتشكيل على سبب آخر سوى القوة

التي في المسادة فانها قوة سبطة لاشعورها ولا ادراك ولا تهدي هذه التفاصيل التي في الصورة  
الانسانية بل هذا التصوير والتشكيل الى خالق عليم حكيم قد بهرت حكمته العقول ودات  
آثار صنعته كما سماؤه وصفاته وتوحيده قد اعترف بذلك فاضلا الاطباء وهما بقراط وافلاطونا  
واقربان ذلك مستند الى حكمة الصانع وعنايته وأنه لم يصدر الا عن حكيم عليم قد يرذ كره  
جالينوس عنهما في كتاب رأى بقراط وافلاطون فأبى جهلة الاطباء وزنادقة المتفلسفة  
والطباةعيين الا كفورا وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث خليفة  
ابن أسيد ان الله وكل بالرحم ملكا يقول يارب تطفة يارب علقة يارب مضغة فما الرزق فما الاجل  
فما العمل فيقضى الله ما يشاء ويكتب الملك وفي لفظ يقول الملك الذي يخلقها اى بصورها  
باذن الله اى بصور خلقه في الارحام كيف شاء الله لا اله الا هو العزيز الحكيم فقال أصحاب  
القول الاول نحن احنى بالتزبيد والتوحيد ومعرفة حكمة الخالق العليم وقدرته وعلمه وأحمد  
به منكم ومن أحال من صفاتها وزنادقةتنا هذا التخليق على القوة المصورة والاسباب الطبيعية  
ولم يسندوها الى فاعل مختار عالم بكل شئ قادر على كل شئ لا يكون شئ الا باذنه ومشيئته  
والقوة والطبيعة خلق مختر من خلقه وعبد من جلة عبده ليس لها تصرف ولا حركة ولا  
فعل الا باذن بارئها وخالقها فذلك الذي جهل نفسه وربه ومادى الطبيعة والشريعة والرب  
تعالى يخلق ما يشاء ويختار وبصور خلقه في الارحام كيف يشاء بأسباب قدرها  
وحكم دبرها واذا شاء ان يسلب تلك الاسباب قواها سلبها واذا شاء أن يقطع سببها  
قطعها واذا شاء أن يهيئ لها اسبابا آخر تقاومها وتعارضها فعل فانه الفعال لما يريد  
وليس في كونه المني مستلا من جميع أجزاء البدن ما يخرج الحوالة على قدرته ومشيئته  
وحكمته بل ذلك ابلغ في الحكمة والقدرة وأما قولكم او كان المني مستلا من جميع  
الاعضاء لكان الولد يتشكل بشكلها معا فقد أجاب النبي صلى الله عليه وسلم عن سأل  
عن ذلك عائشة وكفى في صحيح البخارى من حديث أنس رضى الله عنه قال بلغ عبد الله بن  
سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهو في ارض يخترق فأناء وقال انى  
مائلت من ثلاث لا يعلمن الا اني ما أول اشراط الساعة وما أول طعام يأكله اهل الجنة ومن  
أى شئ ينزع الولد الى ابيه ومن أى شئ ينزع الى اخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أخبرنى بهن آتفا جبريل فقال عبد الله ذلك عدوا ليهود من الملائكة أما اشراط الساعة  
فانار تحترق الناس من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما  
الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المرأة فسبق ماؤه كان الشبه لها فقال أشهد انك رسول الله فهذا  
جواب جبريل أمين رب العالمين لاجل جبريل الطبيب وفي صحيح مسلم من حديث ثوبان عن  
النبي صلى الله عليه وسلم اذا علا ماء الرجل ماء المرأة اذكر باذن الله واذا علا ماء المرأة ماء  
الرجل انت باذن الله وقد يتفق المآل في الاثر والقدرة وذلك من اندر الاشياء فيخلق الولد  
ذ كرك الرجل وفرج كفرج المرأة فاذا شاء الله ان يغلب سلاله ماء الرجل على ماء المرأة  
او سلالتها على سلالته أمر ملك الارحام بتصويره كذلك فان ذلك لا يخل بحكمته ولا يخرق  
عادة ولا يخرقها لم يخل بحكمة احكام الحاكمين واما منعكم عوم اللذة فشبهه بالمكابرة والجسماع

يحدث عند الانزال شيئاً قد استل من جميع بدنه وسمعه وبصره وقواه في قالب الرحم فيحس كأنه  
خارج فقص كأنه مشتمل به ولهذا اقتضت حكمة الرب تعالى في شرعه وقدره ان امره  
بالاعتسال عقيب ذلك بخلاف عليه الماء ما انحلال من بدنه من ماء واذا اغتسل وجد نشاطاً وقوة  
وكأنه لم ينقص منه شيء فان رطوبة الماء تخلف على البدن ما حالته تلك الحركة من رطوبته  
وتعمل فيها الحرارة الاصلية عليها فتدبرها القوى التي ضفت بالانزال واما التشابه الواقع بين  
الظفر والشعر في الوالد والمولود ولم ينفصل بينهما شيء فالبردها من شبهه فان الظفر والشعر  
تابعان للاعضاء والمزاج الذي وقع فيه التشابه فاستبشع تشابه الاصل تشابه التبغ واما شبه  
المولود بالجد بالبعيد من اجداده فهو من اقوى الادلة لنا في المسئلة لان ذلك الشبه البعيد  
لم يزل ينقل في الاصلاب حتى استقر في صورة الولد وبها حصل الشبه واما قولكم ان تلك  
الاجزاء لا تخلو امان تكون موضوعة في المنى وضعها الواجب اولاً الى آخره فيجوابكم انكم  
ان عيتم انها موضوعة بالفعل فليس كذلك وان اردتم انها موضوعة بالقوة فتم وما المانع منه  
ويكون المنى حيواناً صغيراً بل كبيراً بالقوة وبهذا ظهر الجواب عن قولكم ان المنى رطوبة  
سيالة لا تخفض الموضع والترتيب وغاية ما يقدر ان ذلك جزء من اجزاء السبب الذي يخلق  
الله به الولد وجزء السبب لا يستقل بالحكم فالمستقل بالابحاد مشيئة الله وخده والاسباب  
فحال الظهور اقر الشبه

فصل في ما قيل فهذا تصريح منكم بأن المرأة لها منى وان منها احد الجزئين اللذين  
يخلق الله منها الولد وقد ظن طائفة من اطباء ان المرأة لا منى لها قبل هذا والسؤال الذي  
اوردته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأم سلمة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه  
وسلم وأجابهما عنه باثبات منى المرأة في الصحيح ان أم سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله  
ان الله لا ينسخ من الحق هل على المرأة من غسل اذا هي احتلمت قال نعم اذا رأت الماء فقامت  
أم سلمة ونحلت المرأة فقال تربت بدني يشبهها ولدها وفيهما من عائشة رضي الله عنها ان أم سلمة  
رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل هل عليها  
من غسل قال نعم اذا رأت الماء قالت فقلت اها ان ترى المرأة ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وهل يكون الشبه الا من ذلك اذا ماؤها ماء الرجل أشبه الولد أخوه والله واذا ماها  
الرجل ماها أشبه اعمامه لفظ مسلم وقد ذكر جالينوس التشنيع على ارسطو ليس حيث قال  
ان المرأة لا منى اها فلتحرر هذه المسئلة طبعاً كما حررت شرعاً فنقول منى الذكر من جملة  
الرطوبات والفضلات التي في البدن وهذا أمر يشترك بين الذكر والانثى (١) وبرأى الله تخلق  
الولد وبواسطته يكون الشبه والولم يكن للمرأة منى لما أشبهها ولدها ولا يقال ان الشبه سبب  
دم الطمث فانه لا ينعقد مع منى الرجل ولا يندبه قد أجرى الله العادة بأن الولد لا يكون  
الا بن أصليين يتولد من بينهما ثالث ومنى الرجل وحده لا يتولد منه الولد ما لم يزوج به مادة  
أخرى من الانثى وقد اترف ارباب القول الآخر بذلك وقالوا لا بد من وجود مادة  
بيضاء لزجة للمرأة تصير مادة لبدن الجنين ولكن نازعوا هل فيها قوة مافدة كافي منى الرجل  
وقد أدخل النبي صلى الله عليه وسلم هذه المسئلة في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث

(١) هكذا بالاصح  
غير ظاهر فليجروا

توبان مولاه حيث سأل بهود عن الولد فقال ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فاذا اجتمعا  
فملا منى الرجل منى المرأة اذ كبر باذن الله واذا عملا منى المرأة منى الرجل أنت باذن الله نعم لنى  
الرجل خاصة الغلظ والبياض والخروج بدفق ودفع فان أراد من نفى منى المرأة انتفاء ذلك  
عنها أصاب ومنى المرأة خاصته الرقة والصفرة والسيلان بغير دفع فان نفى ذلك عنها خطأ  
وفى كل من المائتين قوة فاذا انضم أحدهما الى الآخر اكتسبا قوة ثالثة وهى من اسباب  
تكون الجنين واقتضت حكما لخلاق العليم سبحانه أن جعل داخل الرحم خشنا كالسفننج  
وجعل فيه طلبا للمنى وقبوله كطلب الارض الشديدة العطش للماء وقبوله الله فبعمله  
طالبا حافظا مشتاقا اليه بالعطش فلذلك اذا طفر به أمه ولم يرضعه بل يشتمل عليه أمه الاشتغال  
وينضم أعظم انضمام ثلاثا يفسده الهوى فيتولى القوة والحرارة التى هناك باذن الله الملك الرحم  
اذا اشتمل على المنى ولم ينفذ فيه الى خارج امتدار المنى على نفسه وصار كالكرة وأخذ فى الشدة  
الى تمام ستة أيام فاذا اشتد نطق فيه نقطة فى الوسط وهو موضع القلب ونقطة فى أعلاه وهى نقطة  
الدماغ واليمين وهى نقطة الكبد ثم يتبادر تلك النقط ويظهر بينهما خطوط حمر الى تمام ثلاثة  
أيام آخر ثم تنفذ الدموبة فى الجميع بعد ستة أيام آخر فيصير ذلك خمسة عشر يوما ويصير المجموع  
سبعة وعشرين يوما ثم يفصل الرأس عن المنكبين والاطراف عن الضلوع والبطن عن الجنين  
وذلك فى تسعة أيام فتصير سنة وثلاثين يوما ثم ينم هذا التجميع يظهر للحس ظهرا  
ينافى تمام اربعة أيام فيصير المجموع أربعين يوما بجميع خلقه وهذا مطابق لقول النبي صلى الله  
عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته ان احداكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما واكتفى  
النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الاحتمال عن التفصيل وهذا يقتضى الذم قد جمع فيها خلقه اجما خفيا  
وذلك الخلق فى ظهور خفى على التدريج ثم يكون مضغة أربعين يوما أخرى وذلك الخلق  
يتزايد شيئا فشيئا الى ان يظهر الحس ظهورا اخفاه به كله والروح لم تتعلق به بعد فانها انما تتعلق  
به فى الأربعين الرابعة بعد مائة وعشرين كما اخبر به الصادق وذلك على الاسبيل الى معرفته  
الابالوحى اذ ليس فى الطبيعة ما يقتضيه فلذلك حار فضلاء الاطباء واذا كياه الفلاسفة فى ذلك  
وقالوا ان هذا مما لا سبيل الى معرفته الا بحسب الظن البعيد قال وقف على نهايات كلامهم فى ذلك  
وآداب فيه حتى كل وهـ وصاحب الطب الكبير فذكر مناسبات خيالية ثم قال وحقيقة  
الم علم فيه عند الله تعالى لا مطمع لاحد من الخلق الوقوف عليه قلت قد أوقفنا عليه الصادق  
المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى بما ثبت فى الصحيحين ان خلق احداكم يجمع فى بطن أمه أربعين  
يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه الملك فينفخ فيه الروح  
ويؤمر بأربع يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد

فصل في رأيت لبعض الاطباء كلاما ذكر فيه سبب تفاوت زمن الولادة فأذكره  
واذكر ما فيه قال اذا تم خلق الجنين مدة معينة فانها اذا زاد عليها مثلها تحرك الجنين فاذا  
انضاف الى المجموع مثله انفصل الجنين قال فاذا تم خلقه فى ثلاثين يوما فاذا صار له ستون  
يوما تحرك فاذا انضاف الى الستين مثله صارت مائة وثمانين يوما وهى سنة اشهر وهى مدة  
ينفصل لها الحمل واذا تم خلقه فى خمسة وثلاثين يوما تحرك لسبعين وانفصل لسبعة اشهر واذا

ثم خلفه لاربعة تحريك لثمانين وانفصل لثمانية اشهر واذا تم خمسة واربعين تحريك لتسعين  
وانفصل لتسعة اشهر وعلى هذا الحساب أبدا وهذا الذي ذكره هذا القائل يقتضى حركة  
الجنين قبل الاربعين وهذا خطأ قطعا فان الروح إنما تتعلق به بعد الاربعين الثالثة وحيث  
يتحرك فلا تثبت له حركة قبل مائة وعشرين يوما ومائة در من حركة قبل ذلك فليست  
حركة ذاتية اختيارية بل لها حركة طارئة بسبب الاغشية والرطوبات وما ذكره من  
الحساب لا يقوم عليه دليل ولا تجربة مطردة فربما زاد على ذلك أو نقص منه ولكن الذي  
نقطع به أن الروح لا تتعلق به الا بعد الاربعين الثالث ومائة در من حركة قبل ذلك  
ان صحت لم تكن بسبب الروح والله أعلم

فصل في وجاهه ونصاه ثلاثون شهرا وقال تعالى والوالدان يرضعن أولادهن حولين كاملين  
لمن أراد أن يتم الرضاعة وقال جالينوس كنت شديد الفحص عن مقادير أزمان الحمل فرأيت  
امراة واحدة ولدت في مائة واربع وثمانين ليلة وزعم صاحب الشفاء أنه شاهد ذلك وأما  
أكثره فقال في الشفاء بلغني من حيث وثقت أن امرأة وضعت بعد الرابع من رأس  
الحمل ولدا قد نبت اسنانه وحاش

فصل في أن قبل غائب الاذكار والابنات قيل الذي يختاره أنه سببه مشيئة الرب  
الفاصل باختياره وليس بسبب طبيعي وكل ما ذكر أصحاب الطبائع من الاسباب فستفرض مثل  
حرارة الرجل ورطوبته قالوا فساد المزاج أيضا يوجب ايلاذ الاناث واستقامته يوجب  
الاذكار وهذا تخليط وهذان فليس الاذكار والابنات الا قول الله الملك الارحام وقد  
استأذن يارب ذكر يارب أني يارب شقي أم سعيد فانه الرزق في الاجل والاذكار والابنات  
قرين السعادة والشقاوة والرزق والاجل فان قيل ذلك أيضا بأسباب قلنا نعم ولكن بأسباب  
بعد الولادة ولا سبب للاذكار والابنات قبل الولادة فان قيل فاصنعون بحديث ثوبان  
الذي رواه مسلم في صحيحه أن يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الولد فقال ماء  
الرجل ايض وماء المرأة اصفر فاذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة اذكر باذن الله واذا هلا  
مني المرأة مني الرجل أنت باذن الله فقال اليهودي صدقت وانتك لنبي قيل هذا الحديث تفرد  
به مسلم في صحيحه وقد تكلم فيه بعضهم وقال الظاهر ان الحديث وهم فيه بعض الرواة واذا  
كان السؤال عن الشبه وهو الذي سأله عبدالله بن سلام في الحديث المتفق على صحته  
فأجابه بسبق النساء فان الشبه يكون لسابق فلعل بعض الرواة انقلب عليه شبه الولد  
بالمرأة بكونه أنثى وشبهه بالولد لكونه لاسما والشبه التام انما هو بذلك وقالت طائفة الحديث  
صحيح لا مطعن في سنده ولا منافية بينه وبين حديث عبدالله بن سلام وليست الواقعة  
واحدة بل هما قضيتان ورواية كل منهما خير رواية الاخرى وفي حديث ثوبان قصته  
ضبطت وحفظت قال ثوبان كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء جبر من  
احبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاديصرع منها فقال لي لم تدفعني فقلت  
الاتقول يا رسول الله فقال اليهودي انما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان اسمى محمدا الذي سماني به اهل فقال اليهودى جئت اسألك فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم اينفعك شيء ان حدثتك قال اسمع بأذني فنكت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم بعود معه فقال اليهودى أين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض  
والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الظلمة دون الجسر قال فمن اول الناس  
اجازة قال فقراء المهاجرين قال اليهودى فما نفعهم حتى يدخلوا الجنة قال زيادة كبد  
الحوت قال فخذواهم على ارجلهم قال بنهرهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها قال فما شرابهم  
عليه قال من حين فيها تسمى سلسيلا قال صدقت قال وجئت اسألك عن شيء لا يعلمه أحد الا  
نبي أو رجل أو رجلان قال اينفعك أن حدثتك قال اسمع بأذني قال جئت اسألك عن الولد قال  
ماء الرجل ابض وماء المرأة اصفر فاذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة اذ كبر باذن الله واذا  
علامنى المرأة منى الرجل انت باذن الله قال اليهودى لقد صدقت وانك لنبى ثم انصرف فذهب فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد سألتني هذا الذي سألتني عنه ومالى علم به حتى أتاني به الله واما  
حديث عبدالله بن سلام رضى الله عنه ففى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه قال بلغ  
عبدالله بن سلام مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأناه فقال انى سائلك عن ثلاث  
لا يعلمن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام يأكله أهل الجنة ومن أى شيء ينزع الولد  
الى ابيه ومن أى شيء ينزع الى اخواله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرنى آنفا  
جبريل فقال عبدالله ذلك عدو اليهود من الملائكة فقال اما اول اشراط الساعة فتارتخى  
الناس من المشرق الى المغرب واما اول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت واما الشبه  
فى الولد فان الرجل اذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له واذا سبقت كان الشبه لها قال اشهد  
أنت رسول الله وذكرا الحديث فتضمن الحديثان أمرين ترتب عليهما الاثران معا وايهما انفرد  
ترتب عليه اثره فاذا سبق ماء الرجل وعلا اذ كر وكان الشبه له وان سبق ماء المرأة وعلا انت  
وكان الشبه لها وان سبق ماء المرأة وعلا ماء الرجل اذ كر وكان الشبه لها ومع هذا كله فهذا  
جزء سبب ليس بموجب والسبب الموجب مشيئة الله قال فقد يسبب شيه السبب وقد ترتب على  
ضده مقتضاه ولا يكون فى ذلك مخالفة لحكمته كما لا يكون تعبير القدرة وقد اشار فى الحديث الى  
هذا بقوله اذكروا انت باذن الله وقد قال تعالى لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن  
يشاء انا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرا نانا وانانا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم  
قدير فأخبر سبحانه ان ذلك طائد الى مشيئته وأنه قد يهب الذكور فقط والاناث فقط وقد  
يجمع لوالدين بين النوعين معا وقد يتخللها عنهما معا وأن ذلك كما هو راجع الى مشيئته فهو متعلق  
بعلمه وقدرته وقد وهب الله آدم الذكور والاناث واسرايل الذكور دون الاناث ومحمد الاناث  
دون الذكور سوى ولده ابراهيم (٢) وقال سليمان عليه السلام لا طوفن الالة على سبعين امرأة  
تأتى كل امرأة منهن بغلام يقاتل فى سبيل الله فطاف عليهن فلم تلد منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق  
ولد قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا  
اجعون فدل على أن مجرد الوطء ليس بسبب تام وكان له مدخل فى السببية وان السبب التام

لعله سوى فيه الذكور  
سا القاسم وعبد الله  
طبيب و ابراهيم

مشيئة الله وحده فهو رب الاسباب المتصرف فيها كيف شاء باعطائه السببية اذا شاء ومنعها ايها اذا شاء وترتيب ضد مقتضاها عليها اذا شاء والاسباب هي مجاري الشرع والقدر فعليه ما يجري امر الله الكوني والدني فان قيل فقد ظهر ان الولد مخلوق من المائتين جميعا فهل يخلق منها على حد سواء ام يكون بعض الولد من ماء الاب وبعضه من ماء الام قيل قديين النبي صلى الله عليه وسلم لم هذه المسئلة بأوضح البيان فقال الامام احمد في مسنده حدثنا حسين بن الحسن حدثنا ابو كريب عن عطاء بن السائب عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابيه عن عبد الله قال مر بهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث اصحابه فقالت قريش يا يهودي ان هذا يزعم انه نبي فقال لا لانه عن شيء لا يعلمه الا نبي فجاءه حتى جلس ثم قال يا محمد هم يخلق الانسان فقال من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم فقام اليهودي فقال هكذا يقول من قبلك

فصل في خلق الجن بجمع قبطن أمه أربعين يومًا ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ويتم ان كلام الاطباء لا ينقض ما خرج به الوحي من ذلك فأتصنعون بحديث حذيفة بن اسيد الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الملك في النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول أي رب أشقي أم سعيد فيكتبان فيهما ولا ينقص قبل ثلثة أيام بالقبول والتصديق وترك الخريف ولا ينفي ما ذكرناه اذ غاية ما فيه ان التقدير وقع بعد الأربعين الاولى وحديث ابن مسعود يدل على انه وقع بعد الأربعين الثالث وكلامه حق قاله هذا تقدير بعد تقدير فالاول تقدير عند انتقال النطفة الى اول اطوار الخلق التي هي اول مراتب الانسان وما قبل ذلك فلم يتعلق بها الخلق والتقدير الثاني تقدير عند كمال خلقه ونفخ الروح فذلك تقدير عند اول خلقه وتصوره وهذا هو تقدير عند تمام خلقه وتصوره وهذا احسن من جواب من قال ان المراد بهذه الأربعين التي في حديث حذيفة الأربعين الثالثة وهذا بعد جدا من لفظ الحديث ولفظه يا بآء كل الباء فتأمله فان قيل فأتصنعون بحديثه الآخر الذي في صحيح مسلم عن عامر بن واثلة انه سمع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره فأني رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال له حذيفة بن اسيد الغفاري فمدته بذلك من قول ابن مسعود فقال وكيف يشقي رجل بغير عمل فقال له الرجل اتعجب من ذلك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملاكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب اذكر أم انثى فيبقى ربك ما يشاء ويكتب الملك بالصحة في يده فلا يزيد على امر ولا ينقص وفي لفظ آخر في الصحيح ايضا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم باذني هاتين يقول ان النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ثم يسمو عليها الملك الذي يخلقها فيقول يارب اذكر أم انثى اسوي ام غير سوي فعمله



الله - وياو غير سوى ثم يقول بارب مارزقه وما اجله وما خلقه ثم يجعله الله عز وجل شقيا او سعيدا  
وفي لفظ آخر في الصحيح ايضا ان ملكا موكلا بالرحم اذا اراد الله ان يخلق شيئا باذن الله لبضع  
واربعين ليلة ثم ذكر نحوه قيل تلقاه ايضا بالتصديق والقبول وترك التعريف وهذا موافق لما جمع  
عليه الاطباء ان مبدء الخلق والتصوير بعد الاربعين فان قيل فكيف التوفيق بين هذوين  
حديث ابن مسعود وهو صريح في ان النطفة اربعين يوما نطفة ثم اربعين حلقة ثم اربعين مضغة  
ومعلوم ان الحلقة والمضغة لا صورة فيها ولا جلد ولا لحم ولا عظم وايس بنا حاجة الى التوفيق  
بين حديثه هذا وبين قول الاطباء فان قول النبي صلى الله عليه وسلم معصوم وقوام مرضة الخطأ  
ولكن الحاجة الى التوفيق بين حديثه وحديث حذيفة المتقدم قيل لاتنا في بين الحديثين  
بحمد الله وكلاهما خارج من مشكاة صادقة معصومة وقد ظن طائفة ان التصوير في حديث  
حذيفة انما هو بعد الاربعين الثالثة قالوا واكثر ما فيه التعقيب بالفاء وتعقيب كل شيء بحسبه  
وقد قال تعالى ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة بل قد قال تعالى فخلقنا  
النطفة حلقة فخلقنا الحلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما وهذا تعقيب  
بحسب ما يصلح له المحل ولا يلزم ان يكون الثاني عقيب الاول وتعقيب اتصال وظنت طائفة  
أخرى ان التصوير والتخليق الذي في حديث حذيفة وهو في التقدير والعلم والذي في حديث  
ابن مسعود وهو في الوجود الخارجي والصواب يدل على الحد ما دل عليه الحديث من  
ان ذلك في الاربعين الثانية ولكن هنا تصوير ان أحدهما تصوير خفي لا يظهر المسر وهو تصوير  
تقديري كما تصور من تفصل الثواب أو تجز الباب مواضع التقطع والتفصيل فيعلم عليها  
ويضع مواضع الفصل والوصل وكذلك كل من يضع صورة في مادة لا سماء بل هذه الصورة  
ينشأ فيها التصوير والتخليق على التدرج شيئا بعد شيء لا دولة واحدة كما يشاهد بالعيان في  
تخليق الظاهر في البيضة فهنا أربع مراتب أحدها تصوير وتخليق على لم يخرج الى الخارج  
الثانية مبدأ تصوير خفي يعجز الحس عن ادراكه الثالثة تصوير يناله الحس ولكنه لم ينم  
بعد الرابعة تمام التصوير الذي ليس بعده الا نفخ الروح فالمرتبة الاولى علمية والثلاث الاخر  
خارجية هيئية وهذا التصوير بعد التصوير نظير التقدير بعد التقدير فالرب تعالى قدر  
مقادير الخلائق تقديرا ما قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وهنا كتب  
السعادة والشقاوة والاعمال والارزاق والآجال الثاني تقدير بعد هذا وهو اخص منه  
وهو التقدير الواقع عند القبضين حين قبض تبارك وتعالى أهل السعادة بيمينه وقال هؤلاء  
لجنة ويعمل أهل الجنة يعملون وقبض أهل الشقاوة باليد الاخرى وقال هؤلاء النار ويعمل  
أهل النار يعملون الثالث تقدير بعد هذا وهو اخص منه عندما يعضي به في حديث حذيفة بن  
اسيد المذكور الرابع تقدير آخر بعد هذا وهو عند ما يتم خلقه وينفخ فيه الروح كما صرح به  
الذي قبله وهذا يدل على سعة علم الرب تبارك وتعالى واحاطته بالكلية والجزئيات وكذلك  
التصوير الثاني مطابق للتصوير العملي والثالث مطابق للثاني والرابع مطابق للثالث وهذا  
ما يدل على كمال قدرة الرب تعالى ومطابقة مقدور المعلومه فتبارك الله رب العالمين وأحسن  
الخالقين ونظير هذا التقدير الكتابة العامة قبل الخلوقات ثم كتابة ما يكون من العام الى العام

في ليلة القدر وكل مرتبة من هذه المراتب تفصيل لما قبلها وتنوع وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصدق بعضه بعضا ويفسر بعضه بعضا ويطابق الواقع في الوجود ولا يخالفه وانما يخبر بما لا يستقل الحس والعقل بادراكه لا بما يخالف الحس والعقل وانما يعرفه الناس ويستقلون بادراكه على امر عيني يتعلق به الايمان او على حكم شرعي يتعلق به التكليف والله اعلم

فصل في قول ابي حنيفة في خلق اولاد قبل سائر الاعضاء قيل اختلف في ذلك على اربعة اقوال احدها انه القلب وهو قول الاكثرين والثاني انه الدماغ والعينان وهو قول بقراط والثالث الكبد وهو قول محمد بن زكريا والرابع انه المصرة وهو قول جماعة من اطباء قال اصحاب القلب لا شك ان في المني قوة روحية بسبب تلك القوة معد ان يكون انسانا وحاجته الى الروح الذي هو مادة القوى اشد فلا بد ان يكون لذلك الروح فجمع خاص منه ينبعث الى سائر الاعضاء فالجواهر الروحي اول شيء ينهر من المني ويجمع في موضع واحد ويحيط به ما يتصل اليه ذلك الجوهر الروحي من جميع الجوانب فيجب ان يكون مجتمعا هو الوسط وسائر الاجزاء يحيط به وذلك الكبد هو القلب قالوا ولان تمام البدن موقوف على الحرارة الغريزية الذي بها البدن لا بد ان يتقدم على العضو الذي تمنع القوة الغذائية التي بها ينمو وهو الكبد قالوا ولان فعال القوى انما تتم بالروح وهي لا بد لها من متعلق يتعلق به ولا بد ان يتقدم متعلقها عليها وهو القلب قالوا وهذا هو الاثني والانسب بحكمة الرب تعالى فان القلب ملك والاعضاء جنوده وخدمه فاذا صلح القلب صلحت جنوده واذا فسدت فسدت وقد اشار النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الى ما يرشد الى ذلك فقال ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد سائر الجسد الا وهي القلب فاولى بهذه المضغة ان تكون متقدمة في وجودها على سائر الاعضاء وسائر ما تبعها في الوجود كما هي تبع لها في الصلاح والفساد قالوا وقد شاهد اصحاب التشريح في المني عند انعكاده نطفة في وسطه قال اصحاب الدماغ شاهدنا الفراخ في البيض اول ما يتكون منها رأسها ومنه الله في بروز الجنين اول ما يبدو منه الى الوجود رأسه قال اصحاب الكبد لما كان المني محتاجا الى قوة غذائية تزيد في جوهره حتى يصير بحيث يمكن ان تكون الاعضاء فيه كان اول الاعضاء واسبقها اليه وهو محل القوة الغذائية وهو الكبد قال اصحاب المصرة حاجة الجنين الى جذب الغذاء اشد من حاجته الى الاقوات وادراكه ومن المصرة يجذب الغذاء واولى هذه الاقوال القول الاول وهو بيت القلب ومقرته وشرفه ومحل الذي وضعه الله به ية تضي انه المبدوء به قبل سائر الاعضاء المقدم عليها بالوجود والله اعلم

فصل في قول ابي حنيفة في الجنين قبل نفخ الروح فيه هل كان فيه حركة واحساس ام لا قيل كان فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات ولم يكن له حركة غموص واغتذاء والارادة فلما نفخت فيه الروح انضمت حركة حسبه وارادته الى حركة غموص واغتذائه فان قيل قد ثبت ان الولد يتخلق من ماء الوبن فهل يتمازجان ويختلطان حتى يصيرا ماء واحدا او يكون أحدهما هو المادة والاخر بمنزلة الانفعة التي تنفعه قبل هو موضع اختلف فيه ارباب الطبيعة فقالت طائفة منهم مني الاب لا يكون جزأ من الجنين وانما هو مادة الروح الساري في الاعضاء واجزاء البدن كلها مني الالم ومنهم من قال بل هو ينفع من

منى الانثى ثم يخلل ويفسد قالوا ولهذا كان الولد جزءا من أمه ولهذا جاءت الشريعة بتبعيته  
 له - فى الحرية والرق قالوا ولهذا لو ترى فحل رجل علة جرة آخر فأولدها قالوا لئلا  
 الام دون مالك القمل لانه تكون من اجزائها واحشائها ولحمها ودمها وماء الاب بمنزلة الماء  
 الذى يسقى الارض قالوا والحس يشهد ان الاجزاء التى فى المواد من أمه اضعاف اضعاف  
 الاجزاء التى فيه من أبيه ثبت ان تكوينه من منى الام ودم الطمث ومنى الاب طاقده  
 كالتخميرة ونازعهم الجمهور وقالوا انه يتكون من منى الرجل والانثى ثم لهم - ولان  
 أحدهما ان يكون من منى الذكر اهضؤه واجزؤه ومن منى الانثى صورته والثانى ان  
 الاعضاء والاجزاء والصورة تكونت من مجموع المائتين وانهما امتزجا واختلطا وصارا  
 ماء واحدا وهذا هو الصواب لاننا نجد الصورة والتشكيل نارة الى الاب ونارة الى الام  
 والله أعلم وقد دل على هذا قوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى والاصل  
 هو الذكر فنه البذر ومنه السقى والانثى وطء ومستودع اولده تربيته فى بطنها كما تربيته فى  
 جرحها ولهذا كان الولد للاب حكما ونسبا وأما تبعيته للام فى الحرية والرق فلانه انما يتكون  
 وصار ولدا فى بطنها وغذته لبانها مع الجزء الذى فيه منها وكان الاب أحق بنسبه وتخصيه  
 لانه أصله ومادته ونسخته وكان أشرفهما ديننا أولى به تغليباً لدين الله وشرعه فان قيل  
 فهلا طردتم هذا وقلم لوسه - ط بذر رجل فى ارض آخر ويكون الررع لصاحب الارض دون  
 مالك البذر قبل الفرق بينهما ان البذر مال متقوم فى ارض آخر فهو مال الكه وعليه اجرة  
 الارض أو هو بينهما بخلاف المنى فانه ليس به - الله ولهذا نهى الشارع عن المعاوضة وانفق  
 الفقهاء على أن القمل لو تزاعل رمكة كان الولد لصاحب الرمكة

فصل فى هل يتكون الجنين من مائتين وواثنين قيل هذه مسألة شرعية  
 كونية والشرع فيها تابع للتكوين وقد اختلف فيها شرعا وقد اختلفت ذلك طائفة وابنه  
 كل الآباء وقالت الماء اذا استقر فى الرحم اشتمل عليه وانضم غابة الانضمام بحيث لا يبقى فيه  
 مقدار رسم رأس ابرة والا فسد فلا يمكن افتتاحه بعد ذلك ماء ثان لا من الواطئ ولا من غيره  
 قالوا وبهذا اجرى الله العادة ان الولد لا يكون الا لاب واحد كما لا تكون الام الا واحدة وهذا هو  
 مذهب الشافعى وقالت طائفة بل يخلق من ماء ما كثر قالوا وانضمام الرحم واشتماله على الماء  
 لا يمنع قبوله الماء الثانى فان الرحم اشفق شئ واقبله للمنى قالوا ومثال ذلك كمثل المعدة فان  
 الطعام اذا استقر فيها انضمت عليه غابة الانضمام فاذا ورد عليها طعام فوقع انفجعت له لشوقها  
 اليه قالوا وقد شهد به - الله - ائف بين يدي امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه  
 فى ولداده اثنان فنظر اليهما واليه وقال ما راها الا اشتراكا فيه فواقفه عمر وألقاه بهما  
 وواقفه على ذلك الامام احمد ومالك رضى الله عنهما قالوا والحس يشهد بذلك كما ترى فى  
 جرو الكلبة والسنور تأنى بها مختلفة الالوان تعدد آبائهما وقد قال النبي صلى الله عليه  
 وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقى ماء زرع غيره يريد وطء الحامل من غيره  
 الواطئ قال الامام احمد الوطء يزيد فى سمع الوالد وبصره هذا بعد انعقاده وعلى هذا مسألة  
 فقهية وهى لو أحبل غيره بنكاح أو زنى ثم ملكها هل تصير أم ولد فيه - أربعة اقوال

وهي روايات من الامام أحمد - لا تصيرام ولد لانها لم تنلق بالولد في ملكه  
والثاني تصيرام ولد لانها وضعت في ملكه والثالث ان وضعت في ملكه صارت ام ولد  
وان وضعت قبل ان يملكها لم تصير لان الوضع والا حبال كان في غير ملكه والرابع ان  
وطئها بعد ان ملكها صارت ام ولد والاول لان الوطء يزيد في خلقه الولد كما قال الامام  
أحمد الوطء يزيد في سمع الولد وبصره وهذا ارجح الاقوال وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه  
وسلم انه مر على امرأة تحجج على باب فسطاط فقال لعل سيدها يريد ان يلم بها لقد هممت ان العنة  
لعنة تدخل معه في قبره كيف يرثه وهو لا يحل له والمجج الحامل المقرب وقوله كيف يرثه  
اي يجعل له تركه موروثه عنه لانه عبده ولا يحل له ذلك لانه قد صار فيه جزء من اجزائه  
بوطئه وكيف يجعله عبده ولا يحل له لذلك فهذا دليل على ان وطء الحامل اذ وطئت كثيرا  
جاء الولد بلا متلثا واذا هجر وطئها جاء الولد منيلا ضعيفا فهذه اسرار شرعية موافقة للاسرار  
الطبيعية مبنية عليها والله اعلم فان قيل فهل يمكن ان يخلق من الماء ولدان في بطن واحد  
قبل هذه مسألة التوأم وهو ممكن بل وفزع له اسباب أحدها كثرة المنى فيقبض الى بطن  
الرحم دفعات والرحم يعرض له عند الحركة الجارية المنى حركات مختلفة مختلفة  
فربما اتفق ان كان الجاذب للدفع الاولى من المنى احد جانبيه ولثانية الجانب الآخر  
ومنهما ان بيت الاولاد في الرحم فيه نجسا وكيف فيكون المنى كثيرا فيغفل عن أحدها فضلة  
يشتمل عليها التجويف الثاني وهكذا الثالث قال ارسطو وقد يعيش للمرأة خمسة اولاد  
في بطن واحد وحكي عن امرأة انها وضعت في اربع بطون عشرين ولدا قال صاحب  
القانون سمعت يجرجان ان امرأة امقطت كبسا فيه سبعون صورة صفيرة جدا قال  
ارسطو واواذا نوأمت بذكروا نثى فقل ما تسلم الوالدة والمولود واذا نوأمت بذكرين وانثى بن  
فقل كثيرا قال والمرأة قد تحبل على الحمل وليكن يهاك الاول في الاكثر فقد  
امقطت امرأة واحدة اثني عشر جنينا جلا على حمل واما اذا كان الحمل واحدا او بعد  
وضع الاول فقد يعيشان والله اعلم فان قيل فما السبب المانع للحامل من الحيض غالبا  
قال الامام أحمد وابو حنيفة انما تراه من الدم ~~بكون~~ دم فساد لا حيض والشا فحى  
وان قال انه دم حيض وهو احدى الروايتين عن عائشة فلا ريب انه نادر بالاضافة الى  
الاغلب قيل دم الطمث ينقسم ثلاثة اقسام قسم ينصرف الى غذاء الجنين وقسم يصعد الى البدن  
وقسم يحبس الى وقت الوضع فيخرج مع الولد وهو دم النفاس وربما كانت مادة الدم  
قوية وهو كثير فيخرج بعضه لقوته وكثرته والراجح من الدليل انه حيض حكمه حكمه  
اذ ليس هناك دليل عقلي ولا شرعي يمنع من كونه حيضا واستيفاء الادلة من الجانبين فقص  
ذكرناه في مواضع أخرى والله اعلم فان قيل فما السبب في ان النساء الحبال يشتقن في الشهر  
الثاني والثالث الى تناول الاشياء الغريبة التي لا يعتد بها طبيا هن قبل ان دم الطمث لما  
احتبس فيهن بحكمة قدرها الله وهي ان صرفه غذاء لولد ومقدار ما يحتاج اليه يسيرا  
فتدفعه الطبيعة الصحيحة الى ثم المعدة فيحدث لهن شهوة تلك الاشياء الغريبة فان قيل  
فكيف وضع الجنين في بطن أمه قائما او قاعدا او مضطجعا قيل هو معتمد بوجهه على رجليه

وراحته على ركبته ورجلاه مضومة الى قدميه ووجهه الى ظهره وهذا من العناية  
الالهية ان اجلسه هذه الجلسة في المكان الضيق في الرحم على هذا الشكل وايضا فلو كان  
رأسه الى أسفل لوقع ثقل الاعضاء الخسيسة على الاعضاء الشريفة وأدى ذلك الى تلفه  
ولانه عند محاولة الخروج اذا انقلب أماته على الخروج فانه اذا خرج أول ما يخرج منه  
رأسه لان الرأس اذا خرج أولا كان خروج سائر الاعضاء بعده سهلا ولو خرج على غير  
هذا الوجه لكان فيه تعويق وعسر فان الرجلين لو خرجتا أولا لانساق خروج الباقي  
فانه ان خرجت الرجل الواحدة أولا لانساق عند الثانية وان خرجتا معا لانساق عند اليدين  
وان خرجت الرجلان واليدان انساق عند الرأس فكان يلتوى الى خلف وتلتوى السرة  
الى العنق فيألم الرحم ويضعف الخروج ويؤدي الى مرضه أو تلفه فان قيل فاسبب الاجهاض  
الذي يعمونه الطرح قبل كمال الولد قبل الجنين في البطن بمنزلة الثمرة في الشجرة وكل منهما  
له اتصال قوي بالأم ولهذا يضعف قطع الثمرة قبل كمالها من الشجرة ونحتاج الى قوة فاذا  
بلغت الثمرة نرايتها سهل قطعها وربما سقطت بنفسها وذلك لان تلك الرباطات والعروق  
التي تمدها من الشجرة كانت في غاية القوة والغذاء آخر رجوع ذلك الغذاء الى تلك الشجرة  
فضعفت تلك الرطوبات والمجاري وساعدها ثقل الثمرة فسهل أخذها وكذلك الامر في الجنين  
فانه مادام في البطن قبل كماله واستحكامه فان رطوباته وأغشيته تكون مانعة له من السقوط  
فاذا نم وكل ضعفت تلك الرطوبات وانتهكت الأغشية واجتمعت تلك الرطوبات المزلقة  
فسقط الجنين هذا الامر الطبيعي الجاري على استقامة الطبيعة وسلامتها وأما السقوط  
قبل ذلك فلفساد في الجنين وفساد في طبيعة الأم أو ضعف الطبيعة كما تسقط الثمرة قبل  
ادراكها لفساد بعرض أو لضعف الأصل أو لفساد بعرض من خارج فأسقط الجنين السبب  
من هذه الاسباب الثلاثة فالآفات التي تصيب الاجنة بمنزلة الآفات التي تصيب الثمار  
فان قيل فكيف الرحم مع ضيقه يخرج منه ما هو أكبر منه بأضعاف مضاعفة قبل هذا  
من أعظم الأدلة على عناية الرب تعالى وقدرته ومشيبته فان الرحم لابد أن ينفتح  
الانتحاح العظيم جدا قال غير واحد من العقلاء ولا بد من انفصال يعرض للمفاصل العظيمة  
ثم تلتئم بسرعة أسرع من لمح البصر وقد اعترف فضلاء الأطباء وحذاقهم بذلك وقالوا  
لا يكون ذلك الا بعناية الهية وندير تعجز العقول عن ادراكه وتقر الخلق العظيم بكمال الربوبية  
والقدرة فان قيل فما السبب في بكاء الصبي حالة خروجه الى هذه الدار قبل ههنا سببان  
سبب باطن أخبر به الصادق المصدوق لا يعرفه الاطباء وسبب ظاهر فأما السبب الباطن فان  
الله سبحانه اقتضت حكمته أن وكل بكل واحد من ولد آدم شيطانا فشیطان المولود قد خنس  
ينتظر خروجه ليقاتله ويتوكل به فاذا انفصل استقبله الشيطان وطعنه في خاصرته  
فصرقا عليه وتغيظا واستقبالا له بالعداوة التي كانت بين الابوين قديما فيبكي المولود  
من تلك الطعنة ولو آمن زنادقة الاطباء والطبائعين بالله ورسوله لم يجدوا عندهم  
ما يبطل ذلك ولا يرده وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم صباح المولود حين يقع نزغة من الشيطان وفي الصحاح من حديثه أيضا

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه الا ابن مريم وامه وفي لفظ آخر يسميه الشيطان يوم ولدته الامريم وابنها وفي لفظ البخاري كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الجباب والسبب الظاهر الذي لا يخبر الرسل بأمثاله برخصه عن الناس ومعرفة لهم من غيرهم هو مفارقتة للمألوف والعادة التي كان فيها الى أمر غريب فانه ينتقل من جسم حار الى هواء بارد ومكان لم يألفه يستوحش من مفارقتة وطنه ومألفه وعند أرباب الاشارات ان بكاءه ارهاص بين يدي ما يلاقيه من الشدائد والآلام والمخاوف وأنشد في ذلك

ويكي بها المولود حتى كأنه \* بكل الذي يلقاه فيها يهدد

والا فسا يبيكه فيها وأنها \* لا وسع مما كان فيه وارغد

ولهم نظير هذه الاشارة في قبض كفهم عند خروجه الى الدنيا وفي فتحها عند خروجه منها وهو الاشارة الى أنه خرج مركبا على الحرص والطمع وفارقهما صفر اليدين منها وأنشد في ذلك وفي قبض كف المراه عند ولاده \* دليل على الحرص الذي هو مالكة وفي فتحها عند الممات اشارة \* الى فرقة المال الذي هو نارك ولهم نظير هذه الاشارة في بكاء الطفل وضحك من حوله أن الامر سيبدل ويصير الى ما يبيكي من حوله عند موته كما ضحكوا عند ولادته وأنشد في ذلك

والتك اذ ولدتك أمك باكيا \* والناس حولك بضحكون سرورا

فاعمل لعلك ان تكون اذا بكوا \* في يوم موتك ضاحكا مـرورا

ونظير هذه الاشارة أيضا قولهم ان المولود حـ بين ينفصل عـ ديدته الى فيه اشارة الى تعجيل نزوله عند القدوم عليه بأنه ضعيف من تمام كرامته تعجيل قراء فأشار بلسان الحال الى ترك التأخير ورجع ما من اصبعه اشارة الى نهاية فقره وأنه ابلغ منه الى من الاصابع ومنه قول الداس لمن بلغ به الفقر ظبته فهو يحس اصابعه وأنشد في ذلك

ويهوى الى فيه يحس بسانه \* بطالب بالتعجيل خوف التشاغل

ويعلمهم أنى فقة يروا ليس لي \* من القوت شئ خير من الا فاعل

ونظير هذه الاشارة أنه يحدث بالعجب ممن يظهر من الحدث

ويحدث بين الحاضرين اشارة \* الى أنه من حادث ليس بعصم

يقول وعندى بعد أخواتها \* وما منكم الا وذوا العرش ارحم

ونظير هذه الاشارة ان يضحك بعد الاربعين وذلك عند ما يتعقل نفسه الناطقة وبدورها وفي ذلك قصاص من البكاء الذي اصابه وعند ولادته وتأخر بعده لكي يتأسي العبد اذا اصابته شدة فالفرج كام بطلبها في أثرها

ويضحك بعد الاربعين اشارة \* الى فرج وافاه بعد الشدائد

يقول هي الدنيا فتبكيك مرة \* وتضحك أخرى فاصطبر لعمرك

قالوا ويرى المنى بعد سنين يوم من ولادته ولكنه ينساها لضيق القوة الحافظة وكثرة الرطوبات

وفي ذلك لطف به أيضا اضعف قلبه عن التفكير فيما يراه

ويرى بين القلب اذبا في له \* سنون يوما رؤية الاحلام

لكنه ينساها بعد اضعفه \* عن ضبطه في بقظة ومنام

**فصل** ولما تكامل لانطفئ اربعون يوما فاستحكم نضجها وعقدتها حرارة الرحم استعدت لحالة هي اكل من الاولى وهي الدم الجامد الذي يشبه العلكة ويقبل الصورة ويخضعها بانعقادها وقاسك اجزائها فاذا تم لها اربعون استعدت لحالة هي اكل من الخاتين قبلها وهي صيرورتها لصلب من العلكة واغوى واحفظ والمخ المودع فيها والحم هو كسوتها والرباطات تمسك اجزاءه وتشد بعضها بعضا والكبد الذي يأخذ صفو الغذاء فيرسله الى سائر الاعضاء والى الشعر والظفر والامعاء الذي هي مجارى وصول الطعام والشراب الى المعدة والعروق التي هي مجارى تنفذه وايصاله الى سائر اجزاء البدن والمعدة التي هي خزانة الطعام والشراب وحافظته لمستحقه والقلب الذي هو سبع الحرارة ومعدن الحياة والمستولى على ملكة البدن والريئة التي تروح عن البدن وتفيد الهواء البارد الذي به حياته واللسان الذي هو بريد القلب وزجانه ورسوله والسمع الذي هو صاحب اخباره والبصر الذي هو طليعته ورائده والكاشف له عما يريد كشفه والاعضاء التي هي خدمه وخوله والرجلان نسعى في مصالحه واليدي بطش في حوائجه والاسنان تفصل قوته وتقطعه والعروق توصله الى اربابه والذكر آلة نسله وأنثياه خزانة مادة النسل والكبد لغذاء وقسمته وهي الحيوان بمنزلة شرس الشجر والنبات تجذب الغذاء وترسله الى جميع الاجزاء وآلات الغذاء خدما لها والقلب للارواح التي بها حيات الحيوان وآلات النفس خدما لها والدماغ معدن الحس والتصور والحواس خدما له والاثنيان معدن التناسل والذكر خدما له وهذه الاعضاء هي رأس أعضاء البدن

**فصل** وأما آلات الغذاء فتلاثة أقسام آلة تقبل الغذاء وتصلحه وتفرقه وترسله الى جميع البدن وآلة تقبل فضلاته وآلة تعين في اخراج ثقله ومالا منفعة في بقائه فالآلات القابلة فهي الفم والمرى والبطن والكبد والعروق الموصلة الى الكبد والعروق الموصلة منها الى البدن

**فصل** وأما الآلات القابلة للفضلات فالمرى والبطن تقبل ما لطيف منه والطحال يقبل كثيفه والكلى والمثانة يقبلان المتوسط والكبد موضوعة في الجانب الايمن وتأخذ يسيرا للجانب الايسر وهذه الحكمة بدية وهي أن القلب في الجانب الايسر اقرب وهو معدن الحار الغريزي فتجنب عنه الكبد قليلا لئلا يتأذى بحرارتها وجعل في أوعية الغذاء قوى خادمة له قائم مع كونه يقطع الغذاء ويطحنه بحمله وبغيره والمرى مع كونه منفذا الى المعدة بغيره تغيرا ثانيا والمعدة مع كونها خزانة حافظة له تنضجه وتطبخه وتغيره ثانيا وتعضيه وتبقى منه ما لا يصلح ونخرجه وتدفعه الى مخرج الثفل فان الطعام اذا استقر في المعدة اشتملت عليه وانضمت غاية الانضمام ثم انضجته بحرارتها ثم يتولاه الكبد وتشتل عليه وتقلبه دما خالصا ثم تقسمه على جميع الاعضاء قسمه عدل لا جور فيها ولا حيف ولما كانت المعدة



حوض البدن الذي يردده أجزاء البدن من كل ناحية اقتضت الحكمة الالهية جعلها في وسطه وخالص الغذاء يتأدى الى الكبد من شعب كثيرة فوَجتمع في موضع واحد واسمع يسمى باب الكبد وجميع العروق التي تنصل بالمعدة والامعاء والطحال تسبح في وترته في الى باب الكبد والمعدة تجذب الموافقة ويبقى المخالف المنافي الذي عجزت قوتها عنه ثم ان الكبد تصفيه وتنقيه بعد اجتذابه مرة أخرى وتنقي منه غير الموافق وقد أعد الصانع الحكيم سبحانه لتنقية الدم من الكبد ثلاثة خدام فآرهن قائمين بالرصد بلا كسل ولا تور وقد وضع كل منها في المكان اللائق به ونصبه فصبه بها يكون امكن من عمله ولما استقر الغذاء في المعدة وطبخته وانضجته صارت فضله ثلاثة فضلة كالدري الراسب وفضلة كالرغوة والزبد الطافي وفضلة مائية فيجعل كل خادم من هذه الخدام الثلاثة على فضلة لا يتعداها الى الاخرى ليجذبها من مجرى خادم الفضلة الخفيفة الطافية وهي المصفرة المرارة نصبها الرب تعالى فوق الكبد لان الجذب هو الفضلة الطافية ومكانها فوق مكان الدري الراسب وخادم الفضلة التي هي كالدري الراسب الطحال ونصبه الخلاق العليم اسفل من باب الكبد حيث كان ما يجذب به من سفلى ولم يكن في الجانب الايمن لان المعدة قد شغلت ذلك الجانب وكان الجانب الايسر خاليا فلم تعد فاذائق الدم من هاتين الفضلتين خدمه الخادم الثالث وهو الكبد وقد بقي أحمر نقي اللون مشرقا نورانيا وبصل البهائم عرق عظيم يسمى الاجوف من يوزع من هناك على جهة البدن العليا والسفلى في رواضع كثيرة العدد ما بين كبير وصغير ومتوسط كلها تنصل بالعرق الاجوف وتتماز منه ومادام الدم في هذا العرق ففيه مائة غير محتاج اليها لانها كانت متركب الغذاء فلما وصلت الى مستقر ما يستغنى عنها فاحتاج ولا بد الى اخراجها ودفعها ولولم يبادر الى ذلك أضرت به فخلق الله سبحانه الكيتين يتصان هذه الفضلة بعنقين طويلين كالانبيبين وبفرغان في المئانة بعرقين آخرين وضعهما سبحانه اسفل من الكبد قليلا حيث يكون امكن لتخليص المائة كالعروق العصارات واما المرارة فوضعها الله سبحانه فوق الكبد لانها بمنزلة السفينة أو القطة التي يقطف بها الذهب عن وجه الرطوبات واما الطحال فوضعها اميل الى اسفل لانه بمنزلة ما يجذب الاشياء المصونة اذا رسبت

**فصل** في اذا اتنى الدم من هذه العقول كلها وعملت فيه هذه الخدم بقواها التي أودعها فيها هذا العمل وأصلحته هذا الاصلاح عمل ملك الاعضاء والجوارح وهو القلب فيه عـ لا آخر فقصده بحرارة أخرى وهي أقوى من حرارة الكبد

**فصل** في جعل سبحانه في المعدة أربع قوى قوة جاذبة للملائم وقوة منضجة له وقوة مسكنة له وقوة دافعة لافضلة المستغنى عنها منه ورئيس هذه القوى هي القوة المنضجة وسائرها تخدم لها وخصت المعدة عن سائر الاعضاء بأن أودع فيها قوة تحس بالعون والنقصان وخصته فتما لتفه الحيوان على تناول الغذاء عند الحاجة وأما سائر الاعضاء فانها تغذى بالنبات باجتذاب الملائم اليها ولما احتاجت المعدة الى قوة وحس بالعون ولم يكن ذلك الامن معدن الخواص وهو الدماغ اناها روح العصب عظيم فأنبت أكثرها في فيها وما يليه ومن باقية مستقيما حتى يبلغ قعرها فان قيل فما الحكمة في ان ياعد سبحانه بين المعدة والقوم وجعل بينهما مجرى

طويلا وهو المرى وهلا اتصلت المعدة بالفم واستغنت عن المرى قبل هذا من تمام حكمة الخالق وفيه منافع كثيرة منها أن يحصل للغذاء تغير ما في طريق الجرى فيلطف قبل وصوله اليها ومنها بعده عن آلة التنفس لئلا تعوقه ويعوق الصوت والكلام وان لا تنقلب المعدة الى خارج عند شدة الجوع كما يعرض ذلك للحيوان الشره اذا كان قصير العنق فان قبل فلم كانت الى جانب الایمر اميل منها الى الجانب الايمن قبل ليتسع المكان على الكبد ولا ينحصر فان قبل فهلا كانت مستقيمة في وضعها بل مال اسفلها الى الجانب الايمن قبل ليتسع المكان على الطحال حيث كان اخفض موضعها من الكبد فان قبل فلم جعلت مستطيلة مدورة وجعلت مما يلي الصلب مسطحة قبل لما وضعها الله بين الكبد والطحال جعلها مستطيلة وكانت مستديرة لتتسع للطعام والشراب وكان اسفلها أوسع من اعلاها لذلك وجعلها مدخلا وهو المرى ومخرجا يسمى البواب وجعل البواب اضيق من المرى لان ما يتلعه يكون أصلب واخشن مما يخرج فاجعل مدخل الداخل أوسع من مخرج الخارج لا يطلأخه في المعدة ولينه ولحكم آخر منها أن لا يزال منه الطعام والشراب قبل نضجه وانه ولنفوى المعدة على حبسه ويخرج أولا وأولا لا دفعة واحدة والمرى يتسع بالتدريج حتى يبلغ المعدة ولذلك يظن أنه جزء منها وأما البواب فان الجزء الضيق يتصل بأسفلها الذي هو أوسعها ثم يتسع على التدريج ليسهل خروج الفضلة

**فصل في الكبد منطبقة على المعدة محتوية عليها بزوائدها تسخنها والطحال يحضنها من الباب الایمر والصلب يحضنها من خلف والزائب من قدامها والترائب مؤلفة من طبقتين رقيقتين تنطبق احدهما على الاخرى بشحم كثير وهو غشاء الامعاء كلها ولباسها تم غشي البطن كله بغشاء واحد بقي الاحشاء ويمنع من انفتاح المعدة والامعاء بالرياح ويربط جلة آلات الغذاء ولم يجعل في الكبد تجويف كجوف القلب لتحتوى على الدم احتواء ممكننا ونحيله احالة بليغة ولا كبد ثلاث شبك من العروق شبكة بينها وبين المعدة والامعاء وشبكة في مفرعها وشبكة في مجذبها فالشبكة الاولى تجذب الغذاء وتحيله بعد أن أحاله وفي الشبكة الثانية يصير دما وفي الشبكة الثالثة يزداد صفاء وترويقا والكبد بالقلب والدماء اتصال بشطة من العصب حفية كنسج العنكبوت ولما كانت النفس المعنوية بمنزلة حيوان غائب وحشى وكل جسم يموت فلا بد أن تتصل به هذه النفس وتغذوه بخلاف النفس المفكرة التي محلها الدماغ وبخلاف النفس الغضبية التي محلها القلب فالنفس المفكرة تستعين بالنفس الغضبية على تلك النفس الحيوانية القابلة الوحشية اقتضت حكمة الخالق سبحانه أن وصل بين محل هذه الانفس الثلاثة وسعها ليدفع بعضها لبعض ولا تنكر تعمية هذه القوى نفوسا فليس الشأن في التسمية فأنت تجد فيك نفسا حيوانية تطلب الطعام والشراب ونفسا مفكرة سلطانها على التصور والعلم والشعور ونفسا غضبية سلطانها على الغضب والارادة وتضرب كل واحدة من افعالها اليه وبعضها دون بعض فمحل النفس الحيوانية الكبد ومحل المفكرة الدماغ ومحل الغضبية القلب**

**فصل في تأمل الحكمة في أن جعلت صفقات عروق الكبد ارق من صفقات سائر عروق البدن لينفذ الى الكبد فوق جوهر الدم بسرعة وهي مع ذلك غير محتاجة الى الوقاية**

لان الكبد مخزنها بلحمها وانما وضعت مجارى المرة الصفراء بعد العروق التي تصعد الغذاء من المعدة وقبل العروق التي تأخذ الدم منها لان هذا الموضع هو بين موضع كمال الطبع وبين انتقاله الى العرق الاجوف وحيث يمكن انفصال المرة عن الدم وجمعت العروق كلها الى عرق واحد هو الباب ثم مادت فتقسمت في مقعر الكبد ثم عادت فجمعت في مجدها الى عرق واحد وهو الاجوف لتجيد بقسمها انضاج ما تحتوي عليه ولئلا ينفذ بسرعة وكذلك كل موضع احتج فيه الى طول مكث المادة هـ ين بقاؤها فيه بطول مسلكها وكثيرة تعاريجها كما فعل في مجارى المنى وشبكة الدماغ وهذا شأن العروق الجواذب وأما العروق الضواريب فبالعكس من ذلك فانها جمعت في مقعر الكبد دون مجدها لانه موضع الدم وحاجته الى المعدة بالحرارة مساسة قال جالينوس ولا تقسم العروق الضواريب في مجذب يعلم الخالق سبحانه انه جذب الكبد تحريك دائما بمجاورة الجباب فيقوم لها ذلك مقام حركة العروق الضواريب وجعلت هذه العروق الضواريب رقاقا لانها انما وضعت لتزويج الكبد لالتغذية والالاتصال روح اليها اذ ليس بالكبد حاجة الى قبول روح حيواني كثير ولا يحتاج لحمها الى غذاء لطيف بخارى

فصل في أحرز الصانع سبحانه موضع الكبد ووضعها بأن ربطها بالمعدة والامعاء كلها بالعروق وبالفشاء الممدود على البطن الذي يشد جميعها ووصل بها رابطات من جميع النواحي وغشاؤها الرابط يتصل بالجباب برباط قوي ورباط الكبد بالجباب حين صلب وثيق لان الكبد معلقة به وهو أصلب من غشاء الكبد بشدة الحاجة الى صلابة لانه يحرز الكبد والعرق الاجوف متى ناله آفة مات الحيوان كما تهلك اغصان الشجرة اذا أصاب ساقها آفة وجعل أرق هذه الرباطات من خلف يشده بالعظام وأغاطه من قدام حيث لاعظام هناك تقيه وهذا من شدة الاسر الذي قال الله تعالى فيها نحن خلقناهم وشددنا أسرهم شدا وصلهم بالرباطات المحكمة وجعل خلقهم بعضه الى بعض ولما كان الجباب آلة شريفة فلا نفس بوعدهم العضوين المجاورين له وهما المعدة والكبد بمقدار حاجته لئلا يزحزح ويعوقه عن فعله فوعدت المعدة عنه بطول مجراها

فصل في واما الطحال فبعضهم يقول انه لا تنفع فيه وانما شغل المكان به لئلا يبقى فارغا فيميل أحد شقي البدن بثقل الكبد فجعل موزونا للكبد قلت وهذا غلط من وجه وصواب من وجه اما الصواب فن الحكيم الجيية جعل الطحال في الجانب الايسر على موازنة الكبد لئلا يميل الشقي الايمن به او لا يمكن أن تقوم المعدة بموازنة الكبد لانها دائما تملي ونخلو فتارة تكون أخف من الكبد وتارة أرجح منها فيصير البدن مترجما أو يميل الى شق الكبد وقتا وإلى شق المعدة وقتا آخر فجعل الخالق سبحانه الطحال يوازن الكبد وجعل المعدة بينهما في الوسط لئلا بثقل جانب ويشف آخر عند امتلائها وخلقها فلما جعلت وسطا لم تختلف وضع البدن باختلافها وأما الغلط فقوله انه لا منفعة فيه وانما يشغل المكان لئلا يبقى فارغا فانه لو لم يعلم فيه منفعة لم يكن له أن ينفى فان عدم العلم بالمنفعة لا يكون علما بعدمها ولا شيء في البدن خال عن المنفعة البتة وفي الطحال من المنافع انه يجذب الفضلة الغليظة العكرية السوداء من الكبد نوما من جنس العروق كالغنيق له فاذا حصلت تلك

الفضلة عنده انضجها وأحالها وهو ينضج غليظ الدم وعكره كما ينضج قواون غليظ الغذاء ويابس ويستعمل في فعله العروق الضواريب الكثيرة المبثوثة فيه كلها فما نضج واستحال إلى طبيعة صار غذاء له ومالم يمكن أن ينقلب إلى الدم الموافق له قذفه إلى المعدة بعنف في آخر من جنس العروق وإنما أمكنه جذب الفضل الأسود بقوة لحيته لأنه رخو متحلل مخفف كالاسفنج ولما اتصلت به العروق الضواريب الكثيرة استغنى بها عن انضاج الفضول السود وليبقى لحمه خفيفا متحللا لأن دم الشرايين رقيق لطيف قريب بطبيعته البخار فما اغتذى به كان خفيفا كالرئة ولكن الرئة تغتذى بما صفاورق وأشرق وكان أحر ناريًا وكذلك الرئة كانت أخف وزنا منه وأسخف جرما ومائلة إلى البياض وأما الطحال فيغتذى بما لطيف من الخلط الأسود وانطبخ في الشرايين فيستريح منه البدن ويغتذى به الطحال فالطحال يغتذى بغذاء لطيف من غذاء الكبد لأنه يرشح إليه من الشرايين التي صفا فأيهما يحبه جدا ولاجل سواد تلك الفضلة وكونها عكرة في الأصل لم يكن لون الطحال أحمر ولا مشرقا فأما الكبد فتغتذى بدم غليظ فاضل يرشح إليها من العروق غير الضواريب فلجودة غذائها كان لونها أحمر ولفضلته كانت كثيفة فالكبد تغتذى بدم أحمر غليظ والطحال بدم أسود لطيف والرئة بدم صاف مشرق في غاية النضج قريب من طبيعة الروح فجوهر كل عضو على ما هو عليه صير غذاءه ملائمة للغذاء شبيه بالمغتذى في طبعه وفعله وهذا كما أن حكمة الله سبحانه في خلقه فيه جرت حكمته في شرعه وأمره حيث حرم الأغذية الخبيثة على عباده لأنهم إذا اغتذوا بها صارت جزأ منهم فصارت أجزأؤهم مشابة لأغذيتهم إذ الغذاء شبيه بالمغتذى بل يستحيل إلى جوهره فلهذا كان نوع الإنسان اعدل أنواع الحيوان من أجا لا اعتدال غذائه وكان الاغتذاء بالدم ولحوم السباع يورث المغتذى بها قوة شيطانية سبعية مادية على الناس فمن محاسن الشريعة تحريم هذه الأغذية وأشباهاها إلا إذا طارضاها مصلحة أرجح منها كحل الضرورة ولهذا أكلت النصارى لحوم الخنازير فأورثها نوما من الغلظة والقسوة وكذلك من أكل لحوم السباع والكلاب صار فيه قوة ولما كانت القوة الشيطانية طارضة نابتة لازمة لذوات الأنياب من السباع حرمها الشارع ولما كانت القوة الشيطانية طارضة في الأبل أمر بكسرها بالوضوء لمن أكل منها ولما كانت الطبيعة الجارية لازمة للحمار حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الجمل الأهلية ولما كان الدم مركب الشيطان ومجرأ حرمه الله تعالى تحريما لازما فمن تأمل حكمة الله سبحانه في خلقه وأمره وطبق بين هذا وهذا ففهمه بابا عظيما من معرفة الله تعالى واسمائه وصفاته وهذا هو الذي حركنا لبسط النفس في هذا المقام الذي لا يكاد أن يرى فيه إلا أحد طريقين طريقة طيب معترض لوسحى مقلد لبقراط وطائفته قد عبرت عنه على الرسل وما جاؤا به وهو ممن قال تعالى فيه فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزئون وطريقة من يمجّد ذلك كله ويكذب قائله ويظن مناقاته للشريعة فيصمد حكمة الله تعالى في خلقه وإبداعه في صنعه وكلا الطريقين مذموم وسالكه من الوصول إلى الغاية محروم فلا تكذب بشرع الله ولا يمجّد حكمة الله وأكثر ما فسد الناس أنهم لم يروا

الاطباء زنديقا محلا عن الشرائع او متساهلا قادحا فيما جرت به حكمة الله وحشيته في خلقه منكرا للقوى والطبائع والاسباب والحكم والتعليل فاذا اراد الاول ان يدخل في الاسلام صده جهل هؤلاء ومكابرتهم للمعقول والحس واذا اراد ان يدخل في معرفة الحكم والفايات وما اودع الله في مخلوقاته من المنافع والقوى والاسباب صده زندقه هؤلاء وكفرهم واصراضهم عن ما جاءت به الرسل وقدحهم فيما عندهم من العلم فيختار دينه على عقله ويختار ذلك عقله وما استقر عنده مما لا يكابر فيه حسه ولا عقله على الدين وهذا قد بلا الخلق الاطباء والطبائعين احد انواع ادلة التوحيد والمعاد وصفات الخلق وما اخبرت به الرسل هو من اظهر ادلته ولا يزداد الباطن فيه الا ايمانا وما اخبرت به الرسل لا ينقض ما جرت به عادة الله وحكمته في خلقه من نصب الاسباب وترتيب مسياتها عليها بعلمه وحكمه فصدر خلقه وامره عليه تعالى وحكمته وآلاء الرب تعالى لا تتعارض ولا تتناقض ولا يبطل بعضها بعضا والله اعلم

**فصل في الكبد والطحال متقابلان والمعدة بينهما والعروق الضواري تصل بها المعدة والقلب بمنزلة النور او بمنزلة أنون الحمايم يسخن ماؤه وله الى كل بيت منفذ ينفذ فيه وهم النار اليه وكذلك الحمار الغريزي الذي منبعه من القلب ينفذ في مسالك ومنافذ الى جميع الاعضاء فيسخنها**

**فصل في وجعلت الاعضاء مسلكا مؤديا والمعدة هي الآلة تهضم الغذاء واستقراره والامعاء تؤدي ذلك الى الكبد ولما كانت الامعاء آلة الاداء والاتصال كثرت لفائضها وطولها كانت العروق التي تأتيها من الكبد لا تحصى كثرة ليعنف فيها الغذاء أولا وأولا وتستفيضه بسير اسير افلولا تطويل لفائض الامعاء اكان يخرج قبل اخذ خاصيته وكان يعرض اليهم بشهوة الاكل دائما وكان الانسان يعدم التفرغ لمصالحه وسائر اعماله وكان دائما مكبا على الغذاء ولهذا صار الحيوان الذي ليس لامعائه استدارات بل له معاء واحد مستقيم مكبا على الغذاء دائم الصبر عنه كالقيل وأما مالا معائه استدارات فانه اذا فارقه الغذاء او بعضه في الاستدارة الاولى صادفه في الثانية فانه هو فانه في الثانية صادفه في الثالثة والرابعة والخامسة كذلك فيمكن صبره على الغذاء حكمة بالغة وما ينفذ الى الامعاء يبعث من العروق الضاربة يأخذ من الغذاء جزأ يسيرا لطيفا وأما العروق غير الضاربة هي مجاري الغذاء بالحقيقة فأخذت اكثره وأما العروق الضاربة فجعلت مسلكا للارواح المنبثة من القلب فاستغنت بقليل الغذاء وجعل للقلب وصلة بالامعاء ليحسنها أولا ويمدها بقوة الحار باذن خالقه ثم يأخذ منها الجزء الملائم من الغذاء المستغنى عن فعل الكبد للطاقة جوهره فان هذا الجزء لو حصل في الكبد لم يؤمن اصراؤه وفساده فلا ينتفع به القلب ثم يأخذ منها عند شدة الحاجة وصدق الحاجة فيتعجل ذلك من أدنى المواضع ولذلك يشاهد من اكل مسنة شديدة يحس بزيادة وغناه في كل اعضائه حتى ما يمر الطعام بالمعدة قبل استقراره فيها فسبحان من انقن ما صنع ولما كانت المعدة آلة هضم الغذاء والامعاء آلة دفعه جعل للامعاء طبقتان ليقوى دفعها بهما جميعا وليكون حرزا لها وحفظا ولذلك من تعرض له فرحة الامعاء بانجراد احد الصفاقين يبقى الآخر سليما**

وجعلت الامعاء الغلاظ لقذف الثفل والرقاق لتأدية الغذاء والسبب في أن صار الانسان لا يحتاج الى تناول الغذاء دائما كثرة لفائف امعائه والسبب المانع من قذف الفضول دائما سعة الامعاء الغلاظ التي تقوم لها مقام وطاء آخر شبيه بالمعدة في السعة كما أن المثانة وطاء للبول كذلك فصل **في** ونحن نذكر فصلا مختصرا في هذا الباب نجمع ذلك شأنه بإيضاح وإيجاز إن شاء الله تعالى به الحول والقوة فنقول المرى موضع خلاف الحلقوم ومما يلي فقار الظهر وينتهي في ذهابه الى الجحباب وهو مشدود برباطات فاذا ابعده مال الى الجانب الايسر واتسع وذلك المتسع هو المعدة واسفلها يعود ما بلالى اليمن والمعدة مقر طبخه وقها هو المسدف منها ويسمونه الفؤاد وهذا من غلطهم الا أن يكون ذلك اصطلاحا خاصا منهم والفؤاد عند أهل اللغة هو القلب قال الجوهري الفؤاد القلب وقال الاصمعي وفي الجوف الفؤاد وهو القلب وقد فرق بعض أهل اللغة بين القلب والفؤاد فقال الليث القلب مضغعة من الفؤاد معلقة بالنياط وقالت طائفة مسدف القلب وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم جاءكم أهل اليمن أرق قلوبا وألين أفئدة ففرق بينهما ووصف القلب بالركة والافئدة باللين وأما كون غم المعدة هو الفؤاد فهذا لانهم أحدا من أهل اللغة قاله وتأمل وصف النبي صلى الله عليه وسلم القلب بالركة التي هي ضد القساوة والغلاظ والفؤاد باللين الذي هو ضد اليبس والقسوة فاذا اجتمع لين الفؤاد الى رقة القلب حصل من ذلك الرحمة والشفقة والاحسان ومعرفة الحق وقبوله فان اللين موجب للقبول والفهم والركة تقتضي الرحمة والشفقة وهذا هو العلم والرحمة وبهما كمال الانسان وربنا وسع كل شيء رحمة وعلما فلنرجع الى ما نحن بصدده فنقول المعدة مع المرى ذات طبقتين لطيفتين واللحم في الطبقة الداخلة أقل وهذا يغلب عليها البياض وهي عصبية حساسة وهي في الطبقة الخارجة أكثر وهذا يغلب عليها الحمرة وهي مربوطة مع الفقار برباطات وثيقة وتنتهي من جهة قعرها الى منفذ هو باب المعدة وبوابها يغلق عند اشتماله على الغذاء مدة هضمه ويقال لباطن جرم المعدة خجل المعدة والامعاء المصارين وهو وجع مصران بضم الميم وهو وجع مصير وسمى مصير المصير الغذاء اليه والسفلى يقال لها الاقتاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فتدلى اقتاب بطيه والعليا أرق من السفلى لما تقدم من الحكمة بأعلى الرقاق يسمى الاثنى عشر لان مساحته اثنا عشر اصبعاً ويليها المسمى بالصائم لقلة لبث الغذاء فيه لا لانه يوجد أبداً خالياً كما ظنه بعضهم فان هذا باطل حسا وشرطاً كما عند كرمو الثالث المسمى بالركة وفي الافائف هو أطول الامعاء وأكثرها ثلثاً فيفولبت الغذاء فيه أطول والعروق التي تأتيه من الكبد أقل وأما اللذان قبله فتصبيان في طول البدن قصيران ويقل لبث الغذاء فيهما وهو في الصائم أقل لبثاً وهذه الثلاثة تسمى الامعاء العليا والامعاء الرقاق وهي كلها في سعة البواب وأما الدامع وهو الأول من الثلاثة السفلى فيسمى الاور لانه لا منفذ له بل هو كالكيس يخرج منه ما دخل من حيث دخل وحكمته سبحانه يتم فيه ما يسر هضمه من الاشياء الصلبة كما يتم ذلك في قوائص الطيور ووضع في الجانب الايمن والخامس المسمى بقولون يتدنى من الجانب الايمن ويأخذ عرضاً الى الايسر ويحتبس فيه الثفل وربما يستقضى ما فيه والسادس هو الآخر وهو المعى المستقيم لانه مستقيم الوضع في طول البدن وهو واسع جداً يجمع فيه الثفل كما يجمع البول في المثانة وعليه الفضلة المانعة

بمخرج النفل بدون الارادة وقد صرح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن يأكل في معاء واحد والكافراً بكل في سبعة امعاء فأطلق على المعدة اسم المعاء تعالياً ولمشابهتها بالامعاء تكون كل واحدة من الامعاء والمعدة محلاً للغذاء وهذا لغة العرب كما يقولون القمران والعمران والركنان اليمانيان والشاميان والعراقيان ونظائر ذلك ولا سيما فان تركيب الامعاء كتركيب المعدة اذهى مركبة من طبقتين لحمية خارجية وعصية داخلية والطبقة الداخلية منها لزوجات متصلة بها لتغيتها من حر المبراز ووراء كثيفة وازيقة فلا تمسكه ولا يتعلق بها شيء منه ولما كان الكافر ليس في قلبه شيء من الايمان والخير يقتدى به انصرفت قواه ونهمته كلها الى الغذاء الحيواني البهيمي لما فقد الغذاء الروحي القلبي فتوفرت امعاؤه وقواه على هذا الغذاء واستفرغت امعاؤه هذا الغذاء وامتلأت به بحسب استعدادها وقبولها كما امتلئت به العروق والمعدة واما المؤمن فانه اغنياً بكل العلة ليتقوى بها على ما أمر به فهمته وقواه مصروفة الى امور وراء الاكل فاذا كل ما يغذيه ويقيم صلبه استغنى قلبه ونفسه ووروده بالغذاء الايماني عن الاستكثار من الغذاء الحيواني فاشتغل امعاؤه الواحد وهو قولون بالغذاء بما مسكه حتى أخذت منه الاعضاء والقوى مقدار الحاجة فلم يخرج الى ان يملا امعاء كلها من الطعام وهذا امر معلوم بالتجربة واذا قويت مواد الايمان ومعرفة الله وامعاؤه وصفاته ومحبتة والشوق الى لقائه في القلب استغنى بها العبد عن كثير من الغذاء ووجدتها قوة تزيد على قوة الغذاء الحيواني فان كثفت طباعك عن هذا وكنت عنه بمنزل فتأمل حال الفرح والسرور بجدد نعمة عظيمة واستغناء ممددة عن الطعام والشراب مع وفور قوته وظهور الدمية على بشرته وتغذيه بالسرور والفرح والانسية لذلك الى فرح القلب ونعيمه وابتهاج الروح بقربه تعالى ومحبتة ومعرفة كما قيل

لها أحاديث من ذكر انك تشغلها \* عن الطعام وتلهيها عن الزاد

وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته اني اظل عند ربى بطعمنى وبسقىنى وصدق الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه فان المقصود من الطعام والشراب التغذية المسكنة فاذا حصل له اعلى الغذائين وأشرفهما وأنفعهما فكيف لا يغنيه عن الغذاء المشترك واذا كنا نشاهد ان الغذاء الحيواني يغلب على الغذاء القلبي الروحي حتى يصير الحكم له ويضمحل هذا الغذاء بالكلية فكيف لا يضمحل غذاء البدن عن استيلاء غذاء القلب والروح وبصير الحكم له وقد كان صلى الله عليه وسلم يمكث الايام لا يطعم شيئاً وله قوة ثلاثين رجلاً ويطوف مع ذلك على نساءه كلهن في ليلة واحدة وهن تسع نسوة وهذا المسجع ابن مريم صلى الله عليه وسلم حتى لم يمت وغداؤه من جنس غذاء الملائكة وانت تشاهد المريض يمكث الايام العديدة لا يأكل ولا يشرب لا يشتغال نفسه بمحاربة المرض ومدافعته واكتفاء الطبيعة ببقية الغذاء الذي في الامعاء والمعدة مع مدة الحرب فاذا وضعت الحرب أوزارها رأيت شدة طلبه للغذاء فالتفت والمحب والفرح والحزن والمستولى عليه الفكر لا تطالبه نفسه من الغذاء الخالي من ذلك فصل في الكبد عضو لحمي تخله عروق رقائق وغلاظ وعلى الكبد غشاء عصبي حساس يحيط بها ويثني الى خلافه والكبد هي الاصل في الغذاء وآلات الغذاء خدام لها ومعينات فان الانسان لما كان كالشجرة المستقلة جعل له ما يقوم مقام النهر الجاري في اصول



الشجر بسقها وهو الامعاء والمعدة بمنزلة العين ونجى منها السواقي وعروق الكبد المتصلة بالامعاء بمنزلة عروق الشجرة المتصلة بأرض الساقية تنص الماء منها وتؤدي به الى الشجرة واغصانها وورقها وثمارها وهذه العروق تنص الماء من الطين والترى وكذلك عروق الكبد تنص صفو الماء وخالصه من كوليته ونجليه الى طبيعة الاعضاء كما تفعل عروق الشجرة وشكل الكبد شكل هلالى محدب من ظاهره مقعر من باطنه وهي تحت الاضلاع الخمس ولها خمس شعب يقال لها الزوائد تحتوى على المعدة كما تحتوى الكف بأصابعها على الشئ المقبوض ويقال للشعبة الصغيرة منها خاصة زائدة الكبد وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سبعين ألفا من أهل الجنة يأكلون من زيادة كبد الحوت الذي هو أول طعامهم وهذا يدل على عظم قدر هذه الزائدة في الظن بالكبد التي هي زائدة فكيف بالحوت الذي حواها ومقرها يسمى المورد لانه يورد الغذاء من المعدة والامعاء ويسمى باب الكبد ثم تنشعب هذه العروق من جانبيه بشعب تنصل بالامعاء وتسمى الجداول لشبهها بالسواقي الصغرى تؤدي الى مقرة عظيمة ولهذه الجداول أغشية من فوقها ومن تحتها تستدير مع الامعاء العروق المتصلة بها وتسمى هذه الاغشية وما تحويه المرباط

**فصل في العرق الثاني** ينقسم في مجذبا الى عروق صفراء واصفر منها حتى تبلغ قابلية الرقة ثم تعود وتجمع مع أول وأول على قياس ما تفرق وأخذ من كثرة الى وحدة ومن رقة الى غلظ حتى يجمع منها العرق الخارج من الكبد المسمى بالاجوف ومنها يتأدى الدم الى البدن كله وحين يخرج ينقسم قسمين فيأخذ أحدهما نافذ في الجباب نحو القلب ويسمى الوتين قال أهل اللغة الوتين حرق يسقى القلب قال في الصحاح الوتين حرق في القلب اذا انقطع مات صاحبه وتبينه أصيب فهو موتون وقال الواحدى الوتين بباط القلب وهو حرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب اذا انقطع بطلت القوى ومات صاحبه وهذا قول جيع أهل اللغة وأنشدوا للشماخ

اذا بلغني وحلت رحلى \* حراة فاشربى بدم الوتين

وقال ابن عباس وجهور المفسرين هو حبل القلب وبساطه وأما الابر الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم هذا أو ان انقطع أهرى فقال الجوهرى الابر حرق اذا انقطع مات صاحبه وهما أهران يخرجان من القلب ثم تنشعب منهما سائر الشرايين وأنشدوا للاصمعي

ولفؤاد وجيب عند أهره \* لدم الغلام وراء الغيب بالجهر

**فصل في المرارة** موضوعة على الكبدواها مجريان أحدهما متصل بتغير الكبد يجذب المرة الصفراء والاخر متصل بالامعاء العليا تنصب المرة ليغسلها ويجليها ويتصل منه السر بأفل المعدة ليخرج الغذاء فيكون فيه معونة على هضمه

**فصل في القوة التي وكلها الله سبحانه** ونعمالى تدبير البدن من أعظم آياته الدالة عليه فانها تفعل في الطعام والشراب الواردين عليه أفعالا متنوعة من تقطع وتفصيل وتفرغ وتحليل وتركيب فبدأ ذلك في الفم وهو تقطيعه بالأسنان وهضمه واختلاطه بالارطوبات التي فيه وانهضامه منه انهضاما تاما ثم بعد ذلك عند وروده الى المعدة تهضمه هضمًا آخر

ويسمى الهضم الاول ويعينه على هضمه ما يجاورها من الاعضاء في الكبد عزميها والطحال  
من يسارها والقلب من فوقها والمرى امامها والامعاء السبل الموصلة اليها والعروق  
الطرق المؤدية منها والحرارة النار الطابخة لطعام فيها والقوة الهاضمة والجاذبة والغاذية  
والدافعة خدما لها فاذا انهضم الطعام فيها صار كبلوما شبيها بما الكشك الثخين ثم تنهز صوبه  
ولطيفه فتقذفه العروق الرقاق الشعرية اليهن برقة الشعر ويجذب الى الكبد فاذا ورد هذا  
اللطيف الى الكبد اشتملت عليه بجملة فطبخته وتهضمت واحالته الى جوهرها وصيرته دما  
ويسمى هذا الهضم الثاني ولما كان هذا الانضاج والطبخ يشبه طبخ القدر علاه شئ كالرغوة  
والزبد وهو الصفراء ورسب منه شئ مثل العكر وهو السوداء وتخلف على تمام النضج شئ  
بقي على فجوته وهو الباق والشيء الذي يصني ويبقى من ذلك كله هو الدم فاندفع من الكبد  
في العرق الاعظم المعروف بالاجوف بعد ان تصفت عنه المائية الى آلة البول فيسلك هذا  
الدم في الاوردة المتشعبة من الجوف ثم في جداول متقبضة من الاوردة ثم في سواق متقبضة  
من الجداول ثم في رواق مشتقة السواق ثم في عروق رقاق شعرية ثم برشح من افواهها في  
الاعضاء لتغذي به قحله الاعضاء ونسبه بجوهرها فيصير في اللحم لحما وفي العظم عظما  
وفي العصب عصبيا وفي الظفر ظفرا وفي الشعر شعرا وفي السمع والسمع والبصر وآلة الحس كذلك  
تبارك من هذا صنعه في قطرة من ماء مهبين

**فصل في** الدم هو الخلط الاصل والغذاء الحقيقى للبدن والمخاف عليه بدل ما ينقص  
ويتخلل منه والاخلط الاخر كالابازير والتوابل وهي صنفان صنف لطيف وهو دم  
القلب وغليظ وهو دم الكبد ومثله مثل السلطان اذا كان وقورا حليما ساكنا ماشتبه  
رحيته واذا غضب واحتد قتل

**فصل في** وأما الباق فخلط فح مستعدين يستكمل نضجه عند وصول الغذاء اذا تولته  
الحرارة الغريزية فهضمته وصيرته دما فتكون في المعدة والامعاء وفي الكبد عند قصور  
الهضم وفيه من المنفعة انه يرطب البدن ويمل المفاصل لسلس حركاتها ويخلط الدم في  
تغذية الاعضاء البلغمية المزاج كالدماغ فان قيل لما كانت الاعضاء محتاجة ان يكون قريبا  
منها لترطيبها لم يجعل له عضو يختص به لاسيما والاعضاء تغذى به اذا هوزها الغذاء

**فصل في** وأما الصفراء فخلط لطيف حار وحاجة البدن اليها في ان تخلط الدم وترقه  
بلطفها وتنزله في المسالك الضيقة وتعينه في تغذية الاعضاء الحارة الباردة وما ينفصل عنها  
ما يستغنى عنه تبصني الى المرارة لتأخذ نصيبها منه وما تستغنى عنه المرارة تصبه الى الامعاء  
ليفسلها عن لطخة الاثقال وتزوجنها ولتدع عضل المعدة فيحس بالحاجة الى التبرز

**فصل في** وأما المرارة السوداء فخلط بارد يابس وفيه من المنافع انه ينفذ مع الدم في  
العروق ايشده ويقويه ويكفيه ويمسكه ويمنعه من سهولة الحرمة عند الحاجة الى ذلك ويعينه  
على تغذية الاعضاء المحتاجة ان يكون في غذائه شئ من السوداء كالعظام وما اتصل منه  
واستغنى عنه يصنى الى الطحال فيصفيه الطحال جدا ويتغذى به ثم يحلب ما يستغنى عنه الطحال  
الى فم المعدة فيدخره بالجوضة التي فيه فتعرك الشهوة ويحس بالجوع فتطلب الاعضاء

القصد - وي معلومها وراتبها - من الاعضاء التي تليها وتطالبه الاعضاء التي تليها - من التي تجاورها وهكذا حتى ينتهي الطلب الى المعدة فالجوع طلب الاعضاء - القصد - وي معلومها من الاعمال الدنيا

فصل في ولما اقتضت حكمة الرب جل جلاله وتقدست اسماءه ولا اله غيره حيث كان بدن الانسان مشبها في احواله بالمدينة ان يوجد فيه اعضاء رئيسة تقوم بمصالحها كما تقوم رؤساء المدينة بمصالحها يكون لها بمنزلة الولاة والامراء واعضاء تكون خادمة لهذه الاعضاء الرئيسة فان الرئيس لا يكون رئيسا الا برؤوس وهي - منزلة الشرط والمحاورة والتعباء وان يوجد فيها اعضاء كالرعية وهي قسمان ماله اتصال بالرؤساء وان لم يكن له اتصال بخدمة ومالاتصال بهم بل هو مستقل بنفسه فالاعضاء اذا بهذا التقسيم أربعة أحدها الاعضاء الرئيسة المخدومة الثاني الاعضاء المرؤوسة الخادمة الثالث الاعضاء المرؤوسة بلاخدمة الرابع الاعضاء التي ليست رئيسة ولا مرؤوسة

فصل في والاعضاء الرئيسة انما استحققت الرياسة لشرفها اذ كانت هي الاصول والمعادن والمبادئ للقوى الاولوية في البدن المضطر اليها في بقاء الشخص والنوع وهي بحسب بقاء الشخص ثلاثة القلب والكبد والدماغ وبحسب بقاء النوع أربعة الثلاثة المذكورة والاثنيان واما القلب فهو الذي جعله الخلاق العليم قائما بأمر البدن كقيام الملك بالرعية وهو أول عضو يتحرك في البدن وآخر عضو يسكن منه وهو مبدأ جميع الخلق وما يلحقه من صلاح أو فساد يتأدى منه الى غيره من الاعضاء واما الكبد فهي - والعضو الذي يقوم لحفظ الحياة او كانت هي التي قلنا الاعضاء بالغذاء ليعتق البدن محفوظا ما يمكن بقاءه واما الدماغ فهو العضو القائم بأمر الحس والادراك وتكميل الحياة اذ فيه آلات الاحساس التي بها يعرف النافع من الضار والملائم من المنافر صارت الحياة ناعمة صالحة متجاوزة لزينة حياة النبات واما الاثنان فهما اللذان يقومان لحفظ بقاء النوع

فصل في واما الاعضاء الخادمة فالرئة والشرابين الحاملة المؤدية من القلب الحرارة الغريزية والقوى والارواح الحيوانية التي بها قوام البدن فهذان خادمان القلب والمعدة والاوردة خادمان للكبد والاوردة تنفذ الدم الغاذي والقوى الى جميع البدن والكبد خادمة الدماغ وكذلك الاعصاب التي بها يحصل الحس والحركة والاثنيان يخدمهما الاعضاء المؤدية للمنى والمجاري المؤدية عنهما الى موضع التوالد

فصل في واما الاعضاء المرؤوسة بلاخدمة فهي اعضاء مختصة بقوى لها طبيعة بها تم تدبيرها ويستقيم أمرها ولا يدفع ذلك أن يقبض عليها من الاعضاء الرئيسة قوى عدها باذن الله تعالى كالاذن والعين والانف فان كل واحد منها يقوم بأمر نفسه بما فيه من القوة الطبيعية التي أعطاها اياه الخالق سبحانه ولا يتم ذلك الا بأن تأتيا قوة حساسة تنزل عليها من الدماغ باذن الله تعالى

فصل في واما الاعضاء التي ليست برئيسة ولا مرؤوسة فهي التي اختصت بقوى غريزية فيها من أصل الخلقة في أول التكوين ليتم بها قوام أمرها وتدبيرها في اجاب الملتزم ودفع المضار كالعظام والغضاريف ومائر الاعضاء المتشابهة الاجزاء مثل الرباطات والاعصاب

والاوتار والشرابين والاوردة والاغشية واللحم والعظام كالاساس والاعطش وانات لبناء  
هيكل البدن فان قيل هل في العظام قوة الاحساس وحياته أم لا قيل هذا موضع اختلف فيه  
أرباب الشريعة فيما بينهم وأرباب الطبيعة فيما بينهم فقالت طائفة لاحياة في العظام وان كان  
فيها قوة النمو والاختذاء قالوا ان الحياة انما هي الروح الحيواني ولا حظ للعظام فيه قالوا  
ولان مركب الحياة انما هو الدم المبيت في العروق والاعصاب واللحم ولهذا لم يكن للشعر ولا للظفر  
نصيب من ذلك ولهذا لم يألم الانسان بأخذه قالوا فحياة العظام والشعر حياة نمو واختذاء  
وحياة اعضاء البدن حياة نمو واحساس قالوا ولهذا قلنا ان العظام لا تنبسط بالموت ولانها  
لم يكن فيها حياة نزول بالموت قالوا وزوال النمو لا يوجب نجاسة ما فارقه بدليل ببس الزرع  
والشجر قال آخرون الدليل على ان العظام تحملها الحياة قوله تعالى قال من يحيي العظام  
وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة والحس بدل على ذلك أيضا فان العظم يألم  
ويضرب ويسكن وذلك نفس احساسه قالوا ولا يمكن انكار كون العظام فيها قوة حساسة  
نحس بالبارد والحار قال الآخرون الاحساس والالم ليس للعظم في نفسه وانما هو لما جاوره  
من اللحم قال المنازعون لهم هذا مكابرة ظاهرة فان العظم نفسه يألم ولا سيما اذا تصدع  
ثم ان الانسان والاضراس نحس بالالم والحار والبارد بأنفسها لا بمجاورها من اللحم  
ولهذا توسطت طائفة ثالثة وقالت عظام الاسنان خاصة لها الاحساس بخلاف  
سائر العظام وهو لا قد سلموا المسئلة من مكان قريب فان الذي دل على احساس  
الانسان وحياته انها هـ والادال على حياة سائر العظام والشبهة التي ذكروها لو صحت  
لمنت من احساس الاسنان واما حديث الطهارة والنجاسة فذلك لامر آخر وراء الحياة  
من نجسها بالموت سوى بينها وبين اللحم ومن لم ينجسها وهو الراجح في الدليل فذلك لعدم قلة  
التنجيس فيها وان الموت ليس لعلة النجاسة وانما هو دليل العلة وهيها والعلة هي احتقان الفضلات  
في اللحم والعظم برى من ذلك والدليل على هذان الشارح لم يحكم بنجاسة الحيوان التام  
الذي لانفس له ما ثلة لعدم احتقان الفضلات فيه فلتلا يحكم بنجاسة العظم أولى وأحرى  
فان الرطوبات التي في الذباب والعقرب والخنافس اكثر من الرطوبات

**فصل** والذي احصاه المشرعون من العظام في البدن مائتان وثمانية واربعون عظما  
سوى الصغار المسحوبات التي أحكم بها مفاصل الاصابع التي في الخبيرة وقد أخبر النبي صلى  
الله عليه وسلم أن الانسان خلق من ثلاثمائة وسنتين مفصلا فان كانت المفاصل هي العظام فقد  
اعترف جالينوس وغيره بأن في البدن عظام صغار لم تدخل تحت ضبطهم واحصائهم وان كان  
المراد بالمفاصل المواضع التي تنفصل بها الاعضاء بعضها من بعض كما قال الجوهري وغيره  
المفصل واحد مفاصل الاعضاء فذلك أهم من العظام فتمأمله وان السلاميات المذكورة في  
الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث ابي ذر يصبح على كل سلامي من أحدكم  
صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة  
الحديث فالسلامي العظم وجهه سلاميات فهنا ثلاثة امور اعضاء وعظام ومفاصل وجعل  
الله سبحانه العظام اصلب شيء في البدن لتكون اسما وعمدة في البدن اذا كانت الاعضاء

كلها موضوعة على العظام حتى القلب كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى وهي حاملة  
 للاعضاء والحامل اقوى من المحمول ولتكون وقاية وجنة ايضا كالقحف فانه وقاية  
 الدماغ وعظام الصدر وقاية له وجعلت العظام كثيرة لفوائدها ومنافع عديدة منها الحركة  
 فان الانسان قد يحتاج الى حركة بعض اجزائه دون بعض وقد يحتاج الى حركة  
 جزء من عضو ومنها انه لو كان على عظم واحد لكان اذا اراد ان يتحرك تحرك بجملته ومنها  
 انه كان يتعذر عليه الصنائع والحل والربط ومنها انه اذا اصابه آفة عمت جميع البدن فجعلت  
 العظام كثيرة ليكون متى نال بعضها آفة لم تسر الى غيره وقام غيره من العظام مقامه في  
 تحصيل تلك المنفعة ومنها تعذر المنافع التي حصلت بسبب تعدد العظام ولولا كثرتها  
 وتعدد هالفات تلك المنافع ومنها ان من العظام من يحتاج البدن الى كبيرة ومنها ما يحتاج  
 الى صغيرة ومنها ما يحتاج الى مستطيلة ومنها ما يحتاج الى مجوفة ومنها ما يحتاج الى مخفية  
 ومنها ما يحتاج الى مستقيمة ولا يحصل ذلك الا بتعدد العظام ومنها ما يدب مع الصنع وحسن التأليف  
 والتركيب وغير ذلك من الفوائد ثم شدد الخالق بعضها الى بعض بالرباطات والاسر المحكم ثم  
 كساها لحما حفظا لها وقاية ثم كسى اللحم جلدا صونا له ولما كانت الفضلات تنقسم الى  
 لطيفة وخبثية جعل الله سبحانه للخبثية منها مجارى تجذب فيها الى اسفل ويخرج منها  
 خروجها ظاهرا للحس وأما اللطيفة فهي الفضلات البخارية فان من شأنها ان تصعد  
 الى فوق وتخرج عن البدن بالتفصيل جعل في العظام العليا منها منافذ يتخلل منها البخار  
 المتصاعد فلم تكن تلك المنافذ محسوسة لئلا يضعف صوان الدماغ وهو القحف بوصول  
 الاجسام المؤذية اليه فجعل الدماغ مركبة من عظام كثيرة ووصل بعضها ببعض بوصل  
 يقال لها الشؤون ومنه قولهم فلان لم يجمع مع شؤون رأسه ويشتمل الرأس بمجملة اجزائه  
 على تسعة وخمسين عظما وجعل القحف مستديرا تاما في مقدمه ومؤخره وجانبه بمنزلة  
 غطاء القدر وعظامه ستة وهي عظم البافوخ وعظم الجبهة وعظم مؤخر الرأس والعظم  
 اللذان فيهما نقباء السمع وفي كل واحد من الصدغين عظمين مصمتان وعظام الحسى الاعلى  
 اربعة عشر عظما ستة منها في محاجر العينين واثنان للأنف واثنان تحت الأنف وهما المنقوبان  
 الى الفم واثنان في الوجنتين واثنان تحت الشفة العليا وأما العظم الشبيه بالوند فهو واحد  
 وهو كاتحاده للرأس وعظام الحسى الاسفل اثنان وهما متصلان في وسط الذقن وبينهما  
 بفتان وتصلان من فوق بالحسى الاعلى اتصالا مفصليا والاسنان اثنان وثلاثون في كل  
 حى ستة عشر ثنيات وتليها الرباصيات وتليهما النابان وتليهما الاضراس خمسة من هنا  
 وخمسة من هنا والنواجذ اول الاضراس وهما تاجدان في كل ناحية تاجذ ورعا نقصت  
 النواجذ في بعض الافراد وكان في كل جانب اربعة اضراس وقد سلم الله غذاء الانسان  
 الى يده فتأخذه قسله الى شفتيه قسله الشفتان منها قسله الى الانياب والثنابا فتفصله ثم  
 تسله الى الاضراس قسله وتطحنه ثم تسله الى اللسان والفم فيعجنه ثم يسله الى الحلقوم  
 والمرى فيسله ويوصله الى المعدة قطبجه وتنضجه وتصلحه كما ينبغي ثم تسله الى الكبد  
 فيسله منها ثم يرسل به الى كل عضو راتبه ومعلومه ثم تصب قربة الصفراء في المראה

السوداء في الطحال والثفل يخرج منه كما تقدم بيانه  
 فصل في الرأس يقال بالعموم على ما قبله العنق بحملته ويقال بالخصوص على الفروة  
 وهي جلدة الرأس حيث منبت الشعر والجمجمة العظم الذي يحوي الدماغ وهي مؤلفة من  
 سبع قطع متقابلة تسمى القبائل وتسمى مواضع التماس كيف شؤونا ووسط الجمجمة يسمى  
 الهامة وحاد الهامة من الجانبين قرن الرأس وحاد الهامة من المقدم اليافوخ ومن المؤخر القمعدوة  
 وهي ما يصيب الارض من رأس المستلقي على ظهره وله ثلاث حدود نقرة الفقار والقذالان  
 ونقرة القفا حدها من آخر الوسط والقذالان جانبيا النقرة وقد تقدم تفصيل القبائل  
 السبع وسنظهر الجمجمة عما يحيط بها السمحاق وسطها خشاوانان احدهما يلي الجمجمة وهو  
 اثنيهما وأصلبهما والآخر يكشف الدماغ ويحيط به ويخالطه ويقال لكل منهما أم  
 الدماغ ويسميان الامان ومنه الآمة والمأمومة التي فيها ثلث الدية وهي الجراحة التي تبلغ  
 أم الدماغ ويقال لها تجويف في الدماغ بطن وهي ثلاث بطون وبين بطنى الدماغ اللذين  
 في مؤخره ووسطه يجري فيه قطعة من الدماغ مستطيلة شبيهة بالدودة ينسد ذلك الجرى  
 وينفتح بها وتحت الدماغ سبلة مبسوطة مؤلفة من عروق ضوارب يتولد منها روح  
 نفساني ينفذ الى البطنين اللذين في مقدم الدماغ وفي الدماغ البركة والحوض والقمع والدودة  
 والبطون والاعشية ومبادئ الاعصاب ويحتوى الدماغ على ثلاث خزائن ناذ بعضها  
 الى بعض ويسمى بطونا فالاولى في مقدمته تنقسم الى قسمين والثانية في وسطه والثالثة في  
 مؤخره وجوهر الدماغ مخي متزرد الشكل كأنه زرد مجع والروح النفساني مثبت في  
 خلل الزرد والدماغ مقسوم في طوله لنصفين متضامين والتنصيف في مقدم  
 والغشاآن يدخلان في فصول الدماغ وتزريده والصلب منهما يدخل بطونا بين جزئى  
 البطن المقدم فيجز بينهما وتحت مصفى كالبركة تسمى المعصرة تصب في العروق الدم  
 المنضج وتبعث في جداول تسقى البطن المقدم وتجتمع الى عرقين كبيرين يحملان الدم الى  
 البطن الاوسط والمؤخر والبطن الاوسط كدهليز ومنفذ بين المقدم والمؤخر وسقفه معقود  
 كالازج والدماغ موصوع طولا على زائدين الفخذين متقاربين فينمسان ويتباعدان الى  
 الانفراج فيفتح الدهليز ويترامى البطنان المقدم والمؤخر والجزء المؤخر اخفى تدويرا من المقدم  
 واصغر زردا وهو كرى الاستطالة ويستدق على التدرج حتى يسيل منه الخضاع كالجدول من  
 العين وفي الدماغ مجريان احدهما في آخر المقدم والمؤخر في الاوسط لدفع فضوله ويحتممان عند  
 منفذ واحد عيني اولى في الغشاء الرقيق والآخر في الغشاء الصلب يأخذ الى ضيق كالقمع ولما كان  
 الدماغ مبدأ حركات البدن الى ارادته لم يكن به حاجة الى الحركة القوية محوط عليها بسور من  
 عظام بخلاف المعدة والكبد والرحم وسائر آلات الغذاء فانها لما احتاجت أن تتسع وتملى بالغذاء  
 فعمل مرة بعد اخرى وأن تقصر عن الفضول فخرجهما والعظم يمنع من ذلك ويكفي فيه الفضل  
 وحده فأحيط عليه بسور من عظم وأما الصدر فانه لما احتاج الى الوثاقة بالعظام والى  
 الحركة بالفضل الف الصدر منهما وكان البطن أوسع من الصدر لما يحق به من آلات الغذاء

والتنفس والطمس والمرى وغيرها

فصل في فاعته قبل الآن النظر في نفسك من رأس وانظر الى المبدأ الاول وهو النطفة التي هي قطرة مهيبة ضعيفة او تركت ساعة لبطلت وفسدت كيف اخرجها رب الارباب من بين الصلب والترائب وكيف اوقع المحبة والالفة بين الذكور والاناث ثم قادهما بسلسلة المحبة والشهوة الى الاجتماع ثم اسخرج النطفة من الذكر بحركة الواقع من اعماق العروق وجعلها في الرحم في قرار ممكن لا تناله يد ولا تطلع عليه شمس ولا يصيبه هواء ثم صرف تلك النطفة طورا بعد طور طبقة بعد طبق وغذاها بما جاء الحيض وكيف جعل سبحانه النطفة وهي بيضاء مشرقة حلقة حمراء ثم جعلها مضغة ثم قسم اجزاء المضغة الى العظام والاعصاب والعروق والاوراق واللحم في داخل الرحم في الظلمات الثلاث ولو كشف لك الغطاء لرأيت الخليط والتصوير يظهر في تلك النطفة شيئا بعد شيء من غير أن ترى المصور ولا آله ولا قلبه فهل رأيت مصورا لا تمس آله ولا تلاقيها ثم تأمل هذه القبة العظيمة التي قد ركبت على المتكئين وما أودع فيها من العجائب وماركب فيها من الخزائن وأودع في تلك الخزائن من المنافع وما اشتملت عليه هذه القبة من العظام المختلفة الاشكال والصفات والمنافع ومن الرطوبات والاعصاب والطرق والمجاري والدماغ والمنافذ والقوى الباطنة من الذكر والفكر والنخيل وقوة الحفظ ففيه القوة المفكرة والذاكرة والخيلة والحافظة وهذه القوى مودعة في خزائنها مسخرة لمصالحها يستعملها ويستخدمها كيف أراد فتأمل كيف دور سبحانه الرأس وشق سمعه وبصره واتقده وقد وكيف ركب كريبه في بطن الام من ثلاثة وعشرين عظما وخلق تلك العظام على كيفيات مختلفة وتأمل كيف انقلبت تلك النطفة الهينة الضعيفة الى العظام الصلبة الشديدة ثم تأمل كيف قدر سبحانه كل واحد من تلك العظام بشكل مخصوص بحيث حصل من مجموعها لبطلت المنفعة وفات الغرض ثم ركب بعضها من بعض بحيث حصل من مجموعها كرة الرأس على هذه الخلقلة المخصوصة ولما كان الرأس اشرف الاعضاء الانسانية واجمعها للقوى والمنافع والآلات والخزائن اقتضت العناية الالهية بأن صين بأ نواع من المصانعات وذلك أن الدماغ يحيطه غشاء رقيق وفوق ذلك الغشاء غشاء آخر يقال له السمحاق ثم فوق ذلك الغشاء طبقة لحمية وفوق تلك الطبقة اللحمية الجلد ثم فوق الجلد الشعر فتداني سبحانه فوق دماغك سبع طبقات كما خلق فوق الارض سبع سموات طباقا والمقصود من تخليقها الاحفاظ في صون الدماغ من الآفات والدماغ من الرأس بمنزلة القلب من البدن وهو سبحانه قسمه في طوله ثلاثة اقسام وجعل القسم المقدم محل الحفظ والنخيل والبطن الاوسط محل التأمل والتفكر والبطن الاخير محل الذكر والا - ترجاع لما كان قد نسبته ولكل واحدة من هذه الامور الثلاثة أمر مهم للانسان لا بد له منه وانه محتاج الى التفهم والتفهيم ولو لم يكن حافظا لمعاني التصورات وصورها بعد خيبتها لكان اذا سمع كلمة وفهمها شذت عنه عند مجئ الاخرى فلم يحصل المقصود من الفهم والافهام فيعمل له ربه وقطره خزانة تحفظ له صور المعلومات حتى يجمع له وتسمى القوة التي فيها القوة الحافظة ولا تتم مصلحة الانسان الا بهما فانه اذا رأى شيئا ثم غاب عنه ثم رآه مرة أخرى عرف ان هذا الذي رآه الآن هو الذي



رآه قبل ذلك لانه في المرة الاولى ثبت صورته في الحفظ ثم توارى عنه بالجباب فلما رآه مرة  
 ثانية صارت هذه الصورة المحسوسة مطابقة للصورة المعنوية التي في الذهن فحصل الجزم  
 بأن هذا ذلك ولولا القوة الحافظة لما حصل ذلك ولما عرف أحد أحوال مدغميته عنه ولذلك  
 اذا طالت الغيبة جدا وانمحت تلك الصورة الاولى من الذهن بالكلية لم يحصل له العلم بأن هذا  
 هو الذي رآه أولا الا بعد تفكر وتأمل وقد قال قوم ان محل هذه الصور النفس وقال قوم  
 محلها القلب وقال قوم محلها العقل ولكل فريق منهم حجة وادلة وكل منهم ادراك شيئا وقاب  
 عنده شيء اذا ادراك المذكور مفتقر الى مجموع ذلك لا يتم الا بهما الحقيقي ان منشأ ذلك ومبده  
 من القلب وفهائمه ومستقره في الرأس وفي المسئلة التي اختلاف فيها الفقهاء هل العقل في القلب  
 او في الدماغ على قولين حكيا روايتين عن الامام أحمد والحقيقي ان اصله ومادته من القلب  
 وينتهي الى الدماغ قال تعالى افلم يسروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان  
 يسمعون بها فجعل العقل في القلب كما جعل السمع بالاذن والبصر بالعين وقال تعالى ان في ذلك  
 لذكرى لمن كان له قلب وقال غير واحد من السلف ان كان له عقل واحجج آخرون بأن الرجل  
 يضرب في رأسه فيزول عقله ولولا ان العقل في الرأس لما زال ظن السمع والبصر لا يزولان  
 بضرب اليد أو الرجل ولا غيرهما من الاعضاء لعدم تعلقهما بهما وأجاب أرباب القلب عن  
 هذا بأنه لا يمتنع زواله بفساد الدماغ وان كان في القلب لما بين القلب والرأس من الارتباط  
 وهذا كما لا يمتنع نبات شجر الحياة بقطع الاثنيين وفساد القوة بفساد العضو قد يكون لانه  
 محلها وارتباط به والله أعلم وعلى كل تقدير فذلك من أعظم آيات الله وأدله وقدرته  
 وحكمته كيف نرسم صورة السموات والارض والبحار والشمس والقمر والاقاليم  
 والممالك والامم في هذا المحل الصغير والانسان يحفظ كتبها كثيرة جدا وعلمها شتى  
 متعددة وصنائع مختلفة فترسم كلها في هذا الجزء الصغير من غير ان يحفظ بعض هذه الصور  
 بعض بل كل صورة منهم بنفسها محصلة في هذا المحل وانت لو ذهبت تنقش صور او اشكالها  
 كثيرة في محل صغير لا اختلط بعضها ببعض وطمس بعضها ببعض وهذا الجزء الصغير تنقش  
 فيه الصور الكثيرة المختلفة والمضادة ولا يبطل منها صورة ومن اعجب الاشياء ان هذه  
 القوة العاقلة تقبل ما تؤديه اليها الحواس فتجتمع فيها ثم تعيد كل حاسة منها فائدة الحاسة  
 الاخرى مثاله انك ترى الشخص تعلم انه فلان وتسمع صوته تعلم انه هو وتلمس الشيء  
 فتعرفه وتشمه فتعرف انه هو ثم تستدل بما تسمعه من صوته على انه هو الذي رأيته فيخبرك  
 بسماع صوته عن رؤيته ويقوم لك مقام مشاهدته ولهذا جاوز اكثر الفقهاء  
 شهادة الاعى وبيعه وشراءه وأجمعوا على جواز وطئه امراته وهو لم يراها قط اعتمدا  
 منه على الصوت بل لو كانت خرساء أيضا وهو أطرش جازله الوطء وقد جعل الله سبحانه  
 بين السمع والبصر والفؤاد علاقة وارتباطا وتقوذا يقوم به بعضها مقام بعض ولهذا  
 بقرن سبحانه بينهما كثيرا في كتابه كقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه  
 مشتولا وقوله تعالى وجعلناهم سمعا وابصارا وأفئدة وقوله لهم قلوب لا يعقلون بها ولهم  
 آذان لا يسمعون بها وهذا من عنابة الخالق سبحانه بكمال هذه الصورة البشرية لتقوم كل

حاسة منها مقام الحاسة الاخرى وتفيد فائدتها في الجملة لاني كل شئ ثم اودع سبحانه قوة التفكير وأمره باستعمالها فيما يجدي عليه النفع في الدنيا والآخرة فركب القوة المفكرة شيئين من الاشياء الحاضرة عند القوة الحافظة تركيبا خاصا فينـ واد من بين ذلك الشيئين شئ ثالث جدير لم يكن للعقل شعـ ور به ولما كانت مواده عنده انكن بسبب التركيب حصل له الامر الثالث ومن ههنا جعل استخـ راج الصنـ ثع والحرف والعلوم وبناء المدن والمساكن وامور الزراعة والفلاحة وغير ذلك فلما استخرجت القوة المفكرة ذلك واستحسنته سلمته الى القوة الارادية العلية فنقلته من ديوان الازهان الى ديوان الاحيان فكان امرا ذهنيا فصار وجوديا خارجيا ولولا الفكرة لما اهتدى الانسان الى تحصيل المصالح ودفع المفاسد وذلك من اعظم النعم ونعمام العناية الالهية ولهذا لما فقد البهائم والمجانين ونحوهم هذه القوة لم يتمكنوا مما يمكن منه ارباب الفكر ولما كان استخراج المطلوب بهـ ذه الطريق يتضمن فكرا وتقديرا فيفكر في استخراج المسادة اولاهم بقدرها ويفصلها ثانيا كما يصنع الخياط بحصل الثوب ثم يـ دره ويفصله ثانيا قال تعالى عن الوحيد ذرني ومن خلقت الى قوله انه فكر وقدر فقتل كيف قدر فكرك سبحانه التقدير دون التفكير وذمه عليه دونه وهذا منزل على مقتضى الحال سواء فانه بالفكر طالب لاستخراج الجاهول وذلك خير مدموم فلما استخرج قدره تقديره تقدير كليا وجزئيا فالتقدير الكلي ان الساحر هو الذي يفرق بين المرء وزوجه والتقدير الجزئي الذي يفرق بين المرء وزوجه فهنا تقدير بعد تقدير فلهذا كره سبحانه وذمه عليه وأما التفكير فان الفكر طالب لمعرفة الشئ فلا بد من بخلاف من قدر بعد تفكيره ما يوصله الى تحقيق الباطل وابطال الحق فناء له

**فصل** ثم انزل الى العين ونأمل عجائبها وشكلها وخلقها وايداع النور الباصر فيها وتركيبها من عشر طبقات وثلاث رطوبات ولكل واحد من هذه الطبقات والرطوبات شكل مخصوص ومقدار مخصوص اولم يكن عليه لاختلفت المصلحة المقصودة وجعل سبحانه موضع الابصار في قدر العدسة ثم أظهر في تلك العدسة قدر السماء والارض والجبال والبحار والشمس والقمر فكيف اتسعت تلك العدسة ان يرسم فيها ما لانسبة لها اليه البنية وجعل تلك القوة الباصرة في جزء اسود فتنأمل كيف قام الباصر بهذا الجزء الاسود وجعل سبحانه الحدقة مصونة بالاجفان لتسترها وتحفظها ونصفها ونُدفع الاقذاء عنها وجعل شعر الاجفان اسود ليكون سواده سببا لاجتماع النور الذي به الابصار ويكون مانعا من تفرقه ويكون ابلغ في الحسن والجمال وخلق سبحانه لتحرك الحدقة أربعة وعشرين عضلة لو نقصت واحدة منهن لاخل أمر العين ولما كانت العين شبيها بالمرآة التي انما ينتفع بها اذا كانت في خابية الصقالة والصفاء وجعل سبحانه الاجفان من الحركة الى الاطباق ابدا باختيار الانسان وغير اختياره لتبقى الحدقة نقية صافية عن جميع الكدورات وجعل العينين بمنزلة المرآتين الصفتين اللتين تنطبع فيهما صورة الاشياء الخارجة فيثاثر القلب ثم يظهر ما فيه عليهما فيثاثران به فهما مرآة لما في القلب يظهر فيهما ومرآة لما في الخارج تنطبع صورته فيهما فالعينان على القلب كالزجاجتين الموضوعتين ولذلك يستدل بأحوال العين على أحوال

القلب من رضاه وفضبه وحبه وبغضه وتقرنه ومن أعجب الاشياء ان العين من الطف  
أعضاء البدن وهي لا تتأثر بالحر والبرد تأثير غير هام من الاعضاء الكثيفة واو كان الامر طائفا الى  
بجود الطبيعة اكان ينبغي ان يكون الامر بالعكس لان الالطف أسرع تأثيرا نعم ان حصول  
هذه المصالح ليس هو بمجرد الطبع

فصل في ثم اعدل الى الاذنين وتأمل شقهما وخلقاها وابداع الرطوبة فيهما ليكونا  
هو ناعلي ادراك السمع وجعلها مرة لتمنع الهواء من الدخول في لاذن وحوطهما سبحانه  
بصدفتين بجمعه ان الصوت ويؤديانه الى الصمخ وجعل في الصدفتين تعويجات  
لتطويل المسافة فتتكسر حدة الصوت ولا تلج الهواء دفعة بل تكثر حركاتها  
فيتنبه لها فيخرجها وجعل العينين مقدمتين والاذنين مؤخرتين لان العينين بمنزلة  
الطليعة والكاشف والرائد الذي يتقدم القوم يكشف لهم ويجزله السراج الذي يضي  
للسالك ما امامه وأما الاذنان فيدركان المعاني الغائبة التي ترد على العبد من امامه ومن خلفه  
وعن جانبيه فكان جعلهما في الجانبين اعدل الامور فسبحان من بهرت حكمته العقول وجعل  
للعينين غطاء لان مدرك الاذن الاصوات ولا يقاء لها فلو جعل عليهما غطاء لزال الصوت  
قبل ارتفاع الغطاء فزال المنفعة المقصودة وأما مدرك العين فأمر ثابت والعين محتاجة  
الى غطاء بقبها وحصول الغطاء لا يؤثر في بعض الادراك وقال بعض أهل العلم عينا الانسان  
هاديان واذا راه رسولان الى قلبه واسانه ترجان ويداه جناحان ورجلاه يريدان والقلب  
ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده واذا خبت خبت جنوده

فصل في ثم نزل الى الانف وتأمل شكله وخلقه وكيف رفعه سبحانه في وسط  
الوجنة بأحسن شكل وقح فيه باين وأودع فيهما حاسة الشم وجعله آلة لاستنشاق  
الهواء وادراك الروائح على اختلافها فيستشقي بهما الهواء البارد والطيب فيستغني بالمخبرين  
عن قبح الفم أبدا ولولاهما لاحتاج الى قح فيه دائما وجعل سبحانه نجويفه واسعا ليختصر  
فيه الهواء وينكسر برده قبل الوصول الى الدماغ فان الهواء المستشقي يتقسم قسمين شطرا منه  
وهو أكثره ينفذ الى الرئة وشطرا ينفذ الى الدماغ ولذلك يضر المزكوم استنشاق الهواء البارد  
وجعل في الانف ابضا امانة على تقطيع الحروف وجعل بين المخبرين حاجزا وذلك أبلغ  
في حصول المنفعة المقصودة حتى كأنهما أنفان بمنزلة العينين والاذنين واليدين والرجلين  
وقد يصيب احد المخبرين آفة فيبقى الآخر سالما وجعل نجويفه نازلا الى أسفل ليكون مصبا  
للفضلات النازلة من الدماغ وستره بسائر أبدى لئلا تبتدو تلك الفضلات في عين الرائي  
وتأمل منفعة النفس الذي لو قطع عن الانسان لهلك وهو أربعة وعشرون ألف نفس  
في اليوم واليلة قسط كل ساعة ألف نفس وتأمل كيف يدخل الهواء في المخبرين فيكسر  
برده هناك ثم يصل الى الحلقوم فيعتدل مزاجه ثم يصل الى الرئة فيصفي فيها من الغلظ والكثرة  
ثم يصل الى القلب أصفى ما كان وأعدل فيروح عنه ثم ينفذ منه الى العروق المتحركة ويتقدم  
الى أقاصى أطراف البدن ثم اذا سخن جدا وخرج عن حد الانتفاع به ماد عن تلك الاقاصى  
الى البدن ثم الى الرئة ثم الى الحلقوم ثم الى المخبرين ثم يخرج ويعود مثله هكذا أبدا فيجدهم وع ذلك

هو النفس الواحد وقد أحصى الرب عدد هذه الانفس وجعل مقابل كل نفس منها ما شاء الله من الاحقاب في الجحيم أو في النعيم فما سفة من أضاع ما هذه قيمته في غير شي

فصل في وهو سبحانه جعل القلب أمير البدن ومعدن الحرارة الغريزية فاذا استنشق الهواء البارد وصل الى القلب واعتدلت حرارته فبقي هناك مدة فمضن وأحرق واحتاج الى اخراجه ودفنه معه فلم يضيع أحكم الحاكمين ذلك النفس ويخرجه بغير فائدة بل جعل اخراجه سببا لحدوث الصوت ثم جعل سبحانه في الحنجرة واللسان والحنك باخلافا للصوت فيحدث الحرف ثم ألهم الانسان ان ركب ذلك الحرف الى مثله ونظيره فيحدث الكلمة ثم ألهمه تركيب تلك الكلمة الى مثله فيحدث الكلام فتأمل هذه الحكم الباهرة في ابصال النفس الى القلب لحفظ حياته ثم عند الحاجة الى اخراجه والاستغناء عنه جعله ميبسا له هذه المنفعة العظيمة فتبارك الله أحسن الخالقين وخلق سبحانه هذه المقاطع والحناجر مختلفة الاشكال فكما لا تشابه صورتان من كل وجه بل كما يحصل الامتياز بين الاشخاص بالقوة الباصرة فكذلك يحصل بالقوة السامعة فيحصل الامتياز للاعشى والبصير

فصل في ثم انزل الى الصدر ترى معدن العلم والحلم والوقار والسكينة والبر وأضدادها فجند صدور العلية تعلو بالبر والخير والعلم والاحسان وصدور السفلة تعلو بالفجور والشرور والاسامة والحمد والذكر ثم انفذ من ساحة الصدر الى مشاهدة القلب نجد ملكا عظيما جالسا على سرير مملكته بأمر وينهى ويؤلى ويعزل وقد حلف بالامراء والوزراء والجند كلهم في خدمته ان استقام استقاموا وان زاغ زاغوا وان صح صحوا وان فسد فسدوا فعليه المعول وهو محل نظر الرب تعالى ومحل معرفته ومحبه وخشيته والتوكل عليه والانابة اليه والرضى به وعنه والعبودية عليه اولا على رعيته وجنده تبعاً فأشرف ما في الانسان قلبه فهو العالم بالله السامع اليه المحب له وله محل الايمان والعرفان وهو المخاطب بالمبعوث اليه الرسل المخصوصين بأشرف العطايا وهو الايمان والعقل وانما الجوارح اتباع تبع للقلب يستخدمها استخدام الملوك للعبدة والراعي له رعية والذي يسرى الى الجوارح من الطامات والمعاصي انما هي آثاره فان اظلم اظلمت الجوارح وان امتنار استنارت ومع هذا فهو بين أصبعين من اصابع الرحمن عز وجل فسبحان مقلب القلوب ومودعها ما يبعث من أسرار الغيوب الذي يحول بين المرء وقلبه ويعلم ما ينطوي عليه من طاعته ودينه مصرف القلوب كيف ارادو حيث اراد أوحي الى قلوب الاولياء ان أقبلوا الى فبادرت وقامت بين يدي رب العالمين وكره عز وجل ان تبعات آخريين فيبطهم وقبل اعدوا مع القاعد بن كانت اكثر عيين رسول الله صلى الله عليه وسلم لاومقلب القلوب وكان من دماته اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك قال بعض السلف لقلب أشد قلبا من القدر اذا استجمعت خلياتها وقال آخر القلب أشد قلبا من الريشة بأرض فلات في يوم ربح طاصف وبطلق القلب على معنيين أحدهما امر حسي وهو العضو الحسي الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وفي باطنه تجويف وفي التجويف دم اسود وهو منبع الروح والثاني امر معنوي وهو لطيفة ربانية روحانية روحانية لها بهنا العضو تعلق اختصاص وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسانية والقلب جندان

جنديري بالابصار وجنديري بالبصار وأما جنده المشاهدة فالاعضاء الظاهرة والباطنة  
 وخلقت خادمة له لا تستطيع له خلافا فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت وإذا أمر اللسان بالكلام  
 تكلم وإذا أمر اليد ببطشت وإذا أمر الرجل سعت وكذا جميع الاعضاء ذلت له تذللا ولما خلق  
 القلب لسفر إلى الله والدار الآخرة وجعل في هذا العالم ليتزود منه افتقر إلى الركب والزاد  
 لسفره الذي خلق لأجله فأعين بالاعضاء والقوى وسخرت له وأقيمت له في خدمته لتجلب له  
 ما يوافق من الغذاء والمنافع ويدفع عنه ما يضره ويهلكه فانقر إلى جندين باطن وهو الإرادة  
 والشهوة والقوى وظاهر وهو الاعضاء فخلق في القلب من الارادات والشهوات ما احتاج  
 إليه وخلقت له الاعضاء التي هي آلة الارادة واحتاج لدفع المضار إلى جندين باطن وهو  
 الغضب الذي يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء وظاهر وهو الاعضاء التي ينفذ بها غضبه  
 كالاسلحة لقتال ولا يتم ذلك إلا بمعرفة بما يجلب وما يدفع فأعين الجند من العلم يكشف له حقيقة  
 ما ينفعه وما يضره ولما سلطت عليه الشهوة والغضب والشيطان أعين بجند من الملائكة  
 وجعل له محل من الخلال ينفذ فيه شهوته وجعل بازائه أعداء له ينفذ بهن غضبه فما ابتلى  
 بصفة من الصفات إلا وجعل له مصرف ومحل تنفذها فيه فجعل لقوة الجسد فيه مصرف  
 المنافسة في فعل الخير والعبادة عليه والمساابقة إليه والقوة والكبر والتكبر على أعداء الله تعالى  
 وأهانتهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن رأى يخال بين الصنفين في الحرب أنها المشية  
 يفضها الله إلى هذا الموطن وقد أمر الله سبحانه بالغلظة على أعدائه وجعل لقوة الحرص مصرفا  
 وهو الحرص على ما ينفع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أحرص على ما ينفعك ولقوة  
 الشهوة مصرفا وهو التزوج بأربع والتسرى بأشياء ولقوة حب المال مصرفا  
 وهو اتقائه في مرضاته والتزود منه لمعادته فحبة المال على هذا الوجه لا تنم  
 ولحبة الجاه مصرفا وهو استعماله في تنفيذ أوامره وإقامة دينه ونصر المظلوم وإغاثة  
 الملهوف وإغاثة الضعيف وقع أعداء الله فحبة الرياسة والجاه على هذا الوجه عبادة  
 وجعل لقوة اللعب واللهو مصرفا وهو لهو مع امرأته أو بقومه وأسمه أو تأديبه فرسه  
 وكل ما أمان على الحق وجعل لقوة التصيل والمكر فيه مصرفا وهو التصيل على عدوه  
 وعدو الله تعالى بأنواع التصيل حتى يراغمه ويرده خائفا ويستعمل منه من أنواع المكر  
 ما يستعمله عدوه معه وهكذا جميع القوى التي ركبت فيه مصرفا وهو التصيل على  
 عدوه أعداءه وقد ركبها الله فيه لمصالح اقتضتها حكمته ولا يطلب تعطيلها وإنما تصرف  
 بما ربه من محل إلى محل ومن موضع إلى موضع ومن تأمل هذا الموضع وتفقه فيه علم  
 شدة الحاجة إليه وعظم الانتفاع به

فصل في وجاع الطرق والابواب التي يسان منها القلب وجنوده أربعة فن ضبطها  
 وعدلها وأصلح مجاريها وصرفها في محالها الثلاثة بها وجوارحه ولم يثبت به عدوه وهي  
 الحرص والشهوة والغضب والجسد فهذه الأربعة هي أصول مجامع طرق الشر والخير وكما  
 هي طرق إلى العذاب المرمدي فهي طرق إلى النعيم الأبدي فآدم أبو البشر صلى الله عليه وسلم  
 أخرج من الجنة بالحرص ثم أدخل إليها بالحرص ولكن فرق بين حرصه الأول وحرصه

اشائي وأبرالجن أخرج منها بالحسد ثم لم يوفق لمنافسة وحسد يعيده اليها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين بين رجل آناه الله مالا وسلطه على ملكته في الحق ورجل آناه الله القرآن فهو يقوم به آناه الليل وأطراف النهار وأما الغضب فهو غول العقل يقتله كما يقتل الذئب الشاة وأعظم ما يفتريه الشيطان عند غضبه وشهوته وإذا كان حرصه على ما ينفعه وحسده منافسة في الخير وغضبه لله على أعدائه وشهوته يستعمله فيما أبج له وعوناه على ما أمر به لم تضره هذه الاربعة بل انتفع بها أعظم الانتفاع

**فصل** وإذا تأملت حال القلب مع الملك والشيطان رأيت أعجب العجائب فهذا يلزمه مرة وهذا يلزمه مرة فإذا ألم به الملك حدث من لمة الانفساح والانشراح والنور والرحمة والاخلاص والابانة ومحبة الله وإثاره على ما سواه وقصر الامل والنجا في عن دار البلاء والامتحان والغرور فلو دامت له تلك الحالة كان في أهني عيش وألذ وأطيبه ولكن تأتبه لمة الشيطان فتحدث له من الضيق والظلمة والهمل والنم والخوف والسخط على المقدور والشك في الحق والحرص على الدنيا وما جلها والغفلة عن الله ما هو من أعظم عذاب القلب ثم للناس في هذه المحبة مراتب لا يحصوها الا الله فمن من تكون لمة الملك أغلب من لمة الشيطان وأقوى فإذا ألم به الشيطان وجد من الالم والضيق والحصر وسوء الحال بحسب ما عنده من حياة القلب فيادر الى تلك اللمة ولا يدعها تستحكم فيصعب تداركها فهو دائماً بين اللمتين يبدل مرة ويبدل عليه مرة أخرى والعاقبة لا تقوى ومنهم من تكون لمة الشيطان أغلب عليه وأقوى فلا يزال يغلب لمة الملك حتى تستحكم ويصير الحكم لها فيجوز القلب ولا يحس ما ناله الشيطان مع أنه في غاية العذاب والضيق والحصر ولكن بذكر الشهوة والغفلة يجب عنه الاحساس بذلك المعلم فإذا كشف أمكنه تدارك هذه الدواء وحسنه وان عاد الغطاء عاد الامر كما كان حتى ينكشف عنه وقت المفارقة فتظهر حينئذ تلك الآلام والهموم والغموم والاحزان وهي لم تجد بدله وانما كانت كامنة توارى بها الشواغل فلما زالت الشواغل ظهر ما كان كامناً وتجدد له اضغاثه

**فصل** والشيطان يلزم القلب لما كان هناك من جواذب تجذبه وهي نوطان صفات وارادات فإذا كانت الجواذب صفات قوى سلطانه هناك واستفحل امره ووجد موطناً ومقرافاً في الاذكار والدعوات والتعوذات لحديث النفس لا تدفع سلطان الشيطان لان مركبه صفة لازمة فإذا قلع العبد تلك الصفات وعمل على التطهر منها والاعتسال بقي للشيطان بالقلب خطرات ووساوس ولمات من غير استقرار وذلك بضعفه ويقوى لمة الملك فتأني الاذكار والدعوات والتعوذات فتدفعه بأسهل شيء وإذا أريدت لذلك مثلاً مطابقتها مثله مثل كلب جائع شديد الجوع وبينك وبينه لحم او خبر وهو يتأملك ويراك لا تقاومه وهو أقرب منك فانت تزجره وتصبح عليه وهو يأبى الا التحوم عليك والغارة على ما بين يديك فالاذكار بمنزلة الصياع عليه والزجر له ولكن معلومه ومراده عندك وقد قربته عليك فإذا لم يكن بين يديك شيء يصلح له وقد تأملك قواك أقوى منه فانت تزجره وتصبح عليه فيذهب وكذلك القلب الخالي عن قوة الشيطان ينزجر بمجرد الذكر وأما القلب الذي فيه تلك الصفات التي هي مركبة وموطنة فيقع الذكر في حراسها وجوانبها ولا يقوى على اخراج العدو ومصادق

ذلك مجده في الصلاة فتأمل الحل وانظر هل تخرج الصلاة اذكارها وقرائتها الشيطان من قلبك ونفركه كله لله تعالى بكيته وتقيمه بين يدي ربه مقبلا بكيته عليه بصلي لله تعالى كأنه براه قد اجتمع همه كله على الله وصار ذكره ومراقبته ومحبهه والانسه به في محل الخواطر والوسوس أم لا والله المستعان وههنا نكتة ينبغي التفطن لها وهي ان القلوب المتأثرة بالاخلط الرديئة والعبادات والاذكار والتعوذات أدوية تلك الاخلط كما يشير الدواء اخلط البدن فان كان قبل الدواء وبعدة حية لم يزدا الدواء على انارته وان ازال منه شيئا فادار الامر على شيئين الحمية واستعمال الادوية

**فصل** وأول ما يطرق القلب الخطرة فان دفعها استراح مما بعدها وان لم يدفعها قويت فصارت وسوسة فكان دفعها أصعب فان بادر ودفعها والا قويت وصارت شهوة فان عاجلها والا صارت ارادة فان عاجلها والا صارت عزيمة ومتى وصلت الى هذه الحال لم يمكن دفعها واقترب بها الفعل ولا بد وما قدر عليه مرة مقدمانه وحيث بذل العلاج الى أقوى الادوية وهو الاستفراغ التام بالتوبة الصوح ولا ريب ان دفع مبادئ هذا الداء من أوله وبين استفراغه بعد حصوله وساعد القدر وأمان التوفيق ان الدفع أولى به وان تأملت النفس بمفارقة المحبوب فليوازن بين فوات هذا المحبوب الاخص المقطع الكد المشوب بالآلام والهموم وبين فوات المحبوب الاعظم الدائم الذي لانسبة لهذا المحبوب اليه أبنية لافي قدره ولا في بقاءه وليوازن بين ألم فوته وبين ألم فوت المحبوب الاخص وليوازن بين لذة الانابة والاقبال على الله تعالى والتمسحه بذكره وطاعته ولذة الاقبال على الرذائل والالتان والقباح وليوازن بين لذة الظفر بالذنب ولذة الظفر بالعدو وبين لذة الذنب ولذة العفة ولذة الذنب ولذة القوة وقهر العدو وبين لذة الذنب ولذة ارغام عدوه ورده خاسئا ذليلا وبين لذة الذنب ولذة الطاعة التي تحول بينه وبين مراده فوته ومراة فوت ثناء الله تعالى وملائكته عليه وفوت حسن جزائه وجزيل ثوابه وبين فرحة ادراكه وفرحة نركه لله تعالى عاجلا وفرحة ما ينسبه عليه في دنياه وآخرته والله المستعان وهذا فصل جره الكلام في قوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون أشرنا اليه اشارة ولو استفدنا لستدعي عدة أسفار ولكن فيما ذكرناه تنبيه على ما ذكرناه وبالله التوفيق

**فصل** وانرجع الى المقصود ثم قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون أما الرزق ففسر بالمطر وفسر بالجنة وفسر برزق الدنيا والآخرة ولا ريب ان المطر من الرحمة وان الجنة مستقر الرحمة فرزق الدارين في السماء التي هي العلو وقوله تعالى وما توعدون قال عطاء رضى الله عنه من الثواب والعقاب وقال الكلبي من الخير والشر وقال مجاهد الجنة والنار وقال ابن سيرين من امر الساعة قلت كون الجنة والخير في السماء فلا شك فيه وكون النار في السماء وما يوعدون به اهلها يحتاج الى تبين فاذا نظرت الى اسباب الخير والشر واسباب دخول الجنة والنار وافتراق الناس وانقسامهم الى شقي وسعيد وجدت ذلك كله بقضاء الله وقدره النازل من السماء وذلك كله مثبت في السماء في صحف الملائكة وفي اللوح المحفوظ قبل العمل وبعدة فالامر كله من السماء وقول من قال أمر الساعة يكشف عن هذا المعنى



فإن أمر الساعة يأتي من السماء وهو الموعود بهما فاجبة والنار الغاية التي لاجلها قامت  
الساعة فصح كل ما قال السلف في ذلك والله أعلم  
فصل في ثم أقسم سبحانه أعظم قسم بأعظم قسم به على أجل مقسم عليه واكد الاخبار  
بهذا القسم ثم أكد بشيئه بالامر المحقق الذي لا يشك فيه ذوحاسة سليمة وقال فورب السماء  
والارض انه لخلق مثل ما انكم تنطقون قال ابن عباس رضي الله عنهما يريدانه لخلق واقع  
كما انكم تنطقون قال الفراء انه لخلق كما ان آدمي ناطق قال الزجاج هذا كما تقول في الكلام  
ان هذا لخلق كما أنك ههنا قلت وفي الحديث انه لخلق كما أنك ههنا فشبه سبحانه بتحقيق  
ما أخبر به بتحقيق نطق آدمي ووجوده والواحد منا يعرف انه ناطق في ضرورة ولا  
بحتاج الى نقطة استدلال على وجوده ولا يخالجه شك في أنه ناطق فكذلك ما أخبر الله عنه  
من أمر التوحيد والنبوة والمعاد واسمائه وصفاته حتى ثابت في نفس الامر يشبه بثبوت  
نطقكم ووجوده وهذا باب يعرفه الناس في كلامهم يقول أحدهم هذا حق مثل الشمس  
وافصح الشاعر من هذا بقوله

وايسر يصح في الاذهان شيء \* اذا احتاج النهر الى دابل

وههنا أمر ينبغي التفطن له وهو أن الرب تعالى شهد بحجة ما أخبر به وهو صدق الصادقين  
واقسم عليه وهو أبر المقسمين واكد بنشيه بالواقع الذي لا يقبل الشك بوجه وأقام عليه  
من الأدلة العينية والبرهانية ما جعله معانيه شاهداً بالبصائر وان لم يعاين بالابصار ومع ذلك  
فأكثر النفوس في غفلة عنه لانه عدله ولا تأخذ له أهبة والمستعدله لا تأخذ له أهبة لا يعطيه  
حقه منهم الا الفرد بعد الفرد فأكثر الخلق لا ينظرون في المراد من إيجادهم وإخراجهم الى  
هذه الدار ولا يفكرون في قلة مقامهم في دار الغرور ولا في رحيلهم وانتقالهم عنها ولا الى أين  
يرحلون وأين يستقرون قد ملكهم الحس وقل نصيبهم من العقل وشملةهم الغفلة وخرتهم  
الاماني التي هي كالسراب وخدمهم طول الامل وكأن المقيم لا يرحل وكأن أحدهم لا يبعث  
ولا يبطل وكأن مع كل مقيم توقع من الله افلان ابن ملان بالامان من عذابه والفوز بجزييل ثوابه  
فأما في اللذات الحسية والشهوات النفسية كيفما حصلت حصلوا وها من أي وجه لاحت أخذوها  
خافلين عن المطالبات آمنين من العاقبة يسمعون لما يدركون ويتركون ما هم به مطالبون ويعمرون  
ما هم عنه منتقلون ويخربون ما هم اليه صائررون وهم عن الآخرة هم خافلون ألهم شهوات  
نفوسهم فلا ينظرون في مصالحها ولا يأخذون في جمع زادها في سفرها نسوا الله فأنساهم أنفسهم  
اولئك هم الفاسقون والعجب كل العجب من غفلة من تعد عليه لحظاته ونحصى عليه انقامه  
ومطابا الليل والنهار تمرع به ولا يفكر الى أين يحمل ولا الى أي منزل ينتقل

وكيف تنام العين وهي قريبة \* ولم تدرك في أي المحلين تنزل

واذا نزل بأحدهم الموت قلبي لخراب ذاته وذهاب لذاته لا لما سبق من جنائياته ولا لسوء منقلبته  
بعد عيائه فان خطرت على أحدهم خطرة من ذلك اعتد العفوا والرحمة وكان يتيقن أن ذلك  
نصيبه ولا بد فلو أن العاقل أحضر ذهنه ما استحضر عقله وسار بفكره وأمعن النظر وتأمل الآيات  
لهم المراد من إيجاده وانظرت عين الراحل الى الطريق ولاخذ المسافر في التزود والمريض في

التداعي والحازم بعدما يجوز أن يأتي فالأظن بأمر متيقن كأنه لصدق إيمانهم وقوة إيمانهم وكأنهم  
يعاينون الأمر فاضحت ربوع الإيمان من أهلها حالية ومعالمه على عروشها خاربة قال ابن وهب  
أخبرني مسلم بن علي عن الأوزاعي قال كان السلف إذا صدع البحر أو قبله كأنما على رؤسهم  
الطير مقلين على أنفسهم حتى لو أن حديدا لاحدهم فاب عنه حينئذ قدم لما التفت إليه فلا  
يزالون كذلك إلى طلوع الشمس ثم يقوم بعضهم إلى بعض فيختلفون بأول ما يقتضون فيه  
أمر معادهم وما هم صائرُونَ إليه ثم يأخذون في الفقه

فصل ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴾ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال  
الكافرون هذا شيء عجيب الصحيح أنق و ن وص بمنزلة حم والموطس تلك حروف مقدرة  
وهذه متعددة وقد تقدمت الإشارة إلى بعض ما فيها قبل وهنأ قد اتحد المقسم به والمقسم  
عليه وهو القرآن وأقسم بالقرآن على نبوته وصدقه وأنه حق من عنده وذلك حذف  
الجواب ولم يصرح به لما في القسم من الدلالة عليه أولان المقصود تنقس المقسم به كأنه قد  
يسانه ثم أخذ سبحانه في بيان عجب الكفار من غير عجب بل بالابتغى أن يقع سواء كما قال  
سبحانه الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر  
الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قد صدق عند ربهم وأي عجب من هذا حتى يقول  
الكافرون أن هذا لسحر مبين وكيف يتعجب من رحمة الخالق بعباده وهدايته وانعامه عليهم  
بتعريفهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بطريق الخير والشر وما هم صائرُونَ إليه  
بعد الموت وأمرهم ونههم حتى يقابل ذلك بالتعجب ونسبة ما جاء به إلى السحر لولا غاية الجهل  
والظلم بالعجب كل العجب قواهم وتكذيبهم كما قال تعالى وإن تعجب فعجب قولهم

فصل ومن ذلك حم والكتاب المبين وقوله ص والقرآن ذي الذكر وقوله يس  
والقرآن الحكيم ألك لمن المرسلين والصحيح أن يس بمنزلة حم والم ابست اسماً من أسماء النبي  
صلى الله عليه وسلم وأقسم سبحانه بكتابه على صدق رسوله وصحة نبوته ورسالاته فتأمل  
تبر المقسم به والمقسم عليه وقوله تعالى على صراط مستقيم وجوز فيه ثلاثاً أن يكون خبراً  
بأنه خبر ما أخبر عنه بأنه رسول الله وأنه على صراط مستقيم وأن يكون متعلقاً بالخبر نفسه  
بأنه على صراط مستقيم أي أرسلت على صراط وهذا يحتاج إلى بيان تقديره المجهولين على صراط  
مستقيم وكونه من المرسلين مستلزم لذلك فاستغنى عن ذكره

فصل ومن ذلك قوله تعالى والصافات صفا أقسم سبحانه بالملائكة الصافات  
لعبودية بين يديه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ألا تصفون كأنصف الملائكة عند ربها  
تقون الأول وتراصون في الصف وكما قالوا عن أنفسهم وأنهن الصافات والملائكة  
الصافات اجتمعت في الهواء والزاجرات الملائكة التي تزجر السحاب وغيره بأمر الله  
فأنا ليات التي نلوا الكلام الله وقيل الصافات الطير كما قال تعالى أولم يروا إلى الطير  
فوقهم صافات يقبضن وقال تعالى والطير صافات والزاجرات الآيات والكلمات  
الزاجرات عن معاصي الله والتساليات الجامعات لكتاب الله تعالى وقيل الصافات للقاتل  
في سبيله فالزجر الخيل للعمل على أعدائه فالتاليات الذاكرين له عند ملاقاته وهدوهم وقيل

الجماعات الصافات ابدانها في الصلاة الزاجرات انفسها عن معاصي الله فالتا ليات آياته  
واللفظ يحتمل ذلك كله وان كان احق من دخل فيه واول الملائكة فان الانفس كالدليل  
والآية على صفة ما قسم عليه من التوحيد وما ذكر غير الملائكة فهو من آثار  
الملائكة وبوا سطنتها كان واقسم سبحانه بذلك على توحيد ربوبيته والهيته وقرر  
توحيد ربوبيته فقال ان الهكم لو احد رب السموات والارض وما بينهما ورب  
المشارك من اعظم الادلة على انه اله واحد واو كان معه اله آخر لكان اله مشارك له  
في ربوبيته كما شاركه في الهيته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذه قاعدة القرآن بقرر توحيد  
الالهية بتوحيد الربوبية فيقرر كونه معبودا وحده بكونه خافرا زافا وحده وخص المشارق  
ههنا بالذكر اما لدلائلها على المغارب اذ الامر ان المتضايقان كل منهما يستلزم الآخر واما لكون  
المشارك مطلع الكواكب ومظاهر الانوار واما توطئة ما ذكر بعد هامن تزيين السماء بزيينة  
الكواكب وجعلها حفظا من كل شيطان فذكر المشارق انسب بهذا المعنى والبق والله تعالى أعلم

**فصل** ومن ذلك قوله في قصة لوط عليه السلام ومراجعة قومه له قالوا اولم ننحك عن  
العالمين قال هؤلاء بنائي ان كنتم فاعلمين لعمرك انهم في سكرتهم يعمهون اكثر المفسرين من السلف  
والخلف بل لا يعرف السلف فيه نزاعا ان هذا قسم من الله ببقاء رسوله صلى الله عليه وسلم  
وهذا من اعظم فضائله ان يقسم الرب عز وجل بحياته وهذه مزينة لا تعرف لغيره ولم يوافق  
الزنجشري ذلك فصرف القسم الى انه ببقاء لوط وانه من قول الملائكة فقال هو على  
ارادة القول أي قالت الملائكة لوط عليه الصلاة والسلام لعمرك انهم في سكرتهم يعمهون  
وليس في اللفظ ما يدل على واحد من الامرين بل ظاهر اللفظ وصياقه انما يدل على ما فهمه

السلف أطيب لاهل التعطيل والاعتزال قال ابن عباس رضى الله عنهما لعمرك أي وحياتك  
قال وما أقسم الله تعالى ببقاء نبي غيره والعمر والعمر واحد لانهم خصوا القسم بالفتوح  
لآيات الاخف لكثرة دور الحلف على استنهم وايضا فان العمر حياة مخصوصة فهو  
عمر شريف عظيم أهل ان يقسم لمزبته على كل عمر من أعصار بني آدم ولا ريب ان عمره وحياته  
من أعظم النعم والآيات فهو أهل ان يقسم به والقسم به اولى من القسم بغيره من المخلوقات  
وقوله تعالى يعمهون أي يحبرون وانما وصف الله سبحانه اللوطية بالسكرة لان العشق سكره  
مثل سكرة الخمر وأنشد كما قال القائل

سكران سكر هوى وسكر مدامة \* ومتى افاقة من به سكران

**فصل** ومن ذلك قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم  
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما أقسم سبحانه بنفسه المقدسة فسماء كذا  
بالنفي قبله على عدم ايمان الخلق حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الاصول والفروع  
واحكام الشرع واحكام المعاد واثار الصفات وغير هاولم يثبت لهم الايمان بمجرد هذا التحكيم  
حتى يثبت في عنهم الحرج وهو ضيق الصدر وتشرح صدورهم لحكمه كل الانشراح وتنفس  
له كل الانفساح وتقبله كل القبول ولم يثبت لهم الايمان بذلك ايضا حتى ينضاف اليه مقابلة  
حكمه بالرضى والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض فهنا قد يحكم الرجل

غيره وعنده حرج من حكمه ولا يلزم من انتفاء الحرج الرضا والتسليم فلا يلزم من التحكيم انتفاء الحرج اذ قد يحكم الرجل غيره وعنده حرج من حكمه ولا يلزم من انتفاء الحرج الرضا والتسليم والانتفاء اذ قد يحكمه وينتفى الحرج عنه في تحكيمه ولكن لا ينقاد قلبه ولا يرضى كل الرضى بحكمه والتسليم أخص من انتفاء الحرج فالخرج مانع والتسليم امر وجودي ولا يلزم من انتفاء الحرج حصوله بمجرد انتفائه اذ قد ينتفى الحرج ويبقى القلب فارضا منه ومن الرضى والتسليم فتأمله وعنده هذا يعلم ان الرب تبارك وتعالى اقسم على انتفاء ايمان اكثر الخلق وعند الامتحان تعلم مثل هذه الامور الثلاثة موجودة في قلب اكثر من يدعى الاسلام ام لا والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم آخره وصلى الله على سيدنا محمد وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

يقول الراعي من ربه حصول الاماني عبد الحميد الفردوسي المكي الانتفاني غفر الله له

ولو الدية والمسلمين واحسن اليهما واليه والمحبين

قد تم بحمد الله الرحمن طبع كتاب التبيان في اقسام القرآن تأليف العلامة الحبر البحر الفهامة صاحب التأليف العديدة والتقارير المفيدة شمس الدين محمد بن ابي بكر الدهشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية وهو لعمري كتاب مفيد حري بالطبع ايم نفعه كل مستفيد في المطبعة الميرية الكائنة بمكة المحمية في ظل السلطان المعظم والحاقان المعظم السلطان ابن السلطان الملك المظفر الممان المحفوظ بالقرآن العظيم والسبع المثاني مولانا السلطان الغزي عبد الحميد خان الثاني اللهم انصره نصرا تعز به الدين وتجز به وعدو كان حقا علينا نصرا المؤمنين واحفظ اشباله الكرام ووفق عماله ووزرائه وعلماؤه انعاما لكل خير آمين بحمد النبي الامين وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وكان ختام الطبع في الثالث

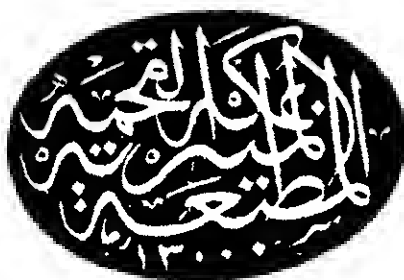
من شهر جادى الاولى من عام الواحد والعشرين والثلاثة والالف

من هجرة من خلقه الله على اكل وصف صلى الله عليه

وعلى آله ما طاف بالبيت العتيق طائف

ووقف بعرفة واقف

آمين



صفحة	صفحة
٤٨ فصل ومن ذلك قوله تعالى والنازعات غرقا	٣ فصل اذا عرف هذا الخ
٥٢ فصل ومن ذلك قوله تعالى والمرسلات	٤ فصل واقسم على صفة الانسان الخ
عرقا الخ	٦ فصل ومن ذلك قوله لا أقسم الخ
٥٣ فصل ومن ذلك قوله تعالى لا أقسم بيوم	٧ فصل ومن ذلك قوله تعالى والشمس الخ
القيامة الخ	٨ فصل وذكر في هذه السورة ثمود الخ
٥٧ فصل ومن أسرار هذه السورة أنه سبحانه	١٠ فصل ومن ذلك قوله تعالى والفجر الخ
جمع فيها لاوليائه الخ	١٢ فصل وأما سورة لا أقسم بهذا البلد الخ
٥٧ فصل ومن أسرارها انها تضمنت اثبات	١٦ فصل ومن ذلك أقسامه بالتين الخ
قدرة الرب الخ	٢٠ فصل ومن ذلك قسمه تعالى بالليل الخ
٥٨ فصل ومن أسرارها انها تضمنت التأنى	٢٥ فصل ثم قال تعالى ان علينا للهدى الخ
والثبوت في تلقي العلم الخ	٢٦ فصل ومن ذلك أقسامه سبحانه بالضحي الخ
٥٨ فصل ومن أسرارها أن اثبات النبوة	٢٨ فصل ومن ذلك أقسامه سبحانه بالعاديات
والمعاد يعلم بالعقل الخ	٢٩ فصل فهذا شأن القسم وأما شأن المقسم
٥٩ فصل ومن ذلك قوله تعالى كلا والفر	عليه فهو حال الانسان الخ
والليل اذا دبر الخ	٣٠ فصل ومفعول العلم ان علمت فيه الخ
٦١ فصل وأقسامه سبحانه بالليل اذا دبر الخ	٣١ فصل ومن ذلك أقسامه بالعصر الخ
٦٢ فصل واقسم سبحانه بهذه الاشياء الثلاثة الخ	٣٢ فصل ومن ذلك أقسامه سبحانه بالسماء
٦٣ فصل ومن ذلك قوله فلا أقسم بما تبصرون	ذات البروج الخ
وما لا تبصرون الخ	٣٦ فصل ومن ذلك أقسامه سبحانه بالسماء
٦٥ فصل الامر الثالث ما تضمنه قوله تنزيل	والطارق الخ
من رب العالمين الخ	٣٧ فصل والمقسم عليه ههنا حال النفس
٧٠ فصل ومن ذلك قوله عز وجل فلا أقسم	الانسانية الخ
برب المشارق الخ	٤٠ فصل ومن ذلك أقسامه بالشفق والليل
٧١ فصل وقد وقع الاخبار عن قدرته عليه	وما سوى الخ
سبحانه على تبديلهم الخ	٤١ فصل وقوله ان ربك بن طبقات طبقي الظاهر
٧٣ فصل فلما أقام عليهم الجنة وقطع المعذرة الخ	أنه جواب القسم الخ
٧٤ فصل ومن ذلك قوله تعالى ن والقلم	٤٢ فصل ومن ذلك قوله سبحانه فلا أقسم
وما يسطرون الخ	بالخنس الخ
٧٥ فصل ثم أقسم سبحانه بالقلم وما يسطرون الخ	٤٣ فصل واختلف في صيغة اليل الخ
٧٥ فصل والاقلام متفاوتة في الرتب الخ	٤٤ فصل ثم ذكر سبحانه المقسم عليه وهو
٧٥ فصل القلم الثاني قلم الوحي الخ	القرآن الخ
٧٦ فصل والقلم الثالث قلم التوقيع عن الله	٤٦ فصل ثم اخبر تعالى عن القرآن بأنه
ورسوله الخ	ذكر للعالمين الخ







